

كتاب الشعب

إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء التاسع

الآفة الثالثة

الخوض في الباطل

وهو الكلام في المعاصي ، كحكاية أحوال النساء ، ومجالس الخمر ، ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء ، وتجبر الملوك ، ومراسمهم المذمومة ، وأحوالهم المكروهة . فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه ، وهو حرام . وأما الكلام فيما لا يعني ، أو أكثر مما يعني ، فهو ترك الأولى ، ولا تحريم فيه . نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني ، لا يؤمن عليه الخوض في الباطل ، وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ، ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس ، أو الخوض في الباطل .

وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفنها . فذلك لا يخلص منها إلا بالاعتصاف على ما يعني من مهات الدين والدنيا . وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها ، وهو يستحقها . فقد قال بلال بن الحارث ، ^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يُظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَّغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يُظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَّغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وكان علقمة يقول : كم من كلام منعه به حديث بلال بن الحارث . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ بُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا أَبْعَدَ مِنَ الثَّرِيَاءِ » وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ، ما يلقي لها بالا ، يهوى بها في جهنم ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ، ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في أعلى الجنة

﴿ الآفة الثالثة الخوض في الباطل ﴾

(١) حديث بلال بن الحارث أن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضى الله عنه . الحديث : هـ ت وقال حسن صحيح

(٢) حديث أن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا : ابن أبي الدنيا من حديث

أبي هريرة بسند حسن وللشيخين وأن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين

خريفا في البار . لفظات وقال حسن غريب

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « أَكْثَرُ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ » وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ^(٢)) وبقوله تعالى (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ^(٣)) وقال سلمان: أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة . أكثرهم كلاماً في معصية الله : وقال ابن سيرين : كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم ، توضعوا ، فإن بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل ، وهو وراء ماسياتي من النبية والبيعة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها ، أو تدبر للتوصل إليها ، من غير حاجة دينية إلى ذكرها . ويدخل فيه أيضاً الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة ، وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطعن في بعضهم ، وكل ذلك باطل ، والخوض فيه خوض في الباطل ، نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه

الآفة الرابعة

المراء والجدال

وذلك منهى عنه . قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « لَا تُنَارَ أَخَاكَ وَلَا تُمَارِضَهُ وَلَا تَعِدَّهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ » وقال عليه السلام ^(٣) « ذَرُّوا الْمِرَاءَ فَإِنَّهُ لَا تَنْفَعُهُمْ حِكْمَتُهُ وَلَا تُؤْمِنُ فِتْنَتُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقُّ بَنِي لَهُ يَتُّ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنِي لَهُ يَتُّ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ » وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت

(١) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم حوصاً في الباطل : ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسل

ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفاً على ابن مسعود بسند صحيح

(الآفة الرابعة المراء والمجادلة)

(٢) حديث لا تمار أخاك ولا تمارضه ولا تعده موعداً فخلفه : من حديث ابن عباس وقد تقدم

(٣) حديث ذروا المراء فإنه لا ينفعهم حكمته ولا تؤمن فتنته : طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس

ابن مالك ووائله بن الأسقع بأسناد ضعيف دون قوله لا ينفعهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا

موقوفاً على ابن مسعود

(٤) حديث من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة - الحديث : تقدم في العم

(١) المذنب : ٤٥ (٢) النساء : ١٤٠

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ أَوَّلَ مَا عَرِّدَ إِلَى رَبِّي وَنَهَانِي عَنْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَشُرْبِ الْخُبْرِ مُلَاحَاضَةُ الرَّجَالِ » وقال أيضا (٢) « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَّا أَوْثُوا الْجَدَلَ » وقال أيضا (٣) « لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا » وقال أيضا (٤) « سِتٌّ مِنْ كُنَّ فِيهِ بَلَغَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ الصِّيَامُ فِي الصَّيْفِ وَضَرْبُ أَعْدَاءِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ وَتَعْجِيلُ الصَّلَاةِ فِي الْيَوْمِ الدَّجَنِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْمُصِيبَاتِ وَاسْتِبَاحُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَسْكَرَةِ وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَهُوَ صَادِقٌ »

وقال الزبير لا ينه : لا تجادل الناس بالقرآن ، فإنك لا تستطيعهم ، ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن العزيز رحمه الله عليه : من جعل دينه عرصة للخصومات ، أكثر التنقل . وقال مسلم بن يسار : إياكم والمراء ، فإنه ساعة جهل العالم ، وعندها يلتقي الشيطان زلته . وقيل ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدال . وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا المراء يقسى القلوب ، ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك . وقال بلان بن ساعد ، إذا رأيت الرجل لجوجا ، مماريا معجبا برأيه ، فقد تمت خسارته . وقال سفيان . لو خالفت أخى في رمانة ، فقال حلوة ، وقلت حامضة . لسعى بى إلى السلطان . وقال أيضا ، صاف من شئت ، ثم أغضبه بالمراء ، فليرمينك بداهية تمنحك العيش . وقال ابن أبي ليلى ، لا أمارى صاحبي ، فإما أن أكذبه ، وأما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء ، كفى بك إثما أن لا تزال مماريا .

(١) حديث أم سلمة أن أول ما عهد إلى ربي ونهى عني بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال

ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في المراسيل

من حديث عروة بن رويم

(٢) حديث ما ضل قوم الأوثانوا الجدال : بت من حديث أبي أمامة وصححه وزاد بعدهدى كانوا عليه وتقدم

في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره المصنف

(٣) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر المراء وإن كان محقا : ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة

بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن التبع حتى يترك الكذب في المزاح والراموان كان صادقا

(٤) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان - الحديث : وفيه ترك المراء وهو صادق أبو منصور الديلمي

من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخير - الحديث :

ملاحاة الرجال : مقاولتهم وخصامتهم يقال : لاحيته ملاحاة وبلحا . إذا نازعته

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « تَكْفِيرُ كُلِّ لِحَاءٍ رَكْعَتَانِ » وقال عمر رضي الله عنه ،
لا تتعلم العلم ثلاث ، ولا تتركه ثلاث . لا تتعلمه لما يرى به ، ولا لتباهى به ، ولا لتراعى به
ولا تتركه حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا رضا بالجهل منه . وقال عيسى عليه السلام ، من كثر
كذبه ، ذهب جماله . ومن لاحى الرجال ، سقطت مروءته . ومن كثر همه ، سقم
جسمه . ومن ساء خلقه ، عذب نفسه

وقيل ليمون بن مهران ، مالك لا تترك أخاك عن قلى ؟ قال لأنى لا أشاريه ولا أماريه
وما ورد فى ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى

وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير ، بإظهار خلل فيه ، إما فى اللفظ ، وإما فى
المعنى ، وإما فى قصد المتكلم . وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض . فكل كلام سمعته
فإن كان حقاً فصدق به ، وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمر الدين ، فاسكت عنه
والطعن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه ، بإظهار خلل فيه من جهة النحو ، أو من
جهة اللغة ، أو من جهة العربية ، أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير . وذلك
يكون تارة من قصور المعرفة ، وتارة يكون بطغيان اللسان . وكيفما كان فلا وجه لإظهار خلله
وأما فى المعنى ، فبأن يقول ليس كما تقول ، وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا
وأما فى قصده ، فبأن يقول هذا الكلام حق ، ولكن ليس قصدك منه الحق ، وإنما
أنت فيه صاحب غرض . وما يجرى مجراه . وهذا الجنس إن جرى فى مسألة علمية ، ربما
خص باسم الجدل ، وهو أيضاً مذموم . بل الواجب السكوت ، أو السؤال فى معرض
الاستفادة ، لا على وجه العناد والنكارة أو التلطف فى التعريف لافى معرض الطعن
وأما المجادلة ، فعبرة عن قصد إخماد الغير ، وتعجيزه وتنقصيه بالقدح فى كلامه ، وبسببه
إلى القصور والجهل فيه ، وآية ذلك . أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مسكروها عند
المجادل ، يجب أن يكون هو المظهر له خطأه ، ليبين به فضل نفسه ، ونقص صاحبه . ولا نجاة
من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأتى به لو سكت عنه .

(١) حديث تكفير كل لحاء ركعتان: الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف

وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل ، والتهجم على النير بإظهار نقصه
وهما شهوتان باطنتان للنفس ، قويتان لها
أما إظهار الفضل ، فهو من قبيل تزكية النفس ، وهى من مقتضى ما فى العبد من طينان
دعوى العلو والكبرياء ، وهى من صفات الربوبية
وأما تنقيص الآخر ، فهو من مقتضى طبع السبعية ، فإنه يقتضى أن يمزق
غيره ، ويقصمه ويصدمه ويؤذيه

وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان . وإنما قوتهما المراء والجدال . فالمواطبة على المراء
والجدال مقول هذه الصفات المهلكة . وهذا مجاوز حد الكراهة ، بل هو معصية مهما حصل
فيه إيذاء الغير ، ولا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهيج الغضب ، وحمل المعارض عليه على أن
يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ، ويقدر فى قائله بكل ما يتصور له ، فيثور الشجار
بين المتماربين ، كما يثور الهراش بين الكلبين ، يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه
بما هو أعلم نكايته ، وأقوى فى إلحامه وإلجائه

وأما علاجه . فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله ، والسبعية الباعثة له على
تنقيص غيره ، كما سيأتى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغضب . فإن
علاج كل علة بإمالة سببها ، وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ، ثم المواظبة عليه تجعله عادة
وطبعاً ، حتى يتمكن من النفس ، ويعسر الصبر عنه

روى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه ، قال لداود الطائى . لم آثرت الانزواء ؟ قال لأجاهد
نفسى بترك الجدال . فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ، ولا تتكلم . قال ففعلت ذلك
فما رأيت مجاهدة أشد علىّ منها . وهو كما قال ، لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على
كشفه ، تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ
وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللَّهُ لَهُ يَتِّتًا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ » لشدة ذلك على النفس .

وأكثر ما يغلب ذلك فى المذاهب والعقائد ، فإن المراء طبع ، فإذا ظن أن له عليه ثوابا
اشتد عليه حرصه ، وتعاون الطبع والشرع عليه ، وذلك خطأ محض . بل ينبغى للإنسان
أن يكف لسانه عن أهل القبلة . وإذا رأى مبتدعا تلتطف فى نصحه فى خلوة ، لا بطريق

الجدال . فإن الجدال ينجل إليه أنها حيلة منه في التليس ، وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا . فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتؤكد . فإذا عرف أن النصيح لا ينفع ، اشتغل بنفسه وتركه . وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « رَحِمَ اللَّهُ مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ عَنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ إِلَّا بِأَحْسَنِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ » وقال هشام بن عروة . كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات . وكل من اعتاد المجادلة مدة ، وأثنى الناس عليه ، ووجد نفسه بسببه عزاً وقبولاً ، قويت فيه هذه المهلكات ، ولا يستطيع عنها نزوعاً إذا اجتمع عليه سلطان الغضب ، والكبر ، والرياء ، وحب الجاه ، والتعزز بالفضل . وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها ، فكيف بمجموعها !

الآفة الخامسة

الخصومة

وهي أيضاً مذمومة . وهي وراء الجدال والمراء . فالمرء طعن في كلام الغير ، بإظهار خلل فيه ، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير ، وإظهار مزية الكياسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها . والخصومة لجأج في الكلام ، ليستوفي به مال أو حق مقصود . وذلك تارة يكون ابتداء ، وتارة يكون اعتراضاً . والمرء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق . فقد قالت عائشة رضي الله عنها ، ^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْخِصْمُ » وقال أبو هريرة ، ^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ جَادَلَ فِي خُصُومَةٍ بغيرِ عِلْمٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ »

(١) حديث رَحِمَ اللَّهُ مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ عَنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ الْأَحْسَنُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ : ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً كَفَّ لِسَانَهُ عَنْ إِعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ وهو منقطع وضعيف جداً

(٢) : (الآفة الخامسة الخصومة)

(٢) حديث عائشة أن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم : مخ وقد تقدم

(٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع : ابن أبي الدنيا الأصفهاني في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور

وقال بعضهم ، إياك والخصومة ، فإنها تحقق الدين . ويقال ماخاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة ، مرّ بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة ، فقال مايجلسك ههنا ؟ قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي . فقال إن لأبيك عندي يدا ، وأنى أريد أن أجزيك بها . وإني والله ما رأيت شيئا أذهب للدين ، ولا أنقص للمروءة ، ولا أضيع للذة ، ولا أشغل للقلب من الخصومة . قال فقمت لأنصرف . فقال لي خصمي ، مالك ؟ قلت لأخاصمك . قال إنك عرفت أن الحق لي . قلت لا ، ولكن أكرم نفسي عن هذا . قال فإني لا أطلب منك شيئا هو لك فإن قلت : فإذا كان للإنسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه ، أو في حفظه ، مهما ظلمه ظالم ، فكيف يكون حكمه ؟ وكيف تدم خصومته

فاعلم أن هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل ، والذي يخاصم بغير علم ، مثل وكيل القاضي ، فإنه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب ، هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان ، فيخاصم بغير علم . ويتناول الذي يطلب حقه ، ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة ، بل يظهر اللدد في الخصومة ، على قصد التسلط ، أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ، ليس يحتاج إليها في نصرته الحاجة ، وإظهار الحق . ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد ، لقهر الخصم وكسره ، مع أنه قد يستحق ذلك القدر من المال . وفي الناس من يصرح به ويقول ، إنما قصدي عناده وكسر عرضه ، وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا أبالي . وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج ، وهو مذموم جدا .

فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع ، من غير لد وإسراف وزيادة لجاج ، على قدر الحاجة ، ومن غير قصد عناد وإيذاء ، ففعله ليس بحرام ، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا . فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصدر وتهيج النفس . وإذا هاج الغضب نفس المتنازع فيه ، وبقي الحقد بين المتخاصمين . حتى يصرح كل واحد بمساءة صاحبه ، ويحزّن بفساده ، ويطلق اللسان في عرسه . فمن بدأ بالخصومة فقد تضرع لله المحذورات . وأقل ما فيه تسويش خاطره . حتى أنه في سبانه تشعل بمساءة خصمه ، فلا يبقى الأمر على حد الواجب .

فالخصومة مبدأ كل شر ، وكذا المراء والجدال . فينبغى أن لا يفتح بابه إلا لضرورة ، وعند الضرورة ينبغى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة ، وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الإثم ، ولا تدم خصومته ، إلا أنه إن كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه ، لأن عنده ما يكفيه ، فيكون تاركا للأولى ، ولا يكون آثما . نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام ، وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة ، ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض ، الذى حاصله إما تجهيل ، وإما تكذيب . فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه ، فقد جهله أو كذبه ، فيفوت به طيب الكلام

وقال صلى الله عليه وسلم « يَمَكِّنْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ طَيْبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ » وقد ذال الله تعالى (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)^(١) وقال ابن عباس رضى الله عنهما ، من سلم عليك من خلق الله ، فارد عليه السلام وإن كان مجوسيا ، إن الله تعالى يقول (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)^(٢) وقال ابن عباس أيضا لو قال لى فرعون خير الرددت عليه . وقال أنس^(٣) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعُرْفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَلَانَ الْكَلَامَ » وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير ، فقال مر بسلام . فقيل ياروح الله أتقول هذا للخنزير ؟ فقال أكره أن أعود لسانى الشر . وقال نبينا عليه السلام^(٤) « السَّكِيمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ » وقال^(٥) « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » وقال عمر رضى الله عنه ، البرشى هين ، وجه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء ، الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح . وقال بعض الحكماء ، كل كلام لا يستغفر بك

(١) حديث يَمَكِّنْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ طَيْبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ الطبرانى من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله

من حديث هنى أبى شريح ناسناد جيد ووجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام

(٢) حديث أنس أن فى الجنة لعرفا يرى ظاهرها من باطنها - الحديث : ت وقد تقدم

(٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة : من حديث أبى هريرة

(٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة - الحديث : متفق عليه من حديث عدى ابن حاتم وقد تقدم

(٥) البقرة : ٨٣ (٢) النساء : ٨٦

إلا أنك ترضى به جليسا ، فلا تكن به عليه بخيلا ، فإنه لما يدوم منك منه ثواب المصنفين وهذا كله في فضل الكلام الطيب ، وتضاده الخسومة ، والمرء ، والجدال ، والجلج ، فإنه الكلام المستكره الموحش ، المؤذي للقلب ، المنقص لليدين ، المبيح للغضب ، الموغر للصدر ، نسأل الله حسن التوفيق عنه وكرمه

الآفة السادسة

النقص في الكلام

بالتشديق ، وتكلف السجع والفصاحة ، والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات ، وما جرت به عادة المتفاحين ، المدعين للخطابة . وكل ذلك من التصنع المذموم ، ومن التكلف المعقوت ، الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَنَا وَاتَّقِيَاءُ أُمِّي بُرَاءٌ مِنَ التَّكْلِيفِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَى وَابْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا التَّرَارُونَ الْمُتَفَهِّقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ فِي الْكَلَامِ » وقالت فاطمة رضى الله عنها ^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غَدُوا بِالنِّعَمِ يَأْكُلُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ وَيَلْبَسُونَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « أَلَا هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » ثلاث مرات . والتنطع هو التعمق والاستقصاء .

وقال عمر رضى الله عنه ، إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان . وجاء عمرو بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة . فتكلم بين يدي حاجته بكلام . فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ^(٤) « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَخَلَّلُونَ الْكَلَامَ بِالسِّنِّهِمْ كَمَا تَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ الْكَلَاءُ بِالسِّنِّهَا ،

(الآفة السادسة الفرع في الكلام والتشديق)

(١) حديث ابن أبي عمير عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أبا عمير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَى وَابْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا التَّرَارُونَ الْمُتَفَهِّقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ فِي الْكَلَامِ »

وهو عند من حديث جابر وحسنه بلفظ ان أبغضكم إلى

(٢) حديث فاطمة شرار أمتي الذين غدوا بالنعم - الحديث : وفيه يتشددون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب

(٣) حديث ألهلك المتطعون م . من حديث ابن مسعود

(٤) حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أبا عمير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَخَلَّلُونَ الْكَلَامَ بِالسِّنِّهِمْ كَمَا تَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ الْكَلَاءُ بِالسِّنِّهَا » رواه أحمد

وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام ، من التشبيب ، والمقدمة المصنوعة
التكافؤ وهذا أيضا من آفات اللسان ، ويدخل فيه كل مجمع متكلف ، وكذلك التفاصيل
الخارج عن حد العادة ، وكذلك الركوع . السجعة في المحاورات ، إذ قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بغرة في الجنين ، فقال بعض قوم الجاني ، ^(١) كيف ندى من لا شرب ولا أكل
ولا صاح ولا استهل ، ومثل ذلك بطل ! فقال « أَسَجُّعًا كَسَجِّعِ الْأَعْرَابِ » وأنكر
ذلك ، لأن أثر التكافؤ والتصنع بين عليه . بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقتصوده
ومقصود الكلام التفهيم للغرض ، وما وراء ذلك تصنع مذموم

ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة ، والتذكير من غير إفراط وإغراب ، فإن
المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها ، وقبضها وبسطها ، فارشاقة اللفظ تأثير فيه ، فهو
لائق به . فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات ، فلا يليق بها السجع والتشديق ،
والاشتغال به من التكلف المذموم ، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة ، والتميز
بالبراعة ، وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ، ويزجر عنه

الآفة السابعة

الفحش والسب وبداءة اللسان

وهو مذموم ومنهى عنه ، ومصدره الخبث واللؤم . قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إِيَّاكُمْ
وَالْفُحْشَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ » ^(٣) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن أن تسب قتلى بدر من المشركين ، فقال « لَا تَسُبُّوا هَؤُلَاءَ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُصُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ »

(١) حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل الحديث : من حديث المغيرة بن شعبه وأبي هريرة وأصلهما عند حم أيضا

(الآفة السابعة الفحش والسب وبداءة اللسان)

(٢) حديث إياكم والفحش - الحديث : ن في الكبرى في التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله -

ابن عمرو ورواه ابن جابر من حديث أبي هريرة

(٣) حديث النهي عن سب قتلى بدر من المشركين - الحديث : ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر

مرسلا ورواه ثقات والنسائي من حديث ابن عباس بإسناد صحيح ان رجلا وقع في آب للعباس

كان في الجاهلية فطمه - الحديث : وفيه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحيانا

يَمَّا تَهْوِلُونَ الْأَحْيَاءَ إِلَّا إِنْ الْبَدَاءُ لَكُمْ « وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) » لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ « وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) » الْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ فَاحِشٍ أَنْ يَدْخُلَهَا « وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) » أَرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْأَذَى يَسْعَوْنَ بَيْنَ الْأَحْمِيمِ وَالْجَحِيمِ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ رَجُلٌ يَسِيلُ فُؤُهُ قَيْحًا وَدَمًا فَيَقَالُ لَهُ مَا بَالُ الْأَبَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بَيْنَا مِنَ الْأَذَى فَيَقُولُ إِنْ الْأَبَدَ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ كَلِمَةٍ قَذَعَةٍ خَيْشَةٍ فَيَسْتَلْذِهَا كَمَا يَسْتَلْذِي الرِّفْتَ « وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة ^(٤) » يَا عَائِشَةُ لَوْ كَانَ الْفَحْشُ رَجُلًا لَكَانَ رَجُلٌ سَوًى «

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٥) » الْبَدَاءُ وَالْيَبَانُ شُعْبَتَانِ مِنْ شُعْبِ النَّفَاقِ « فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه، ويحتمل أيضا المبالغة في الإيضاح، حتى ينتهي إلى حد التكلف، ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين، وفي صفات الله تعالى، فإن القاء ذلك مجملا إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه، إذ قد يشور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فإذا أجملت بادر القلوب إلى القبول ولم تضطرب. ولكن ذكره مقرونا بالبذاء، يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الإنسان من بيانه، فإن الأولى في مثله الإغماض والتغافل، دون الكشف والبيان

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٦) » إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ الصَّيَّاحَ فِي الْأَسْوَاقِ «

(١) حديث ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء : ت باسناد صحيح من حديث ابن مسعود

وقال حسن عريب والحاكم وصححه وروى موفوفا قال الدار فطى في العلل والوفوف أصح

(٢) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها : ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن عمرو

(٣) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى - الحديث : وفيه أن الأبعد كان ينظر إلى كل

كلمة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرث ابن أبي الدنيا من حديث شق بن مائع واختلف في محبته

فذكره أبو نعيم في الصحاح وذكره خ ح في الباعين

(٤) حديث يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجلا سوء : ابن أبي الدنيا من رواية ابن أبي عمير عن أبي النصر

عن أبي سلمة عنها

(٥) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق : ت وحسنه وك وصححه على شرطهما من حديث أبي امامة وقد تقدم

(٦) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش الصيَّاح في الأسواق : ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف

وله والطبراني من حديث أسامة بن زيد أن الله لا يحب الفاحش المتفحش واستاده جيد

وقال جابر بن سمرة^(١)، كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، وأبى أمامي. فقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْفُحْشَ وَالْتَفَاحُشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا».

وقال إبراهيم بن ميسرة: يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب. وقال الأحنف بن قيس، ألا أخبركم بأدواء الداء، اللسان البذي، والخلق الدني. فهذه مذمة الفحش.

فأما حده وحقيقته، فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة. وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به. فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها، بل يكونون عنها، ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها. وقال ابن عباس، إن الله حيي كريم، يعفو ويكنو. كنى باللمس عن الجماع. فالمس، واللمس، والدخول، والصعبة، كنايةات عن الوقاع. وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة، يستقبح ذكرها، ويستعمل أكثرها في الشتم والتعير. وهذه العبارات متفاوتة في الفحش، وبعضها أخش من بعض، وربما اختلف ذلك بمادة البلاد، وأوائلها مكروهة، وأواخرها محظورة، وبينهما درجات يتردد فيها. وليس يختص هذا بالوقاع، بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول، والغائط أولى من لفظ التنوط والخراء وغيرهما. وإن هذا أيضا مما يخفى، وكل ما يخفى يستحيا منه، فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة، فإنه فحش.

وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء، فلا يقال قالت زوجتك كذا، بل يقال قيل في الحجرة، أو من وراء الستر، أو قالت أم الأولاد، فالتلطف في هذه الألفاظ محمود، والتصريح فيها يفضى إلى الفحش.

وكذلك من به عيوب يستحيا منها، فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها، كالبرص، والقرع، والبواسير، بل يقال العارض الذي يشكوه، وما يجري مجراه. فالتصريح بذلك داخل في الفحش. وجميع ذلك من آفات اللسان. قال العلاء بن هرون، كان عمر بن عبد العزيز

(١) حديث جابر بن سمرة أن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء. مسال الحديث: أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح.

يتحفظ في منطقه ، فخرج تحت إبطه خراج ، فأثناه نساءه لئلا يرى ما يقول ، فقلنا من أين خرج ؟ فقال من باطن اليد .

والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء ، وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق ، وأهل الخبث واللؤم ، ومن عاداتهم السب . وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) أوصني فقال « عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِنْ أَمْرُكَ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فَيْكَ فَلَا تُعْبِرْهُ بِشَيْءٍ تَعْلَمُهُ فِيهِ يَكُنْ وَبِأَلِّهِ عَلَيْهِ وَأَجْرُهُ لَكَ وَلَا تَسْبِنْ شَيْئًا » قال فما سببت شيئا بعده

وقال عياض بن حمار^(٢) قلت يارسول الله ، إن الرجل من قومي يسبني وهو يهودي هل علي من بأس أن أنتصر منه ؟ فقال « الْمُسَابَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَعَاوَيَانِ وَيَتَهَارَجَانِ » وقال صلى الله عليه وسلم^(٣) « سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » وقال صلى الله عليه وسلم^(٤) « الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ » وقال صلى الله عليه وسلم^(٥) « مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ » وفي رواية « مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَسُبَّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ » قالوا يارسول الله ، كيف يسب الرجل والديه ؟ قال « يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أُمَّهُ »

الآفة الثامنة

اللعن

إما حيوان أو جماد أو إنسان . وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن أمرؤ عبرك بشيء تعلمه فيك فلا تعبره بشيء .

تعلمه فيه - الحديث : أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي قيل اسمه جابر

ابن سليم وقيل سليم بن جابر

(٢) حديث عياض بن حمار قلت يارسول الله الرجل من قومي يسبني وهو يهودي هل علي من بأس أن أنتصر منه فقال المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاران : د الطيالسي واصله عند أحمد

(٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٤) حديث المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم : م من حديث أبي هريرة وقال مالم يمتد

(٥) حديث ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه - الحديث :

أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد واتفق الشيخان

على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو

«الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِالْعَانِ» وقال صلى الله عليه وسلم^(١) «لَا تَلَاَعُنُوا بَلْعَنَةَ اللَّهِ وَلَا بَعْضِيهِ وَلَا يَجْهَنَّمُ» وقال حذيفة، ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين^(٢) «يَبْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ لَهَا فَضْجَرَتْ مِنْهَا، فَلَعَنَتْهَا. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَأَعْرِضُوا عَنْهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ» قَالَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ النَّاقَةِ تَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ، لَا يَتَعَرَّضُ لَهَا أَحَدٌ

وقال أبو الدرداء، ما لعن أحد الأرض إلا قالت، لعن الله أعصانا لله. وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) «أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ يَلْعَنُ بِمَعْصِيَةِ رَقِيقَةٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ «يَا أَبَا بَكْرٍ أَصِدِّيقِينَ وَلَعَانَيْنِ! كَلَّا وَرَبُّ الْكَفَّةِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَاعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ رَقِيقَتَهُ، وَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ لَا أَعُودُ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤)، «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وقال أنس^(٥)، «كَانَ رَجُلٌ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعِيرٍ فَلَعَنَ بِمَعِيرِهِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسِرْ مَعَنَا عَلَى بَعِيرٍ مَلْعُونٍ» وَقَالَ ذَلِكَ إِنْكَارًا عَلَيْهِ

واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى، وذلك غير جائز إلا على من انصف بصفة تبعده من الله عز وجل، وهو الكفر والظلم، أن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين

(الآفة الثامنة اللعن)

(١) حديث المؤمن ليس بالعان : تقدم حديث ابن مسعود ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان - الحديث

قبل هذا بأحد عشر حديثاً وللترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعاناً

(٢) حديث لا تلاعنوا بلعنة الله - الحديث : ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح

(٣) حديث عمران بن حصين يبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذا امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلعنتها - الحديث : رواه م

(٤) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال يا أبا بكر لعانين وصديقين - الحديث : ابن أبي الدنيا في الصمت وشيحه بشار

ابن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه

(٥) حديث إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة : م من حديث أبي الدرداء

(٦) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون ابن أبي الدنيا باسناد جيد

وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع، فإن في اللفظ خطرا، لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبدع الملعون، وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى، ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلعه الله عليه والصفات المقتضية لللعن ثلاثة، الكفر، والبدعة، والفسق. وللعن في كل واحدة ثلاثة مراتب الأولى: اللعن بالوصف الأعم، كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين، والفسقة الثانية: اللعن بأوصاف أخص منه، كقولك لعنة الله على اليهود، والنصارى، والمجوس، وعلى القدرية، والخوارج، والروافض، وأعلى الزناة، والظلمة، وآكلى الربا، وكل ذلك جائز، ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر، لأن معرفة البدعة غامضة، ولم يرد فيه لفظ مأثور، فينبغي أن يمنع منه العوام، لأن ذلك يستدعى المعارضة بمثله، ويشير نزاعا بين الناس وفسادا الثالثة: اللعن للشخص المعين، وهذا فيه خطر. كقولك زيد لعنه الله، وهو كافر، أو فاسق، أو مبتدع والتفصيل فيه، أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا، فتجاوز لعنته. كقولك فرعون لعنه الله، وأبو جهل لعنه الله، لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا. أما شخص بعينه في زماننا، كقولك زيد لعنه الله، وهو يهودى مثلا فهذا فيه خطر. فإنه ربما يسلم؛ فيموت مقربا عند الله، فكيف يحكم بكونه ملعونا؟ فإن قلت. يلعن لكونه كافرا في الحال، كما يقال لامسلم رحمه الله لكونه مساهبا في الحال، وإن كان يتصور أن يرتد

فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله، أى ثبتته الله على الإسلام، الذى هو سبب الرحمة. وعلى الطاعة. ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة. فإن هذا سؤال للكفر، وهو في نفسه كفر. بل الجائز أن يقال، لعنه الله إن مات على الكفر ولا لعنه الله إن مات على الإسلام. وذلك غيب لا يدري، والمطلق متردد بين الجهتين، ففيه خطر، وليس في ترك اللعن خطر. وإذا عرفت هذا في الكافر، فهو في زيد الفاسق، أو زيد المبتدع أولى. فلعن الأعيان فيه خطر، لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر، ولذلك عين قوما باللعن، فكان يقول في دعائه على قريش، ^(١) «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ يَا بِي جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ وَعُتْبَةُ بْنُ رَيْبَعَةَ» وذكر جماعة

(١) حديث اللهم عليك يا ببي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة. متفق عليه من حديث ابن مسعود.

فدوا على الكفر بما روى حتى أن من لم يعلم عاقبته كان يلعبه فقهى عنه .^(١) إذ روى أنه كان يعلم الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا ، فنزل قوله تعالى (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) أو يتوب عليهم أو يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ^(٢)) يعني أنهم رجعوا بسلامون ، فمن أين تعلم أنهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر ، جاز لعنه ، و جاز ذمه ، إن لم يكن فيه أذى على مسلم فإن كان لم يختر ، كما روى^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مره ، وهو يريد الطائف . فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص ، فغضب ابنه عمرو بن سعيد ، وقال يا رسول الله ، هذا قبر رجل كان أطعم للطعام ، وأضرب للهام من أبي قحافة . فقال أبو بكر ، يكلمنى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام ! فقال صلى الله عليه وسلم « اكفُفْ عَنْ أَبِي بَكْرٍ » فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال « يَا أَبَا بَكْرٍ إِذَا ذَكَرْتُمُ الْكُفَّارَ فَعَمِّمُوا فَإِنَّكُمْ إِذَا خَصَصْتُمْ غَضِبَ الْأَبْنَاءُ لِلآبَاءِ » فكف الناس عن ذلك

^(٤) وشرب نعيان الخمر ، فخدمات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال بعض الصحابة ، لعنه الله ، ما أكثر ما يؤتى به . فقال صلى الله عليه وسلم « لَا تَكُنْ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ »

(١) حديث أنه كان يعلم الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء . الشيخان من حديث أسد عار رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا - الحديث : وفي رواية لهما قتلت شهرا يدعو على رعل وذكوان - الحديث : ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه - الحديث : وفيه اللهم العن لحيان ورعلا - الحديث : وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شيء لفظ م

(٢) حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مره وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه - الحديث : وفي الراصيل من رواية علي بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه اباسعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فإنه كان يحاهد الله ورسوله - الحديث : وفيه فاداسيتهم المشركين فسيوهم جميعا (٣) حديث شرب نعيان الخمر فخدمات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عونًا للشيطان على أخيك وفي رواية لا تقل هذا فإنه يحب الله ورسوله ابن عبد البرقي الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار

عَلَى أَخِيكَ ، وفي رواية « لَا تَقُلْ هَذَا فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » فهنا عن ذلك . وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه غير جائز

وعلى الجملة ، ففي لعن الأشخاص خطر ، فليجتنب . ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً . فضلاً عن غيره

فإن قيل : هل يجوز لعن يزيد ، لأنه قاتل الحسين أو أمره ،

قلنا : هذا لم يثبت أصلاً ، فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت ، فضلاً عن اللعنة ، لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق . نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليه ، وقتل أبو لؤلؤة عمر رضى الله عنهم ، فإن ذلك ثبت متواتراً . فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق . قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْكَفْرِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْفُسْقِ إِلَّا أَرْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « مَا شَهِدَ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ بِالْكَفْرِ إِلَّا بَأْبَهُ أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَافِرًا فَهُوَ كَمَا قَالَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا فَقَدْ كَفَرَ بِتَكْفِيرِهِ إِيَّاهُ » وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم . فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها ، كان مخطئاً لا كافراً . وقال معاذ ^(٣) قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَتَهَاكُ أَنْ تَشْتُمَ مُسْلِمًا أَوْ تَعْصِي إِمَامًا عَادِلًا »

والتعرض للأموال أشد . قال مسروق ، دخلت على عائشة رضى الله عنها ؛ فقالت ما فعل فلان لعنه الله ؟ قلت توفي . قالت رحمه الله ، قلت وكيف هذا ؟ قالت قال رسول الله

من رواية محمد بن عمرو بن حرم مرسلًا ومحمد هذا أولد في حياته صلى الله عليه وسلم وسماه محمداً وكناه عبد الملك والمخاري من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يقلب حماراً وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده في الشرب فأتى به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلغوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه لا تعينوا عليه الشيطان وفي رواية لا تكونوا عون الشيطان على أخيك

(١) حديث لا يرمى رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك : متفق عليه والسياق للمخاري من حديث أبي ذر مع تقديم ذكر الفسق

(٢) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحداهما أن كان كافراً فهو كافراً وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف

(٣) حديث معاذ أنه إذا أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً : أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل

صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا » وقال عليه السلام ^(٢) « لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا بِهِ الْأَحْيَاءَ » وقال عليه السلام ^(٣) « أَيُّهَا النَّاسُ احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي وَإِخْوَانِي وَأَصْهَارِي وَلَا تَسُبُّوهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ فَادْكُرُوا مِنْهُ خَيْرًا »

فإن قيل : فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله ؟ أو الأمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب أن يقال : قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله . لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة . فإن وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتله وهو كافر ، ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا . ولا يجوز أن يلعن . والقتل كبيرة ، ولا تنتهي إلى رتبة الكفر . فإذا لم يقيد بالتوبة وأطلق ، كان فيه خطر . وليس في السكوت خطر ، فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة ، وإطلاق اللسان بها . والمؤمن ليس بلعان . فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر ، أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين . فلا اشتغال بذكر الله أولى ، فإن لم يكن ، ففي السكوت سلامة . قال مكى بن إبراهيم ، كنا عند ابن عون ، فذكروا بلال بن أبي بردة ، فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه . وابن عون ساكت . فقالوا يا ابن عون ، إنما نذكركم لما ارتكب منكم ، فقال إنما هما كلمتان تخرجان من صحتي يوم القيامة . لا إله إلا الله ، ولعن الله فلانا . فلان يخرج من صحتي لا إله إلا الله ، أحب إلى من أن يخرج منها العن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) أوصني ، فقال « أوصيك أن لا تكون لعانًا »

(١) حديث عائشة لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا : يخوذك المصنف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في الزهد والرفائق مع القصة

(٢) حديث لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء : الترمذي من حديث المغيرة بن شعبه ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلا لم يسم

(٣) حديث أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولا تسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيرا : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عباد بن النصرى احفظوني في أصحابي وأصهارى وإسناده ضعيف وللشيعين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لا تسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللنسائي من حديث عائشة لا تذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد

(٤) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لا تكون لعانًا : أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في الآحاد والثاني من حديث جرير بن مزهر الهجيمي وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم

وقال ابن عمر ، إن أبغض الناس إلى الله كل طمان لمان ، وقال بعضهم ، لعن المؤمن يعدل قتله . وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا ، لو قلت إنه مرفوع لم أبال . وعن أبي قتادة ، قال ^(١) « كان يقال من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله . وقد نقل ذلك حديثاً سرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من لعن الدعاء على الإنسان بالشر ، حتى الدعاء على الظالم . كقول الإنسان مثلاً لا صحح الله جسمه ، ولا سامه الله ، وما يجري مجراه . فإن ذلك مذموم . وفي الخبر ^(٢) » « إِنَّ الْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى بُكَافَتْهُ ثُمَّ يَبْقَى لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ فَضْلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

الآفة التاسعة

الغناء والشعر

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل ، فلا تعيده أما الشعر ، فكلام حسن حسنه ، وقيحه قبيح . إلا أن التجرد له مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « لَأَنْ يَمْتَلِيْ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قِيحًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيْ شِعْرًا » وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر ، فكرهه ، فقيل له في ذلك ، فقال أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر . وسئل بعضهم عن شيء من الشعر ، فقال اجعل مكان هذا ذكراً ، فإن ذكر الله خير من الشعر .

وعلى الجملة : فإنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام ، إذا لم يكن فيه كلام مستكره . قال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ » نعم مقصود الشعر المدح ، والذم ، والتشبيب ، وقد يدخله الكذب . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٥) حسان بن ثابت

(١) حديث لعن المؤمن كقله : متفق عليه من حديث ثابت بن الصالح .

(٢) حديث أن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة : لم أقف له على أصل .

وللترمذي من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انتصر

﴿ الآفة التاسعة الغناء والشعر ﴾

(٣) حديث لأن يمتلي جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير من أن يمتلي شعراً : مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص واتفق عليه

الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه والبخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد

(٤) حديث أن من الشعر لحكمة : تقدم في العلم وفي آداب السماع

(٥) حديث أمره حساناً أن يهجو المشركين : متفق عليه من حديث البراء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان

أهجهم وجبريل معك

الانصارى بهجاء الكفار . والنوسع في المدح ، فإنه وإن كان كاذبا ، فإنه لا يلتحق
في التحريم بالكذب . كقول الشاعر

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاء بها فليشوق الله ما مثله

فإن هذا عبارة عن اوصاف بهاية السخاء . فإن لم يكن صاحبه سخيا ، كان كاذبا . وإن
كان سخيا . فالمبالغة من صنعة الشعر ، فلا يقصد منه أن يعتقد صورته . وقد أنشدت أبيات
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو تتبعته ، لوجد فيها مثل ذلك ، فلم يمنع منه
قالت عائشة رضي الله عنها : ^(١) ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ، وكنت
جالسة أغزل فنظرت إليه ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نورا ، قالت فهت :
فنظر إلى فقال « مَا لَكَ يَهْتَ ؟ » فقلت يارسول الله ، نظرت إليك ، فجعل جبينك يعرق
وجعل عرقك يتولد نورا ، ولورأك أبو كبير الهذلي ، لعلم أنك أحق بشعره . قال « وَمَا
يَقُولُ يَا عَائِشَةُ أَبُو كَبِيرٍ الْهَذَلِيُّ ؟ » قلت يقول هذين البيتين

ومبرا من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده ، وقام إلى ، وقبل ما بين عيني ، وقال « جَزَاكَ
اللهُ خَيْرًا يَا عَائِشَةُ مَا سُرِرْتَ مِنِّي كَسُرُورِي مِنكَ » ^(٢) ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغنائم يوم حنين ، أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص ، فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره

(١) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل جبينه

يعرق وجعل عرقه يتولد نورا - الحديث : وفيه انشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي

ومبرا من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل

فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

إلى آخر الحديث : رواه البيهقي في دلائل النبوة

(٢) حديث لما قسم الغنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص وفي آخره شعره

وما كنت بدر ولا حابس يسودان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه - الحديث : مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى

رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفان بن حرب وصفوان بن أمية وعبيدة بن حصن والأقرع

ابن حابس كل انسان منهم مائة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

وما كان بدر ولا حابس . يسودان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرىء منها . ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال صلى الله عليه وسلم « افطموا عني لسانه » فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه
حتى اختار مائة من الإبل ، ثم رجع وهو من أرضى الناس . فقال له صلى الله عليه وسلم
« أَتَقُولُ فِي الشَّعْرِ ؟ » فجعل يعتذر إليه ويقول ، بأبي أنت وأمي ، إني لأجد للشعر ديبا
على لساني كديب النمل ، ثم يقرضني كما يقرص النمل ، فلا أجديدا من قول الشعر . فتبسم
صلى الله عليه وسلم وقال « لَا تَدْعُ الْعَرَبُ الشَّعْرَ حَتَّى تَدْعَ الْإِبِلُ الْحَنِينَ »

الآفة العاشرة

المزاح

وأصله مذموم منهي عنه ، إلا قدرا يسيرا يستثنى منه . قال صلى الله عليه وسلم
(١) « لَا تَمَارِ أَخَاكَ وَلَا تَمَارِحُهُ »

فإن قلت : المماراة فيها إيذاء ، لأن فيها تكديبا للأخ والصديق ، أو تجهيلا له ، وأما المزاح
فقطاية ، وفيه البساط وطيب قلب ، فلم ينهي عنه ؟
فاعلم . أن المنهى عنه الإفراط فيه ، أو المداومة عليه
لأما المداومة ، فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه ، واللعب مباح ، ولكن المواظبة عليه مذمومة
وأما الإفراط فيه ، فإنه يورث كثرة الضحك ، وكثرة الضحك تيمت القلب ، وتورث
الضعف في بعض الأحوال ، وتسقط المهابة والوقار . فما ينخلو عن هذه الأمور فلا يذم ،

أنجعل نهى وهب البعيد بين عيبة والأمرع
وما كان بدر ولا حابس . يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرىء منها . ومن تضع اليوم لا يرفع
قال فأنم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزادني رواية وأعطى علقمة بن علانة مائة وأما زيادة
أقطعوا عني لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة
(الآفة العاشرة المزاح)

(١) حديث لا تمار أخاك ولا تمارحه : الترمذي وقد تقدم

ثم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ^(١) « إِنِّي لَا مَزْحٌ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا . وأما غيره إذا فتح باب المزاح ، كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِنَ النَّارِ »

وقال عمر رضى الله عنه ، من كثر ضحكك ، قلت هيئته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا »

وقال رجل لأخيه يا أخى ، هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال . فهل أتاك أنك خارج منها ؟ قال : لا قال . فقيم الضحك ؟ قيل فما رئي ضاحكا حتى مات ، وقال يوسف بن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك . وقيل : أقام عطاء السلمي أربعين سنة لم يضحك . ونظر وهيب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر ، فقال : إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين . وكان عبد الله بن أبي بعلى يقول ، أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار ! وقال ابن عباس ، من أذنب ذنبا وهو يضحك ، دخل النار وهو يبكي . وقال محمد بن واسع : إذا رأيت في الجنة رجلا يبكي ، ألسنته تعجب من بكائه ؟ قيل بلى ، قال . فالذى يضحك في الدنيا ولا يدرى إلى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك . والمذموم منه أن يستغرق ضحكا . والمحمود منه التبسم الذى ينكشف فيه السن ، ولا يسمع له صوت . وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) قال القاسم مولى معاوية ^(٥) أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، على قلوص له صعب

(١) حديث أنى امزح ولا أقول إلا حقا : تقدم

(٢) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من النرا : تقدم

(٣) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا : متفق عليه من حديث أنس وعائشة

(٤) حديث كان ضحكه التبسم : تقدم

(٥) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل

كلما دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله فيفربه وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه

فسلم ، فجعل كلسا دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله ، يقربه ، فبعضل أصحابه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه . ففعل ذلك حرارا ثم وقصه فقتلوه قتيلا
يارسول الله ، إن الأعرابي قد صرعه قلوبسه ، وقد هلك . فقال : « كذبتم وأفواهاكم ملائ من دمه »
وأما أداء المزاح إلى سقوط الوقار ، فقد قال عمر رضي الله عنه ، من مزح امتنع به
وقال محمد بن المنكدر ، قالت لي أمي ، يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عندهم . وقال سعيد
ابن العاص لابنه ، يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الديناء فيجتريء عليك . وقال
عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، اتقوا الله وإياكم والمزاح ، فإنه يورث الضغينة ، ويجر
إلى القبيح . تحدثوا بالقرءان ، وتجالسوا به ، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث
الرجال . وقال عمر رضي الله عنه . أتدرون لم سمي المزاح مزاحا ؟ قالوا لا . قال
لأنه أزاح صاحبه عن الحق . وقيل لكل شيء بذور ، وبذور العداوة المزاح . ويقال
المزاح مسلبة للنهي ، مقطعة للأصدقاء .

فإن قلت . قد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه
فأقول . إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهو أن
تمزح ولا تقول إلا حقا ، ولا تؤذي قلبا ، ولا تفرط فيه ، وتقتصر عليه أحيانا على الندور
فلا حرج عليك فيه . ولكن من الغلط العظيم ، أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب
عليه ، ويفرط فيه ، ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم . وهو كمن يدور بهاره
مع الزوج ، ينظر إليهم وإلى رقصهم ، ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن
لعاثشة في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد . وهو خطأ . إذ من الصغائر ما يصير
كبيرة بالإصرار ، ومن المباحات ما يصير صغيرة بالإصرار . فلا ينبغي أن يغفل عن هذا

ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله قتيلا يارسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوبسه فهلك

قال نعم وأفواهاكم ملائ من دمه : ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل

(١) حديث أذنه لعاثشة في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد : تقدم

نعم روى أبو هريرة ^(١) أنهم قالوا يا رسول الله، إنك تداعبنا، فقال «إِنِّي وَإِنْ دَاعَبْتُكُمْ لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» وقال عطاء ^(٢) «إِنْ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ، أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَزَحُّ؟ فَقَالَ نَعَمْ. قَالَ فَمَا كَانَ مَزَاحِهِ؟ قَالَ كَانَ مَزَاحَهُ: إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَا ذَاتَ يَوْمٍ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ ثَوْبًا وَاسِعًا، فَقَالَ لَهَا «الْبَسِيهِ وَأَخَذِي، وَجَرِّي مِنْهُ ذَيْلًا كَذِيلَ الْتُرُوسِ»، وقال أنس، إن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) كان من أفكك الناس مع نسائه. وروى ^(٤) أنه كان كثير التبسم. وعن الحسن ^(٥) قال، أنت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لها صلى الله عليه وسلم «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ» فبكت فقال «إِنَّكَ لَسِتِ بِعَجُوزٍ يَوْمَئِذٍ» قال الله تعالى (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ^(٦))

وقال زيد بن أسلم ^(٦) إن امرأة يقال لها أم أيمن، جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت، إن زوجي يدعوك. قال «وَمَنْ هُوَ؟ أَهُوَ الَّذِي بَعَيْنِهِ بَيَاضٌ؟» قالت والله ما بعينه بياض. فقال «بَلَى إِنَّ بَعَيْنَهُ بَيَاضًا» فقالت لا والله. فقال صلى الله عليه وسلم «مَا مِنْ نَحْوِهِ إِلَّا وَبَعَيْنُهُ بَيَاضٌ» وأراد به البياض المحيط بالحدقة. وجاءت امرأة أخرى فقالت ^(٧) يا رسول الله، احملي على بعير. فقال «بَلْ نَحْمِلُكَ عَلَى ابْنِ الْبَعِيرِ» فقالت ما أصنع به؟ لأنه لا يحملني. فقال صلى الله عليه وسلم «مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا وَهُوَ ابْنُ بَعِيرٍ» فكان يزح به

(١) حديث أبي هريرة قالوا أنك تداعبنا قال أنى وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقاً: الترمذى وحسنه

(٢) حديث عطاء بن رطل سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزح فقال ابن عباس نعم - الحديث:

فذكر منه قوله لامرأة من نسائه البسية واحمدى وجرى منه ذيل كذيل العروس لم أقف عليه

(٣) حديث أنس كان من أفكك الناس: تقدم

(٤) حديث أنه كان كثير التبسم

(٥) حديث الحسن لا يدخل الجنة عجوز: الترمذى في الشمائل هكذا مرسلًا وأستدله ابن الجوزى في الوفاء

من حديث أنس بسند ضعيف

(٦) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوك أهو الذى بعينه بياض - الحديث: الزبير

ابن بكار في كتاب الفكاهة والزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن سهم الفهرى مع اختلاف

(٧) حديث قوله لامرأة استحملتة نحمالك على ابن البعير - الحديث: ابو داود والترمذى وصححه من حديث

أنس بلفظ أنا حملك على ولد الباقه

وقال أنس ، كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير^(١) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول « يَا أَبَا عَمِيرٍ مَا فَعَلَ التَّغْيِيرُ » لنغير كان يلعب به وهو فرخ المصفور ، وقالت عائشة رضى الله عنها^(٢) ، خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال « تَعَالِي حَتَّى أُسَاقِكَ » فشددت درعى على بطنى ، ثم خططنا خطا ، فقمنا عليه واستبقنا ، فسبقنى . وقال « هَذِهِ مَكَانُ ذِي الْمَجَازِ » وذلك أنه جاء يوما ونحن بذى المجاز ، وأنا جارية قد بعثنى أبى بشيء ، فقال أعطينيهِ ، فأبيت وسعيت ، وسعى فى أثرى ، فلم يدر كنى . وقالت أيضا^(٣) ، سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ، فلما حملت اللحم سابقنى فسبقنى وقال « هَذِهِ بَيْتُكَ » وقالت أيضا رضى الله عنها^(٤) ، كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسودة بنت زمعة ، فصنعت حريرة وجئت به ، فقلت لسودة كلنى . فقالت لا أحبه ، فقلت والله لتأكلن أولاً لطنخ به وجهك ، فقالت ما أنا بذاتقة . فأخذت يدي من الصحيفة شيئاً منه . فلطخت به وجهها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بينى وبينها . فنفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد منى . فتناولت من الصحيفة شيئاً ، فمسحت به وجهى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروى أن الضحاك بن سفيان السكلابى ،^(٥) كان رجلاً دميماً قبيحاً ، فلما بايعه النبي صلى الله عليه وسلم ، قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء ، وذلك قبل أن تنزل

(١) حديث أنس أبا عمير ما فعل التغير : متفق عليه وسعد فى أخلاق النبوة

(٢) حديث عائشة فى مسابقتها صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر فسبقها وقال هذه مكان ذى المجاز : لم أجده أصلاً ولم تكن عائشة معه فى غزوة بدر

(٣) حديث عائشة سابقنى فسبقته : النسائى وابن ماجه وقد تقدم فى النكاح

(٤) حديث عائشة فى لطنخ وجه سودة بحريرة ولطنخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة وأبو يعلى باسناد جيد

(٥) حديث أن الضحاك بن سفيان السكلابى قال عندى امرأتان أحسن من هذه الحميراء أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أى أحسن أم أنت فقال بل أبا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميماً : الزبير بن بكار فى الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسل أو معضلاً وللماروطى نحو هذه القصة مع عينة ابن حصن الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبى هريرة

آية الخجاء ، أفلا أنزل لك عن إحدائنا فتزوجها ، وعائشة جالسة تسمع فقالت ، أهي أحسن أم أنت ؟ فقال بل أنا أحسن منها وأكرم . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه ، لأنه كان ديباً

وروى علقمة عن أبي سلمة ^(١) ، أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن علي عليها السلام ، فيرى الصبي لسانه ، فيهش له . فقال له عيينة بن بدر الفزاري ، والله ليكونن لي الابن قد تزوج ، وبقل وجهه ، وما قبلته قط . فقال صلى الله عليه وسلم « إِنْ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ » فأكثر هذه المطايات منقولة مع النساء والصبيان . وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم ، من غير ميل إلى هزل . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) مرة لصهيب وبه رمد ، وهو يأكل تمرًا « أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وَأَنْتَ رَمِدٌ ؟ » فقال : إنما آكل بالشق الآخر يارسول الله . فتبسم صلى الله عليه وسلم . قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه .

وروى ^(٣) أن خوات بن جبير الأنصاري كان جالساً إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة . فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا لَكَ مَعَ النَّسْوَةِ ؟ » فقال يفتلن ضفيراً لجل لي شرود . قال فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ، ثم عاد

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي لسانه فيهش إليه فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم : أبو يعلى من هذا الوجه دون ما في آخره من قول عيينة ابن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب في المبهات قول ابن في قائل ذلك أحدها أنه عيينة بن حصن والثاني أنه الأفرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأفرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم

(٢) حديث قال لصهيب وبه رمد أنا كل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل على الشق الآخر فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم : ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات

(٣) حديث أن خوات بن جبير كان جالساً إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيراً لجل لي شرود . الحديث : الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة بن عمرو

الآفة الحادية عشرة

وهذا محرم مهما كان مؤذيا، كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ

﴿ الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء ﴾

عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءَ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ^(١)) ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير ، والتنبيه على العيوب والنقائص ، على وجه يضحك منه . وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء . وإذا كان بحضرة المستهزأ به ، لم يسم ذلك غيبة ، وفيه معنى الغيبة . قالت عائشة رضي الله عنها ، ^(١) « حاكيت إنسانا ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم » وَاللَّهِ مَا أَحَبُّهُ أَنْتِ حَاكِتُ إِنْسَانًا وَلِي كَذَا وَكَذَا » وقال ابن عباس في قوله تعالى : (يَا وَدَّعْنَا مَالَهُذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ^(٢))) إن الصغيرة التبدسم بالاستهزاء بالموثمين ، والكبيرة التفهيم بذلك . وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبد الله بن زمعة ^(٣) أنه قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ، فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال « عَلَامَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ ! » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِنَّ الْمُسْتَهْزَيْنِ بِالنَّاسِ يُفْتَحُ لِأَحَدِهِمْ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقَالُ هَلُمَّ هَلُمَّ فَيَجِيءُ بِكَرْبِهِ وَغَمِّهِ فَإِذَا أَتَاهُ أُغْلِقَ دُونَهُ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ آخَرٌ فَيَقَالُ هَلُمَّ هَلُمَّ فَيَجِيءُ بِكَرْبِهِ وَغَمِّهِ فَإِذَا أَتَاهُ أُغْلِقَ دُونَهُ فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْتَحُ لَهُ الْبَابُ فَيَقَالُ لَهُ هَلُمَّ هَلُمَّ فَلَا يَأْتِيهِ » وقال معاذ بن جبل ^(٤) قال النبي صلى الله عليه وسلم « مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ » وكل هذا يرجع إلى استحقاق الغير ، والضحك عليه استهانة به واستصغاره . وعليه نبه قوله تعالى (عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ^(٣)) أي لا تستحقره استصغارا ، فلعله خير منك . وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به .

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرنى إلى حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا : أبو داود والترمذي وصحه

(٢) حديث عبد الله بن زمعة وعظهم في الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدهم مما يفعل : متفق عليه

(٣) حديث أن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجىء بكربه وغمه فإذا جاء أغلق دونه - الحديث : ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسل ورويناه في غايات الجيب

من رواية أبي هذبة أحد الهالكين عن أنس

(٤) حديث معاذ بن جبل من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله : الترمذي دون قوله قد تاب معه وقال حسن عريب وليس أسناده متصل قال الترمذي قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه

(١) الحجرات : ١١ (٢) الكهف : ٤٩ (٣) الحجرات : ١١

فاما من جعل نفسه مسخرة ، وربما فرح من أن يسخر به ، كانت السخرية في حقه من جملة المزاح . وقد سبق ما ينم منه وما يمدح . وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون ، وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخطى فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة ، كالضحك على خطئه ، وعلى صنعيته ، أو على صورته وخلقه إذا كان قصيرا ، أو ناقصا لعيب من العيوب . فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها

الآفة الثانية عشرة

إفشاء السر

وهو منهى عنه ، لما فيه من الإيذاء ، والتهاون بحق المعارف والأصدقاء . قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ انْتَفَتَ فِيهِ أَمَانَةٌ » وقال ^(٢) « الْحَدِيثُ بَيْنَكُمْ أَمَانَةٌ » وقال الحسن : إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك

ويروى أن معاوية رضي الله عنه ، أسر إلى الوليد بن عتبة حديثا . فقال لأبيه ، يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثا ، وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيرك . قال فلا تحدثني به ، فإن من كتم سره كان الخيار إليه ؛ ومن أفشاه كان الخيار عليه . قال . فقلت يا أبت ، وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه ؟ فقال : لا والله يا بني ، ولكن أحب أن لا تدلل لسانك بأحاديث السر . قال : فأتيت معاوية فأخبرته ، فقال . يا وليد ، أعتقك أبوك من رق الخطأ إفشاء السر خيانة ، وهو حرام إذا كان فيه إضرار ، ولو لم يكن فيه إضرار . وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة ، فأغنى عن الإعادة

الآفة الثالثة عشرة

الوعد الكاذب

فإن اللسان مباح إلى الوعد ، ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء ، فيصير الوعد خلفا ، وذلك

﴿ الآفة الثانية عشرة إفشاء السر ﴾

(١) حديث اداحدث الرجل بحديث ثم انتفت فهي أمانة: أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر

(٢) حديث الحديث بينكم أمانة: ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسل

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

من أمارات النفاق قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ^(١)) وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « الْعِدَّةُ عَظِيمَةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « الْوَأْيُ مِثْلُ الدِّينِ أَوْ أَفْضَلُ » والوأي الوعد . وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام ، في كتابه العزيز ؛ فقال (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ^(٤)) قيل إنه وعد إنسانا في موضع ، فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي . فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره .

ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال ، إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان منى إليه شبه الوعد ، فوالله لا ألقى الله بثلاث النفاق ، أشهدكم أني قد زوجته ابنتي ^(٥) وعن عبد الله بن أبي الحنفية قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية ، فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك ، فنسيت يومى والغد ، فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه ، فقال « يَا قَتِي لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَهُنَا مِنْذُ ثَلَاثٍ أَتَنْتَظِرُكَ » وقيل لإبراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء . قال . ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٦) إذا وعد وعدا قال « عَسَى » وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله ، وهو الأولى ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد ، فلا بد من الوفاء ، إلا أن يتعذر . فإن كان عند الوعد عازما على أن لا يفي ، فهذا هو النفاق .

وقال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٧) « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَاقِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اتَّعَمَّنَ خَانَ »

(١) حديث العدة عطية : الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من

حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطي في مكارم الأخلاق

من حديث الحسن مرسل

(٢) حديث الوأي مثل الدين أو أفضل : ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن أبي طيبة مرسل وقال الوأي

يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف

(٣) حديث عبد الله بن أبي الحنفية بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك

فنسب يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني قد شققت على أنا ههنا منذ

ثلاث انتظرلك : رواه أبو داود واختلف في اسناده وقال ابن مهدي ما اثنان إبراهيم

ابن طههاب إلا خطأ فيه

(٤) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى : لم أحمله أصلا

(٥) حديث ابن هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق - الحديث : وفيه إذا وعد اخلف متفق عليه وقد تقدم

(١) للمائدة : ١ (٢) مريم : ٥٤

وقال عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « أَرْنَعُ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُمْ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَّعِيَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف ، أو ترك الوفاء عن غير عذر . فأما من عزم على الوفاء ، فعن له عذر منعه من الوفاء ، لم يكن منافقا ، وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق .

ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضا ، كما يحترز من حقيقته . ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاضرة ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) ، كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما ، فأثنى بثلاثة من السبي ، فأعطى اثنين وبقى واحد فأثت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول . ألا ترى أثر الرحي يبدى ؟ فذكر مواعده لأبي الهيثم ، فجعل يقول « كَيْفَ بِنَوْعِدِي لِأَبِي الْهَيْثَمِ » فأثره به على فاطمة ، لما كان قد سبق من مواعده له ، مع أنها كانت تدير الرحي يدها الضميفة .

^(٣) ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بجنين ، فوقف عليه رجل من الناس ، فقال إن لى عندك موعدا يا رسول الله ، قال « صَدَقْتَ فَأَحْتَكِمُ مَا شِئْتَ » فقال أحكم ثمانين ضائبة وراعيها . قال « هِيَ لَكَ » وقال « أَحْتَكِمْتَ بِسِيرًا وَلَصَاحِبَةٌ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي دَلَّتْهُ عَلَى عِظَامِ يُوسُفَ كَانَتْ أَحْزَمَ مِنْكَ وَأَجْزَلَ حُكْمًا مِنْكَ حِينَ حَكَمَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَتْ حُكْمِي أَنْ تَرُدَّنِي شَابَةً وَأَدْخُلَ مَعَكَ الْجَنَّةَ »

(١) حديث عبدالله بن عمرو اربع من كن فيه كان منافقا - الحديث منفق عليه

(٢) حديث كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فأثنى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقى واحد فجاءت فاطمة تطلب منه - الحديث : وفيه فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم فأثره به على فاطمة تقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذيين من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة

(٣) حديث انه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بجنين فوقف عليه رجل فقال ان لى عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ما شئت - الحديث : وفيه لصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك - الحديث : ابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلافه قال الحاكم صحيح الاسناد وفيه نظر

قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلاً ، فقيل أشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَيْسَ الْخُلْفُ أَنْ يَعْدَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ وَفِي نَيْتِهِ أَنْ يَبْنَى » وفي لفظ آخر « إِذَا وَعَدَ الرَّجُلُ أَخَاهُ وَفِي نَيْتِهِ أَنْ يَبْنَى فَلَمْ يَجِدْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ »

الآفة الرابعة عشرة

الكذب في القول واليمين

وهو من قبائح الذنوب : وفواحش العيوب . قال اسماعيل بن واسط ، سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال . ^(٢) ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ، ثم بكى وقال « إِبَّاءُكُمْ وَالْكَذِبُ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ » وقال أبو أمامة . ^(٣) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الْكَذِبَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النِّفَاقِ » وقال الحسن . كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والملاينة ، والقول والعمل ، والمدخل والمخرج ، وإن الأصل الذى بنى عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام ^(٤) « كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهٍ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ

(١) حديث ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يبنى وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يبنى فلم يجد فلا إثم عليه : أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثانى الا أنهما قالا فليخف

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

- (٢) حديث أبى بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال إياكم والكذب - الحديث : ابن ماجه والنسائى فى اليوم والايالة وجعله المصنف من رواية اسماعيل بن أوسط عن أبى بكر وإماماه هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط واسناده حسن
- (٣) حديث أبى أمامة ان الكذب باب من ابواب النفاق : ابن عدى فى الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى الوجيى ضعيف جدا ويغنى عنه قول صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال فى كل منهما وإذا حدث كذب وهما فى الصحيحين وقد تقدم فى الآفة التى قبلها
- (٤) حديث كبرت خيانة ان تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له كاذب : البخارى فى كتاب الأدب المفرد وأبو داود من حديث سفيان بن اسيد وضعفه ابن عدى ورواه احمد والطبرانى من حديث النوايس بن سمعان باسناد جيد

به كاذب» وقال ابن مسعود ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا »

^(٢) ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاه ويتحالفان ، يقول أحدهما والله لا أتقصك من كذا وكذا ، ويقول الآخر - والله لا أزيدك على كذا وكذا - فر بالشاة وقد اشتراها أحدهما . فقال « أَوْجَبَ أَحَدُهُمَا بِالْإِيمِ وَالْكَفَّارَةِ » وقال عليه السلام ^(٣) « الْكَذِبُ يُنْقِصُ الرِّزْقَ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) « إِنَّ الثَّجَارَ هُمُ الْفَجَّارُ » فقيل يا رسول الله ، أليس قد أجَلَ اللهُ البيع ؟ قال « نَعَمْ وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْتُمُونَ وَيُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) ، « ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الْمَنَانُ بَعْطِيَّتُهُ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ وَالْمُسْبِلُ إِزَارُهُ »

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٦) « مَا حَلَفَ خَالِفٌ بِاللَّهِ فَأَدْخَلَ فِيهَا مِثْلَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلَّا كَانَتْ نُكْتَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وقال أبو ذر ^(٧) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ كَانَ فِي فِتْنَةٍ فَنَصَبَ نَحْرَهُ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ »

(١) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا : متفق عليه

(٢) حديث مر برجلين يتبايعان شاه ويتحالفان - الحديث : وفيه فقال اوجب احدهما بالايمة والكفارة

ابو الفتح الازدي في كتاب الاسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناه (في إسناده) ابن سمعون وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال ابو حاتم هو عبد الله بن ناسخ

(٣) حديث السكذب ينقص الرزق : أبو الشيخ في طبقات الاصبهانين من حديث أبي هريرة ورويناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر واسناده ضعيف

(٤) حديث ان الثجار هم الفجار - الحديث : وفيه ويحدثون يكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل

(٥) حديث ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم المنان بعطيته والمتفق سلعت بالحلِف الكاذب والسبل ازاره : مسلم من حديث أبي ذر

(٦) حديث ما حلف خالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصحح اسناده من حديث عبد الله بن أنيس

(٧) حديث أبي ذر ثلاثة يحبهم الله - الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلاف أحمد واللفظ له وفيه ابن الاحمسن ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائي بلفظ اخر باسناد جيد والنسائي من

حديث أبي هريرة أربعة يفضهم الله البيع الخلاف - الحديث : واسناده جيد

وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ جَارُ سَوْءٍ يُؤْذِيهِ فَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا مَوْتٌ أَوْ ظَنَنْ وَرَجُلٌ كَانَ مَعَهُ قَوْمٌ فِي سَفَرٍ أَوْ مَرِيَّةٍ فَأَطَالُوا السَّرَى حَتَّى أَعْجَبَهُمْ أَنْ يَمْشُوا الْأَرْضَ فَزَلُّوا قَتَنَحَى يُسَلُّ حَتَّى يُوْقِفَ أَصْحَابَهُ لِلرَّحِيلِ . وَثَلَاثَةٌ يَشْنُوهُمْ اللَّهُ التَّاجِرُ أَوْ الْبَيَّاعُ الْخِلَافُ وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَلُ وَالْبَخِيلُ الْمَنَانُ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ »

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « رَأَيْتُ كَانَّ رَجُلًا جَاءَنِي فَقَالَ لِي قُمْ فَقُمْتُ مَعَهُ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا قَائِمٌ وَالْآخَرُ جَالِسٌ بِيَدِ الْقَائِمِ كَلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُلْقِمُهُ فِي شِدْقِ الْجَالِسِ فَيَجْذِبُهُ حَتَّى يَبْلُغَ كَاهِلَهُ ثُمَّ يَجْذِبُهُ فَيُلْقِمُهُ الْجَانِبَ الْآخَرَ فَيَمْدُهُ فَإِذَا مَدَّهُ رَجَعَ الْآخَرُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ لِلَّذِي أَقَامَنِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ هَذَا رَجُلٌ كَذَّابٌ يُعَذِّبُ فِي قَبْرِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وعن عبد الله بن جراد قال ، ^(٣) سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله ، هل يزني المؤمن ؟ قال « قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ » قال يابني الله ، هل يكذب المؤمن قال لا . ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ^(٤)) وقال أبو سعيد الخدري : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٥) يدعو فيقول في دعائه « اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ وَفَرِّجْ لِي مِنَ الزَّنَا وَلِلسَانِي مِنَ الْكَذِبِ »

(١) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له : أبو داود الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده

(٢) حديث رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقمتم معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقيمه في شدة الجالس - الحديث : البخاري من حديث ميمونة ابن جندب في حديث طويل

(٣) حديث عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا - الحديث : ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصر على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء

(٤) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرج لي من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الأحياء عن ابن سعيد وأما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله وفرج لي من الزنا وزاد وعلى من الرياء وعني من الحياة وإسناده ضعيف

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ سَيِّخُ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ» وقال عبد الله بن عامر، ^(٢) جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير، فذهبت لألعب، فقالت أمي، يا عبد الله، تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم «وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟» قالت تمار فقال «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي لَكُنْتِ عَلَيْكِ كَذْبَةً» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) «لَوْ أَفَاءَ اللَّهُ إِلَيَّ نِعْمًا عَدَدَ هَذَا الْحَصَى لَقَسَمْتُهَا بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخِيَلًا وَلَا كَذَّابًا وَلَا جَبَانًا» وقال صلى الله عليه وسلم، وكان متكئا، ^(٤) «أَلَا أُنبِّئُكُمْ يَا كَبِيرَ الْكِبَائِرِ؟ الْإِشْرَافُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» ثم قعد وقال «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» وقال ابن عمر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٥) «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ فَيَتَّبَعُهُ الْمَلِكُ عَنْهُ مَسِيرَةٌ مِيلٌ مِنْ نَتْنٍ مَا جَاءَ بِهِ» وقال أنس ^(٦) قال النبي صلى الله عليه وسلم «تَقَبَّلُوا إِلَيَّ يَسْتَأْتِبُنْ لَكُمْ بِالْحَنَةِ» فقالوا وما هن؟ قال «إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ وَإِذَا أَتَيْتُمْ فَلَا يَحْنُ وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ»

(١) حديث ثلاثه لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم - الحديث : وفيه والامام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب

فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت تمار فقال ان لم تفعل

كنت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم ان عبد الله بن عامر رآه

في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه قلت وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود

ورجالهما ثقان الا أن الرهري لم يسمع من أبي هريرة

(٣) حديث لو أفاء الله على نعمة عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جباناً: رواه

مسلم ونقدم في أخلاق النبوة

(٤) حديث ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - الحديث : وفيه ألا وقول الرومر متفق عليه من حديث أبي بكر

(٥) حديث ابن عمر ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعه الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به

الترمذي وقال حسن غريب

(٦) حديث أنس أتقبل لكم بالحنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب - الحديث : الحاكم في

المستدرک والحرائطي في مكارم الأخلاق وفيه سعد بن سنان ضعفه أحمد والنسائي ووثقه ابن

معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال صحيح الاسناد

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنَّ الشَّيْطَانَ كَحَلَاءٌ وَتَمُوقًا وَنَشُوقًا أَمَّا لَعُوقُهُ فَالْكَذِبُ وَأَمَّا نَشُوقُهُ فَالْعُصْبُ وَأَمَّا كَحَلَاءُهُ فَالنَّوْمُ »

وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال ^(٢) ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقياي هذا فيكم ، فقال « أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلَوْنَهُمْ ثُمَّ يَفْشُوا الْكَذِبَ حَتَّى يَخْجَفَ الرَّجُلُ عَلَى الْيَمِينِ وَلَمْ يُسْتَخْلَفْ وَيَشْهَدْ وَلَمْ يُسْتَشْهَدْ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) « مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ »

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِأَنَّهُ لَيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ أَمْرِي مُسْلِمٍ بَغْيٍ حَقٌّ أَتَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٥) ، أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٦) « كُلُّ خَصْلَةٍ يُطْبَعُ أَوْ يَطْوَى عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ »

وقالت عائشة رضي الله عنها ^(٧) ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب ، فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها .

(١) حديث أن الشيطان كحلأ ولعوقا - الحديث : الطبراني وأبو يعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم

(٢) حديث خطب عمر بالجالية - الحديث : وفيه ثم يهشوا الكذب الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر

(٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين مسلم في مقدمة صحيحة من حديث حمزة بن جندب

(٤) حديث من حلف على يمين ما ثم ليقطع بها مال امرئ مسلم - الحديث : منفق عليه من حديث ابن مسعود

(٥) حديث أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها : ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسلا وموسى روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل

(٦) حديث على كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب : ابن أبي شيبة في الصنف من حديث أبي امامة ورواه ابن عدى في مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي امامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفا وللوقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في العلل

(٧) حديث ما كان من خلق الله شيء أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة أحمد من حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه ابن الشيخ في الطبقات فقال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح

وقال موسى عليه السلام : يارب ، أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ، ولا يفجر قلبه ، ولا يزني فرجه . وقال لقمان لابنه يابني ، إياك والكذب ، فإنه شقي كلحم العصفور ، عما قليل يقلاه صاحبه .

وقال عليه السلام في مدح الصدق ^(١) « أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا يَضُرُّكَ مَا فَاتَكَ مِنْ الدُّنْيَا صِدْقُ الْحَدِيثِ وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ وَحُسْنُ خُلُقٍ وَعِفَّةٌ طُعْمَةٌ » وقال أبو بكر رضي الله عنه ^(٢) في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقامي هذا عام أول ؛ ثم بكى وقال « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ » وقال معاذ . قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَبَدَلِ السَّلَامِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ »

وأما الآثار فقد قال علي رضي الله عنه أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه . ما كذبت كذبة منذ شددت عليّ إزارى . وقال عمر رضي الله عنه ، أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم اسما فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اخترناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة وعن ميمون بن أبي شبيب قال ، جلست أكتب كتابا ، فأتيت على حرف إن أنا كتبت زينت الكتاب وكنت قد كذبت ، فمزمت على تركه فنوديت من جانب البيت (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ^(٣)) وقال الشعبي ما أدرى أيهما أبعث غورا في النار ، الكذاب أو البخيل . وقال ابن السكك ، ما أراني أو جرت علي ترك الكذب ، لأنني إنما أدعه أنفة

(١) حديث أربع إذا كن فيك فلا يضررك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث .. الحديث : الحاكم

والحرانطي في مكارم الاخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن لهيعة

(٢) حديث أبي بكر عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة ابن ماحه والنسائي في اليوم والليلة وقد

تقدم بعضه في أول هذا النوع

(٣) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث : أبو نعيم في الحلية وقد تقدم

وقيل لخالد بن صبيح، أيسى الرجل كاذبا بكذبة واحدة؟ قال نعم . وقال مالك بن دينار ،
قرأت في بعض الكتب ، مامن خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله ، فإن كان صادقا
صدق ، وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بنقاريض من نار ، كلما قرضتا نبتتا . وقال مالك
ابن دينار ، الصدق والكذب يعتركان في القلب ، حتى يخرج أحدهما صاحبه . وكلم يهر
ابن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء ، فقال له كذبت . فقال عمر ، والله ما كذبت منهذ
عاشت أن الكذب يشين صاحبه

بيان

ما رخص فيه من الكذب

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره . فإن أقل
درجاته أن يعتقد الخبر الشئ على خلاف ما هو عليه ، فيكون جاهلا ، وقد يتعلق به ضرر غيره .
ورب جهل فيه منفعة ومصلحة . فالكذب محصل لذلك الجهل ، فيكون مأذونا فيه ، وربما
كان واجبا ، قال ميمون بن مهران ، الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ، رأيت لو أن
وجلاسمى خلف إنسان بالسيف ليقتله ، فدخل دارا ، فأنهى إليك فقال رأيت فلانا ؟ ما كنت
قائلا ؟ ألتست تقول لم أره ، وما تصدق به ؟ وهذا الكذب واجب

فقول : الكلام وسيلة إلى المقاصد . فكل مقصود محمود ، يمكن التوصل إليه بالصدق
والكذب جميعا ، فالكذب فيه حرام . وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق ، فالكذب
فيه مباح ، إن كان تحصيل ذلك القصد مباح ، وواجب إن كان المقصود واجبا . كما أن عصمة
دم المسلم واجبة ، فهما كان في الصدق سفك دم امرئ . مسلم فداختني من ظالم ، فالكذب
فيه واجب . ومهما كان لا يتم مقصود الحرب ، أو إصلاح ذات البين ، أو استمالة قلب المجنى
عليه إلا بالكذب ، فالكذب مباح ، إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما يمكن ، لأنه إذا فتح باب
الكذب على نفسه ، فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه ، وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة
فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة .

والذي يدل على الاستثناء، ما روى عن أم كلثوم قالت ^(١)، ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب، إلا في ثلاث، الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها. وقالت أيضا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) «لَيْسَ بِكَذَّابٍ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ غَيْرًا» وقالت أسماء بنت يزيد ^(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا»

وروى عن أبي كاهل ^(٤) قال وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما. فاقبعت. أحدهما فقلت مالك ولشلان؟ فقد سمعته يحسن عليك الشاء. ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك، حتى أحدهما طلحا. ثم قلت أهلك نفسي وأصلحت بين هذين، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال «يَا أَبَا كَاهِلٍ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ» أي ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار ^(٥) قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم، أ كذب على أهلي؟ قال «لَا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ» قال أحدهما وأقول لها؟ قال «لَا جُنَاحَ عَلَيْكَ»

وروى أن ابن أبي عذرة الدؤلي، وكان في خلافة عمر رضي الله عنه، كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن. فطارت له في الناس من ذلك أحدثة يكرهها. فلما علم بذلك، أخذ بيد عبد الله ابن الأرقم، حتى أتى به إلى منزله. ثم قال لامرأته، أنشدك بالله هل تبغضيني؟ قالت لا تنشدني

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: مسلم وقد تقدم

(٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس - الحديث: منفق عليه وقد تقدم والذي قبله عند مسلم بعض هذا

(٣) حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا الرجل كذب بين رجلين يصلح بينهما: أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذي مختصرا وحسنه

(٤) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام - الحديث: وفيه يابا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح

(٥) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أ كذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدتها وأقول لها قال لا جناح عليك: ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا وهو في الوطأ عن صفوان بن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار

قال فإني أنشدك الله . قالت نعم ، فقال لابن الأرقم أسمع ؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخلمهن . فاسأل ابن الأرقم . فسأله فأخبره . فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة ، فجاءت هي وعمتها . فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه ، فقالت إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى ، إنه ناسدني فخرجت أن أ كذب ، فأفأ كذب بأمر المؤمنين ؟ قال نعم ، فأ كذبي ، فإن كانت إحدا كن لا تحب أحدا فلا تحبته بذلك فإن أقل البيوت الذي يبني على الحب ؛ ولكن الناس يتعاضرون بالإسلام والأحساب

(١) وعن النوايس بن سيمان الكلبي ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَالِي أَرَاكُمْ تَهَافُتُونَ فِي الْكَذِبِ تَهَافُتُ الْفَرَّاشُ فِي النَّارِ كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ لَا مَحَالَةَ إِلَّا أَنْ يَكْذِبَ الرَّجُلُ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ أَوْ يَكُونَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ شَخَاءٌ فَيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا أَوْ يُحَدِّثَ امْرَأَتَهُ يُرْضِيهَا » وقال ثوبان . الكذب كله إثم ، إلا ما نفع به مسلما ، أو دفع عنه ضررا . وقال علي رضي الله عنه : إذا حدثتكم النبي صلى الله عليه وسلم ، فلأن آخر من السماء أحب إلي من أن أ كذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم ، فالحرب خدعة

فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء ، وفي معناها ماعبداها ، إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره

أما ماله : فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله ، فله أن ينكره . أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبتها ، فله أن ينكر ذلك ، فيقول ما زنت وما سرقت وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « مَنْ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ فَلَيْسَتْ بِسِتْرِ اللَّهِ » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى ، فللرجل أن يحفظ دمه ، وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه ، وإن كان كاذبا

(١) حديث النوايس بن سيمان مَالِي أَرَاكُمْ تَهَافُتُونَ فِي الْكَذِبِ تَهَافُتُ الْفَرَّاشُ فِي النَّارِ كُلُّ الْكَذِبِ مَكْرُوبٌ - الحديث : أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق بلفظ تنبا يعون إلى قوله في النار دون ما بعده فرواه الطبراني وفيها شهر بن حوشب

(٢) حديث من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله : الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستر بستر الله واستاده حسن

وأما عرض غيره ، فبأن يُسأل عن سر أخيه ، فله أن ينكره . وأن يصلح بين اثنين ، وأن يصلح بين الضرات من نسائه ، بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه . وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعد لا يقدر عليه ، فيعدها في الحال تطيباً لقلبها . أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد ، فلا بأس به .

ولكن الحد فيه ، أن الكذب محذور . ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور . فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ، ويزن بالميزان القسط . فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق ، أشد وقعا في الشرع من الكذب ، فله الكذب . وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق ، فيجب الصدق . وقد يتقابل الأمران ، بحيث يتردد فيهما ، وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى ، لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة . فإن شك في كون الحاجة مهمة ، فالأصل التحريم ، فيرجع إليه . ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ، ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه . وكذلك مهما كانت الحاجة له ، فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب . فأما إذا تعلق بمرض غيره ، فلا تجوز المسامحة لحق الغير ، والإضرار به . وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم . ثم هو لزيادات المال والجاه ، ولأموار ليس فواتها محذورا ، حتى أن المرأة لتحكى عن زوجها ما تفخر به ، وتكذب لأجل مراعاة الضرات ، وذلك حرام . وقالت أسماء ^(١) ، سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ، إن لي ضرة ، وإنى أتذكر من زوجي بما لم يفعل ، أضرها بذلك . فهل على شيء فيه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « اَلْمَتَّسِعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « مَنْ تَطَعَّمَ بِمَا لَا يُطْعَمُ أَوْ قَالَ لِي وَلَيْسَ لَهُ أَوْ أُعْطِيَ وَلَمْ يُعْطَ فَهُوَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه ، وروايته الحديث الذي لا يتثبت به إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه ، فهو لذلك يستنكف من أن يقول لأدري . وهذا حرام

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإنى أتذكر من زوجي بما لم يفعل - الحديث : متفق عليه وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق

(٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة : لم أجده بهذا اللفظ

ومما يلتحق بالنساء الصبيان . فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد ، أو وعيد ، أو تخويف كاذب ، كان ذلك مباحا . نعم رويناه في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ، ويحاسب عليه ، ويطالب بتصحيح قصده فيه ، ثم يعفى عنه ، لأنه إنما يبيح بقصد الإصلاح ، ويتطرق إليه غرور كبير ، فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه ، وإنما يتعلل ظاهرا بالإصلاح ، فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة ، فقد وقع في خطر الاجتهاد ، ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أم في الشرع من الصدق أم لا . وذلك غامض جداً . والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه ، كما لو أدى إلى سفك دم ، أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال ، وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح . وهو خطأ محض ، إذ قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ، ولا ضرورة . إذ في الصدق مندوحة عن الكذب . فقامورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها .

وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأسماع وسقط وقعه ، وما هو جديد فوقه أعظم ، فهذا هو سبب إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ، ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة ، فلا يقاوم خير هذا شره أصلا . والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء ، نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين

بيان

الحذر من الكذب بالمعاريض

قد نقل عن السلف : أن في المعاريض مندوحة عن الكذب . قال عمر رضي الله عنه : أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب ! وروى ذلك عن ابن عباس وغيره .

(١) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار : منفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم

وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب . فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة ، فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ، ولكن التعريض أهون

ومثال التعريض ما روى أن مطرفا دخل على زياد ، فاستبطأه . فتعلل بمرض وقال : مارفعت جنبي مذ فارقت الأمير إلا مارفعني الله . وقال إبراهيم ، إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب ، فقل إن الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء . فيكون قوله ما حرف نفي عند المستمع ، وعنده الإيهام

وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضي الله عنه . فلما رجع ، قالت له امرأته ، ماجئت به مما يأتي به العمال إلى أهلهم ؟ وما كان قد أتاها بشيء ، فقال : كان عندي ضاغط . قالت : كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضي الله عنه ، فبعثت عمر معك ضاغطا ! وقامت بذلك بين نسائها ، واشتكت عمر . فلما بلغه ذلك ، دعا معاذًا وقال بعثت معك ضاغطا ؟ قال لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك . فضحك عمر رضي الله عنه ، وأعطاه شيئا ، فقال أرضها به . ومعنى قوله ضاغطا يعني رقيقا ، وأراد به الله تعالى

وكان النخعي لا يقول لابنته أشتري لك سكرا ، بل يقول أرايت لو اشتريت لك سكرا ؟ فإنه ربما لا يتفق له ذلك . وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار ، قال للجارية ، قولي له أطلبه في المسجد ، ولا تقولي ليس ههنا ، كيلا يكون كذبا . وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه ، خط دائرة ، وقال للجارية ضعي الأصبع فيها وقولي ليس ههنا

وهذا كله في موضع الحاجة . فأما في غير موضع الحاجة فلا ، لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا ، فهو مكروه على الجملة . كما روى عبد الله بن عتبة قال ، دخلت مع أبي علي عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ، فخرجت وعلي ثوب ، فجعل الناس يقولون ، هذا كساكه أمير المؤمنين ؟ فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا . فقال لي أبي يابني اتق الكذب وما أشبهه . فتهاه عن ذلك ، لأن فيه تقرير لهم على ظن كاذب ، لأجل غرض المفارقة ، وهذا غرض باطل لا فائدة فيه . نعم : المعارض تباح لغرض خفيف ، كتطبيب

قلب الغير بالمزاح ، كقوله صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ » وقوله للأخرى الذي في عين زوجك يياض ، وللأخرى نحمك على ولد البعير ، وما أشبهه

وأما الكذب الصريح ، كما فعله نعمان الأنصاري مع عثمان ، في قصة الضرير ، إذ قال له إنه نعمان ، وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحق ، بتغريرهم بأن امرأة قدر غبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب ، فهو حرام . وإن لم يكن إلا لمطايبتة ، فلا يوصف صاحبها بالفسق ، ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه . قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « لَا يَكْمُلُ لِلْمَرْءِ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَحَتَّى يَجْتَنِبَ الْكَذِبَ فِي مَزَاحِهِ »

وأما قوله عليه السلام ^(٣) « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا النَّاسَ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِنَ الثَّرْيَاءِ » أراد به ما فيه غيبة مسلم ، أو إيذاء قلب ، دون محض المزاح . ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ، ما جرت به العادة في المبالغة ، كقوله طلبتك كذا وكذا مرة ، وقلت لك كذا مائة مرة ، فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها ، بل تفهيم المبالغة . فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا . وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة ، لا يأتى ، وإن لم تبلغ مائة . وبينهما درجات ، يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب

ومما يعتاد الكذب فيه ، ويتساهل به ، أن يقال كل الطعام ، فيقول لا أشتهي . وذلك منهى عنه ، وهو حرام ، وإن لم يكن فيه غرض صحيح . قال مجاهد : ^(٤) قالت أسماء بنت عميس ، كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لا يدخل الجنة عجزوز وحديث في عين زوجك يياض وحديث نحمك على ولد البعير : تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة

(٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه

ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة الدماري وقال فيه نظر وللشيخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وللدارقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر

(٣) حديث أن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا : تقدم في الآفة الثالثة

(٤) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحديث : وفيه قال لا تجمعن جوعا وكذبا ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني

ومعى نسوة ، قالت فو الله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحا من لبن ، فشرب ، ثم ناوله عائسة ، قالت فاستحييت الجارية ، فقلت لا تردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خذى منه . قالت فأخذت منه على جباء فشربت منه ثم قال ناولى صواحبك ، فقلن لا نشتهي . فقال « لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا » قالت فقلت يا رسول الله ، إن قالت إحدانا شئ تشتهي لا أشتيه ، أيعد ذلك كذبا ؟ قال « إِنَّ الْكَذِبَ لَيُكْتَبُ كَذِبًا حَتَّى تُكْتَبَ الْكُذِبَةُ كُذُيبَةً »

وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب ، قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص ، حتى يبلغ الرمص خارج عينيه ، فيقال له لو مسحت عينيك ، فيقول وأين قول الطبيب لا تمس عينيك ، فأقول لا أفعل ؟ وهذه مراقبة أهل الورع . ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره ، فيكذب ولا يشعر .

وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خثم عائدة لابن له ، فأنكبت عليه ، فقالت كيف أنت يا بني ؟ فجلس الربيع وقال أَرْضَعْتِيهِ ؟ قالت لا . قال ما عليك لو قلت يا ابن أخى فصدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه . قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله ، أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم

ورعا يكذب في حكاية المنام ، والإثم فيه عظيم ، إذ قال عليه السلام ^(١) « إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرْيَةِ أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يَرَى عَيْنِيهِ فِي الْمَنَامِ مَا لَمْ يَرَ أَوْ يَقُولَ عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ » وقال عليه السلام ^(٢) « مَنْ كَذَبَ فِي حُلُمٍ كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَيْسَ بِعَاقِدٍ بَيْنَهُمَا أَبَدًا »

في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبيشة لكن في طبقات الاصبهايين لأبي الشيخ من رواية عطاء ابن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زفنا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعض سائله الحديث : فإذا كانت غير عائشه ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك

(١) حديث ان من أعظم الفري أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه في المنام ما لم تريا أو يقول على ما لم أقول : البخارى من حديث واثلة بن الاسقع وله من حديث ابن عمر من أفرى الفري أن يرى عينيه ما لم تريا

(٢) حديث من كذب في حلمه كف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين البخارى من حديث ابن عباس

الآفة الخامسة عشرة

الغيبة

والنظر فيها طويل ، فندكر أولا مذمة الغيبة ، وما ورد فيها من سواهد الشرع
ومد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه ، وشبه صاحبها بآكل لحمة الميتة ، فقال تعالى
(وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ^(١))
وقال عليه السلام^(٢) « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » والغيبة تتناول
العرض ، وقد جمع الله بينه وبين المال والدم ، وقال أبو برزة ، قال عليه السلام^(٣) « لَا تَحَاسَدُوا
وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَنَاجَسُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا »
وعن جابر وأبي سعيد^(٤) « قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِيَّاكُمْ وَالْغَيْبَةَ
فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدِيزِي وَيُنُوبُ فِتْنُوبُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ وَإِنْ صَاحِبَ
الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفَرَ لَهُ صَاحِبُهُ » وقال أنس^(٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرَى بِي عَلَى أَقْوَامٍ يَخْمَشُونَ وَجُوهَهُمْ بِأَطْفَارِهِمْ فَقُلْتُ يَا جَبْرِيلُ مَنْ
هَؤُلَاءِ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النَّاسَ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » وقال سليم بن جابر^(٥) ، أتيت
النبي عليه الصلاة والسلام ، فقلت علمني خيرا أنفع به . فقال « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ
أَنْ تَصُبَّ مِنْ دُلُوكَ فِي إِيَاءِ الْمُسْتَقِيِّ وَأَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِبَشَرٍ حَسَنٍ وَإِنْ أَدِيرَ فَلَا تَغْتَابَنَّهُ »

﴿ الآفة الخامسة عشرة الغيبة ﴾

- (١) حديث كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه : مسلم من حديث أبي هريرة .
- (٢) حديث أبي هريرة لا تحاسدوا ولا تباعدوا ولا تغتصبوا ولا يغتصب بعضكم بعضا كونوا عباد الله اخوانا : يمتنع عليه من حديث
أبي هريرة وأنس دون قوله ولا يغتصب بعضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصحبة
- (٣) حديث جابر وأبي سعيد اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا . الحديث : ابن أبي الدنيا في الصمت
وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير
- (٤) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يخمشون وجوههم بأطفارهم . الحديث : أبو داود
مسندا ومرسلا والسند أصح
- (٥) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به . الحديث :
أحمد في المسند وابن أبي الدنيا في الصمت والنسبة له ولم يهل فيه أحمد وإذا أدير فلا
يفتاه وفي اسادهما ضعف

وقال البراء^(١) خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن ، فقال « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلْسَانَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ لَا تَعْمَلُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَنْتَعِمُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَدْبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي جُوفِ بَيْتِهِ » وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام ، من مات تائباً من النبية ، فهو آخر من يدخل الجنة . ومن مات مصراً عليها ، فهو أول من يدخل النار

وقال أنس ،^(٢) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم ، فقال « لَا يُفْطِرَنَّ حَدٌّ حَتَّى آذَنَ لَهُ » فصام الناس ، حتى إذا أمسوا ، جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظلت صائماً فآذن لي لأفطر ، فيأذنه . والرجل ، والرجل ، حتى جاء رجل فقال ، يا رسول الله فتانان من أهلك ظلتا صائمتين ، وإنهما يستحيان أن يأتياك ، فآذن لهما أن يفطرا . فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده ، فأعرض عنه ثم عاوده ، فقال « إِنَّهُمَا لَمْ يَصُومَا وَكَيْفَ يَصُومُ مَنْ ظَلَّ نَهَارَهُ يَا كُلُّ لَحْمِ النَّاسِ اذْهَبْ فَرْمُهَا إِنْ كَانَتْ صَائِمَتَيْنِ أَنْ تَسْتَقْبَا ، فَرَجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَخْبِرْهُمَا ، فَاسْتَقْبَا ، ففقت كل واحدة منهما علقه من دم . فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ بَقِيَتَا فِي بُطُونِهِمَا لَأَكَلَتْهُمَا النَّارُ » وفي رواية ، أنه لما أعرض عنه . جاء بعد ذلك وقال ، يا رسول الله ، والله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا . فقال صلى الله عليه وسلم ،^(٣) « أَتُؤْنِسُنِي بِهِمَا » فجاءتا . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح ، فقال لأحدهما قبي . ففقت من قيح ودم وصديد ، حتى ملأت القدح . وقال للآخرى قبي ففقت كذلك . فقال إن هاتين صامنا عما أحل الله لهما ،

(١) حديث البراء يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تعابوا المسلمين - الحديث : ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي بررة بأسناد جيد

(٢) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس - الحديث : في ذكر الرايتين اللتين اعتانقا في صباهما ففقت كل واحدة منهما علقه من دم : ابن أبي الدنيا في المسند وابن رجب في المحلى - من رواه بإسناد الرقاشي عنه أبو داود

(٣) حديث الرايتين المذكورين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما را ففطرتا علي . حرم الله عليهما - الحديث : أحمد من حديث حبيب بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبيه رجلا لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فاسقط منه ذكر الرجل المجهول

وأفطرنا على ما حرم الله عليهما ، جاءت إحداهما إلى الأخرى ، فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس . ^(١) خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه ، فقال . إن الدرهم يسببه الرجل من الربا ، أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل : وأربنى الربا عرض المسلم

وقال جابر ^(٢) ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير ، فأتى على قبرين يعذب صاحباهما . فقال « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَنْتَابُ النَّاسَ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِعُ مِنْ بَوْلِهِ » فدعا بجر يده رطبة أوجريدتين ، فكسرها ، ثم أمر بكل كسرة فغرس على قبر . وقال « أَمَّا إِنَّهُ سَيَبُوءُ مِنْ عَذَابِهِمَا مَا كَانَتَا رَطْبَتَيْنِ أَوْ مَا لَمْ يَبْيَسَا » ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) ما عزا في الزنا ، قال رجل لصاحبه ، هذا أقص كما يقصص الكلب . فر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة ، فقال ، « إِنَّهُمَا مِنْهَا » فقالا يا رسول الله ، تنهش جيفة ! فقال « مَا أَصَبْتُمَا مِنْ أَخِيكُمَا أَتَنُّ مِنْ هَذِهِ »

وكان الصحابة رضى الله عنهم ، يتلاقون بالبشر ، ولا يفتابون عند الغيبة . ويرون ذلك أفضل الأعمال ، ويرون خلافه عادة المنافقين . وقال أبو هريرة ^(٤) من أكل لحم أخيه في الدنيا ، قرب إليه لحيته في الآخرة . وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا ، فيأكله ، فينضج ويكاح . وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد ،

(١) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه - الحديث : وفيه واربى الربا عرض الرجل المسلم

ابن أبي الدنيا بسد ضعيف

(٢) حديث جابر كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال أما انهما

يعذبان وما يعذبان في كبر أم أحدهما فكان ينتاب الناس - الحديث : ابن أبي الدنيا في الصحة

وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب باسناد حمد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس

الا أنه ذكر فيه الميعة بدل الغيبة وللطالبي فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد

والطبراني من حديث أبي بكر بن خنوص باسناد جيد .

(٣) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق الرجوم عدا أفقص كما يقصص الكلب فر بجيفة فقال

انهم شامها - الحديث : أبو داود واللساني من حديث أبي هريرة نحوه باسناد جيد

(٤) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحيته في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته

حيا - الحديث : ابن مردويه في التفسير مرفوعا وفيه محمد بن اسحاق رواه بالعبارة

فر بهما رجل كان غثا فترك ذلك . فقالا لقد بقي فيه منه شيء ، وأقيمت الصلاة ، فدخلوا ، فصليا مع الناس ، فحاك في أنفسهما ما قالاهما فأتيا عطاء فسألاه ، فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين . وعن مجاهد ، أنه قال في (وَيَلْبَسُ لِكُلِّ هُمْزَةٍ مُلْزَمَةً ^(١)) الهَمْزَةُ الطَّعَانُ فِي النَّاسِ ، وَالْمُزْمَةُ الَّتِي يَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ . وقال قتادة ، ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث . ثلث من الغيبة ، وثلث من النِّمَّة ، وثلث من البول . وقال الحسن ، والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد . وقال بعضهم ، أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ، ولكن في الكف عن أعراض الناس . وقال ابن عباس ، إذا أردت أن تذكر غيوب صاحبك ، فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة ، يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ، ولا يبصر الجذع في عين نفسه . وكان الحسن يقول ، ابن آدم ، إنك لن تصيب حقيقة الأيمان حتى لا تريب الناس بعباب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب ، فتصلحه من نفسك ، فإذا فعلت ذلك ، كان شغلك في خاصة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار ، مر عيسى عليه السلام ، ومعه الخواريون . بحيفة كلب . فقال الخواريون ، ما أنتن ربيع هذا الكلب ! فقال عليه الصلاة والسلام ، ما أشد بياض أسنانه . كأنه صلى الله عليه وسلم نهام عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يفتاب آخر ، فقال له إياك والغيبة ، فإنها إدام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه : عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء . وإياكم وذكر الناس فإنه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته

بيان

معنى الغيبة وحدودها

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه ، سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه ، أو في خلقه . أو في فعله ، أو في قوله ، أو في دينه ، أو في دنياه ، حتى في ثوبه ، وداره ، ودابته أما البدن ، فكذلك المشي ، والحول ، والقرع ، والقصر ، والطول ، والسواد ،

والصفرة : وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان . وأما النسب ، فبأن تقول
أبوه نبطي : أو هندي ، أو فاسق ، أو خسيس ، أو إسكاف ، أو زبال ، أو شيء مما يكرهه
كيفما كان . وأما الخلق ، فبأن تقول : هوسي الخلق : بخيل ، متكبر مرء . شديد
الغضب ، جبان ، عاجز ، ضعيف القلب ، متهور ، وما يجري مجراه . وأما في أفعاله المتعلقة
بالدين ، فكقولك هو سارق ، أو كذاب ، أو شارب خمر ، أو خائن ، أو ظالم ، أو متهاون بالصلاة ،
أو الزكاة ، أو لا يحسن الركوع ، أو السجود ، أو لا يحترز من النجاسات ، أو ليس باراً بوالديه ،
أو لا يضع الزكاة موضعها ، أو لا يحسن قسمتها ، أو لا يحرص صومه عن الرفث ، والغيبة ،
والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله المتعلق بالدنيا ، فكقولك إنه قليل الأدب ، متهاون
بالناس ، أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً ، أو يرى لنفسه الحق على الناس ، أو أنه كثير الكلام ،
كثير الأكل ، نؤم ، ينام في غير وقت النوم ، ويجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه ،
فكقولك إنه واسع الكم ، طويل الذيل ، وسخ الثياب

وقال قوم : لا غيبة في الدين ، لأنه ذم ما ذمه الله تعالى ، فذكره بالمعاصي ، وذمه بها يجوز ،
بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) ذكرت له امرأة ، وكثرة صلاحها وصومها ،
ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها ، فقال « هي في النار » ^(٢) وذكرت عنده امرأة أخرى
بأنها بخيلة ، فقال « فَاخَيْرُهَا إِذَا » فهذا فاسد ، لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى
تعرف الأحكام بالسؤال ، ولم يكن غرضهم التتقيص ولا يحتاج إليه في غير مجلس الرسول
صلى الله عليه وسلم . والدليل عليه ، إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب
لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة . وكل هذا ، وإن كان صادقا
فيه ، فهو به مغتاب ، عاص لربه ، وآكل لحم أخيه ، بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
^(٣) قال « هَلْ تَدْرُونَ مَا الْغِيْبَةُ » قالوا الله ورسوله أعلم . قال « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ »

(١) حديث ذكر له امرأة وكثرة صومها وصلاحها لكن تؤذي جيرانها فقال هي في النار : ابن حبان
والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فما خيرها إذا : البخاري في مكارم الأخلاق : من حديث
أبي جعفر محمد بن علي مرسل ورويه في أمالي ابن شمعون هكذا

(٣) حديث هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه : الحديث :
مسلم من حديث أبي هريرة

قيل رأيت إن كان في أخى ما أقوله ، قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهتته » وقال معاذ بن جبل ، ^(١) ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا ما أعجزه ، فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتكم أخاكُم » قالوا يارسول الله ، قلنا ما فيه . قال « إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتتموه » وعن حذيفة ، عن عائشة رضي الله عنها ، ^(٢) أنها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة ، فقالت إنها قصيرة ، فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتنيها » وقال الحسن ، ذكر الغير ثلاثة ، الغيبة ، والبهتان ، والإفك . وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه . والبهتان أن تقول ما ليس فيه . والإفك أن تقول ما بلفك . وذكر ابن سيرين رجلا فقال ، ذاك الرجل الأسود ، ثم قال ، أستغفر الله ، إني أراي قد اغتبتته وذكر ابن سيرين ، إبراهيم النخعي ، فوضع يده على عينه ، ولم يقل الأعور . وقالت عائشة ^(٣) لا يغتابن أحدكم أحدا ، فإني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، إن هذه لطويلة الذيل ، فقال لي « الفُطَي الفُطَي » فلفظت مضغة لحم

بيان

أن الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم أن الذكر باللسان ، إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك ، وتعريضه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح ، والفعل فيه كالقول ، والإشارة ، والإيحاء ، والغمز ، والهمز ، والكتابة والحركة ، وكل ما يفهم المقصود ، فهو داخل في الغيبة ، وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها ^(٤) ، دخلت علينا امرأة ، فلما ولت ، أو مات يدي أنها قصيرة ، فقال عليه السلام « اغتبتنيها »

(١) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه - الحديث :

الطبراني بسند ضعيف

(٢) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال اغتبتنيها : رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي

وصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في البصير لابن أبي

الدنيا والصواب عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صبيب

(٣) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفُطَي الفُطَي فلفظت مضغة من لحم

ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي استاده امرأة لا أعرفها

(٤) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت يدي أي قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم قد اغتبتنيها

ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن علي عن عمار وحسان وثقه ابن حبان وبقية ثقات

ومن ذلك المحاكاة ، كأن يشي . تعارجا ، أو كما يشي . وهو غيبة ، بل هو اشد من الغيبة ، لأنه أعظم في التصوير والتفهم . ولما رأى صلى الله عليه وسلم عائشة حاكمت امرأة قال ^(١) : « مَا بَسْرُنِي أَنِّي حَاكَيْتُ إِنْسَانًا وَلِي كَذًا وَكَذَا » ،

وكذلك الغيبة بالكتابة ، فإن القلم أحد اللسانين . وذكر المصنف شخصا معينا ، وتهجين كلامه في الكتاب غيبة ، إلا أن يقتصر به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذكره ، كما سيأتي بيانه وأما قوله . قال قوم كذا ، فليس ذلك غيبة . إنما الغيبة التعرض لشخص معين إما حي وإما ميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم ، أو بعض من رأيته ، إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا ، لأن المحذور نفيمه ، دون ما به التفهم . فأما إذا لم يفهم عنه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) : إذا كره من إنسان شيئا ، قال « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا » فكان لا يعين . وقولك بعض من قدم من السفر ، أو بعض من يدعى العلم : إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص ، فهي غيبة

وأخبرت أنواع الغيبة القراء المرائين . فإفهم يفهمون المقصود ، على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ، ويفهمون المقصود . ولا يدرون بحيلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين ، الغيبة والرياء . وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان : فيقول ، الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان ، والتبذل في طلب الحطام . أو يقول : نعوذ بالله من فلة الحياء نسأل الله أن يعصنا منها . وإنما قصده أن يفهم عيب الغير ، فيذكره بصيغة الدعاء . وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته . فيقول ما أحسن أحوال فلان ، ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فنور ، وابلى بما يتلى به كلنا ، وهو قلة الصبر . فيذكر نفسه ، ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ، ويمدح نفسه بالنسبة بالصالحين : بأن يذم نفسه . فيكون مغتابا ومرائيا ، ومزكيا نفسه . فيجمع بين ثلاث فواحش ، وهو بجهله ، يظن أنه من الصالحين المتعفين عن الغيبة . ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل : إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فإنه يتبعهم ، ويحبط بمكايده عملهم : ويضحك عليهم ، ويستخر منهم

(١) حديث ما سرتني أني حكيت ولي كذا وكذا : تقدم في الآفة الحادية عشرة

(٢) حديث كان إذا كره من إنسان شيئا قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا - الحديث : أبو داود من

حديث عائشة دون قوله وكان لا يعمره ورحاله رجال الصحيح

ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان ، فلا يتنبه له بعض الحاضرين ، فيقول سبحانه الله ما أعجب هذا ، حتى يصنئ إليه ، ويعلم ما يقول . فيذكر الله تعالى ، ويستعمل اسمه آله له في تحقيق خبثه ، وهو يمتن على الله عز وجل بذكره ، جهلًا منه وغرورًا . وكذلك يقول ، ساءنى ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به ، نسأل الله أن يروح نفسه . فيكون كاذبًا في دعوى الاغتم ؛ وفي إظهار الدعاء له . بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوته عقيب صلاته . ولو كان يهتم به لا غتم أيضًا بإنظار ما يكرهه . وكذلك يقول ، ذلك المسكين قد بلى بأفة عظيمة ، تاب الله علينا وعليه . فهو في كل ذلك يظهر الدعاء ، والله مطلع على خبث ضميره ، وخفي قصده . وهو لجبهه لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجبال إذا جاهروا ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة عن سبيل التعجب . فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة ؛ فيندفع فيها ، وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق . فيقول ، عجب ، ما علمت أنه كذلك ، ما عرفته إلى الآن إلا بالخبر ، وكنت أحسب فيه غير هذا ، عافانا الله من بلائه . فإن كل ذلك تصديق للمغتاب ، والتصديق بالغيبة غيبة ، بل الساكت شريك المغتاب ، قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « الْمُسْتَمِعُ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ » وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ^(٢) أن أحدهما قال لصاحبه ، إن فلانا لنؤم ، ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليأكلأ به الخبر . فقال صلى الله عليه وسلم « قَدْ اتَّهَمْتُمَا » فقالا مانعلمه . قال « بَلَى إِنَّكُمَا أَكَلْتُمَا مِنْ لَحْمِ أَخْبِكُمَا » فانظر كيف جهمهما ، وكان القائل أحدهما ، والآخر مستمعًا . وقال للرجلين اللذين قال أحدهما ، افحص الرجل كما يقصص الكلب ^(٣) « انْهَشَا مِنْ هَذِهِ الْجِيفَةِ » فجمع بينهما . فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة ، إلا أن ينكر بلسانه ، أو بقلبه إن خاف ، وإن قدر على القيام ، أو قطع الكلام بكلام آخر ، فلم يفعل

(١) حديث المستمع أحدا المغتابين : الطبراني من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة وهو ضعيف

(٢) حديث ابن أبي بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لنؤم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال قد اتهمتكما فقالا ما نعلم فقال بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما : أبو العباس الدغولي في

الآداب من زواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسل نحوه

(٣) حديث انهشأ من هذه الميتة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما افحص كما يقصص الكلب : تقدم

قبل هذا يائى عشر حديثا

لزمه . وإن قال بلسانه اسكت ، وهو مشتبه لذلك بقلبه ، فذلك نفاق ، ولا يخرج منه إلا ثم ما لم يكرهه بقلبه . ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أى اسكت ، أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقار للمذكور ، بل ينبغي أن يعظم ذلك ، فيذب عنه صريحا . وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « مَنْ أَذَلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ وَهُوَ يَشْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ أَذَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ » وقال أبو الدرداء ^(٢) « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ رَدَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْ عَرْضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال أيضا ^(٣) « مَنْ دَبَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ » وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة ، وفي فضل ذلك أخبار كثيرة ، أوردناها في كتاب آداب الصعبة وحقوق المسلمين ، فلا نطول بإعادتها

بيان

الأسباب الباعثة على الغيبة

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ، ولكن يجمعها أحد عشر سببا ، ثمانية منها تطرد في حق العامة ، وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة ، أما الثمانية فالأول : أن يشفى الغيظ ، وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه ، فإنه إذا هاج غضبه ، يشقى بذلك مساويه ، فيسبق اللسان إليه بالطبع ، إن لم يكن ثمدين وازع . وقد يمنع تشفى الغيظ عند الغضب ، فيحتقن الغضب في الباطن ، فيصير حقدا ثابتا ، فيكون سببا دائما لذكر المساوى . فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة

(١) حديث من أدل عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤس

الخلائق : الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لميعة

(٢) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة

ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلفظ

رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجبا من النار وكلاهما ضعيف

(٣) حديث من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار : أحمد والطبراني من

رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد

الثاني : موافقة الأقران ، ومجاملة الرفقاء ، ومساعدتهم على الكلام ، فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض ، فيرى أنه لو أنكر عليهم ، أوقف المجلس ، استثقلوه ، ونفروا عنه ، فيساعدتهم ، ويرى ذلك من حسن المعاشرة ، ويظن أنه مجاملة في الصحبة . وقد يغضب رفقائه ، فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم ، إظهارا للمساهمة في السراء والضراء ، فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوى

الثالث : أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ، ويطول لسانه عليه ، أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة ، فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ، ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته ، أو يتدبىء بذكر ما فيه صادقا ، ليكذب عليه بعده ، فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول ، ما من عادتي الكذب ، فإني أخبركم بكذا وكذا من أحواله ، فكان كما قلت

الرابع : أن ينسب إلى شيء ، فيريد أن يتبرأ منه ، فيذكر الذي فعله ، وكان من حقه أن يبريء نفسه ، ولا يذكر الذي فعل ، فلا ينسب غيره إليه ، أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ، ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله

الخامس : إرادة التصنع والمباهاة ، وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره ، فيقول فلان جاهل ، وفهمه ركيك ، وكلامه ضعيف ، وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ، ويريهم أنه أعلم منه ، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه ، فيقدح فيه لذلك

السادس : الحسد ، وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ، ويحبونه ، ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه ، فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه ، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس ، حتى يكفوا عن كرامته ، والثناء عليه ، لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه ، وإكرامهم له ، وهذا هو عين الحسد ، وهو غير الغضب والحقد ، فإن ذلك يستدعي جنائية من المغضوب عليه ، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن ، والرفيق الموافق . السابع : اللعب ، والهزل ، والمطايبة ، وترجية الوقت بالضحك ، فيذكر عيوب غيره

جنايات الناس على سبيل المفاخرة ، ومنشؤه التكبر والعجب

السامن - السفره والاستهزاء - إستحقاراله ، فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجرى أيضا في الغيبة . ومنشؤه التكبر ، واستعصار المستهزاء به .
وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة ، فهي أنغمضها وأدقها ، لأنها شرور خباها الشيطان في معرض الخيرات ، وفيها خير ، ولكن شاب الشيطان بها الشر
الاول : أن تنبئ من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين ، فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان ، فإنه قد يكون به صادقا ، ويكون تعجبه من المنكر ، ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه ، فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه ، فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدري . ومن ذلك قول الرجل ، تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة ، وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل

الثاني : الرحمة ، وهو أن يتم سبب ما يتلى به ، فيقول مسكين فلان قد غمى أمره وما ابتلى به ، فيكون صادقا في دعوى الاغتمام ، ويليه النعم عن الحذر من ذكر اسمه ، فيذكره فيصير به مغتابا ، فيكون غمه ورحمته خيرا ، وكذا تعجبه ، ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري ، والترحم والاعتماد ممكن دون ذكر اسمه ، فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبتل به ثواب اعتمائه وترحمه

الثالث : الغضب لله تعالى ، فإنه قد بغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه ، فيظهر غضبه ، ويذكر اسمه . وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ولا يظهره على غيره . أو يستر اسمه ، ولا يذكره بالسوء
فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام . فإنهم يظنون أن التعجب والرحمة ، والغضب إذا كان لله تعالى ، كان عذرا في ذكر الاسم ، وهو خطأ . بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة ، لامندوحة فيها عن ذكر الاسم ، كما سيأتي ذكره

روى عن عامر بن واثلة ، ^(١) أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم ، فردوا عليه السلام . فلما جاوزهم ، قال رجل منهم ، إني لأبغض هذا في الله تعالى

(١) حديث عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا

عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله - الحديث : بطوله وفيه فقال

قم فلعله خير منك : أحمد بإسناد صحيح

فقال أهل المجلس ، لبئس ماقلت ، والله لننبئنه . ثم قالوا يا فلان ، لرجل منهم ، قم فأدركه وأخبره بما قال . فأدركه رسولهم . فأخبره . فأثنى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحكى له ما قال ، وسأله أن يدعو له ، فدعاه وسأله . فقال قد قلت ذلك . فقال صلى الله عليه وسلم « لِمَ تَبْعُهُ » فقال أنا جاره ، وأنا به خابر . والله مارأيت يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة . قال فاسأله يارسول الله ، هل رآني آخرتها عن وقتها ؟ أو أسأت الوضوء لها ؟ أو الركوع أو السجود فيها ؟ فسأله فقال لا . فقال والله مارأيت يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر . قال فاسأله يارسول الله ، هل رآني قط أفطرت فيه ؟ أو نقصت من حقه شيئا ؟ فسأله عنه . فقال والله مارأيت يعطى سائلا ولا مسكينا قط ، ولا رأيت ينفق شيئا من ماله في سبيل الله ، إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر . قال فاسأله هل رآني نقصت منها ؟ أو ما كست فيها طالها الذي يسألها ؟ فسأله فقال لا . فقال صلى الله عليه وسلم للرجل « قُمْ فَلَعَلَّ خَيْرٌ مِنْكَ »

بيان

العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم أن مساوى الأخلاق كلها ، إنما تعالج بمعجون العلم والعمل . وإنما علاج كل غلة بمضادة سببها ، فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين : أحدهما على الجملة . والآخر على التفصيل (أما على الجملة ، فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيته ، بهذه الأخبار التي رويتها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة ، فإنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه ، بدلا عما استباحه من عرضه . فإن لم تكن له حسنات ، نقل إليه من سيئات خصمه ، وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ، ومشببه عنده بآكل الميتة . بل العبد يدخل النار بأن ترجع كفة سيئاته على كفة حسناته ، وربما تنقل إليه سيئة واحدة بمن اغتابه ، فيحصل بها الرجحان ، ويدخل بها النار . وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله ، وذلك

بمد الخاصة والمطالبة ، والسؤال والجواب والحساب . قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « مَا النَّارُ فِي الْيَسْرِ بِأَسْرَعَ مِنَ النَّيْبَةِ فِي حَسَنَاتِ الْعَبْدِ »

وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي أنني أحكمك في حسناتي . فيها آمن العبد بما ورد من الأخبار في الغيبة ، لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه ، فإن وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه . وذكر قوله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ » ومهما وجد عيبا ، فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ، ويذم غيره . بل ينبغي أن يتحقق أن عجز غيره عن نفسه ، في التنزه عن ذلك العيب ، كعجزه . وهذا إن كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره . وإن كان أمرا خلقيا ، فالذم له ذم للخالق ، فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم ياقبيح الوجه ، قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه . وإذا لم يجد العبد عيبا في نفسه ، فليشكر الله تعالى ، ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب ، فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب . بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه برئ من كل عيب ، جهل بنفسه ، وهو من أعظم العيوب . وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيته ، كتألمه بغيته غيره له . فإذا كان لا يرضي لنفسه أن يغتاب ، فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جليلة أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة ، فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب

أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب ، وهو أن يقول إني إذا أمضيت غضبي عليه ، فلعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة ، إذ مني عنها فاجترأت على نهيه ، واستخففت بزرجه . وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِنَّ جَهَنَّمَ بَابُهَا لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ شَقِيَ غَيْظُهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « مَنْ اتَّقَى رَبَّهُ كَلَّ لِسَانُهُ وَلَمْ يَشْفِ غَيْظُهُ »

(١) حديث ما النار في اليسر بأسرع من النية في حسنات العبد : لم أجده أصلا

(٢) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس : البزار من حديث أنس بسند ضعيف

(٣) حديث ان جهنم بابها لا يدخل منه شق غيظه بمعصية الله : البزار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٤) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه في الأربعين البلدانية للسلفي

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُعْصِيَهُ دَعَاَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤْسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَىِّ الْحُورِ شَاءَ» ، وفي بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين ، يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين أغضب ، فلا أحقك فيمن أحق وأما الموافقة ، فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك ، إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك ، وتحقر مولاك ، فتترك رضاه لرضاهم ، إلا أن يكون غضبك لله تعالى . وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء ، بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رفقاءك إذا ذكروه بالسوء ، فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب ، وهي الغيبة وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الخيانة ، حيث يستغنى عن ذكر الغير ، فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق ، أشد من التعرض لمقت المخلوقين . وأنت بالغبية متعرض لسخط الله يقينا ، ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا ، فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم ، وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة . ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا ، وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة ، وهذا غاية الجهل والخذلان .

وأما عذر كقولك إن أكلت الحرام ففلان يأكله ، وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله ، فهذا جهل . لأنك تعتذر بالاعتداء بمن لا يجوز الاعتداء به . فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به ، كائنا من كان . ولو دخل غيرك النار ، وأنت تقدر على أن لا تدخلها ، لم توافقه . ولو وافقته لسفه عقلك . ففيما ذكرته غيبة ، وزيادة معصية ، أضفتها إلى ما اعتذرت عنه ، وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغياوتك ، وكنت كالشاة تنظر إلى المعزى تردى نفسها من قلة الجبل ، فهي أيضا تردى نفسها ، ولو كان لها لسان ناطق بالمعذر ، وصرحت بالمعذر ، وقالت العز أ كيس منى ، وقد أهلكت نفسها ، فكذلك أنا أفعل ، لكنت تضحك من جهلها . وحالك مثل حالها . ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك

وأما قصدك المباهاة وتركية النفس ، بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك ، فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله ، وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر .

(١) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه - الحديث : أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس

وربما نقص اعتقادهم فيك ، إذا عرفوك بثلب الناس ، فتكون قد بعثت ما عند الخالق يقينا ،
 بما عند المخلوقين وهما ، ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل ، لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا
 وأما الغيبة لأجل الحسد ، فهو يجمع بين بذابين . لأنك حسدته على نعمة الدنيا ، وكنت
 في الدنيا معذبا بالحسد ، فما قدمت بذلك ، حتى أضفت إليه عذاب الآخرة ، فكنت خاسرا
 نفسك في الدنيا ، فصرت أيضا خاسرا في الآخرة ، لتجمع بين النكالين . فقد قصدت
 محسودك ، فأصبت نفسك ، وأهديت إليه حسناتك ، فإذا أنت صديقه وعدو نفسك ،
 إذ لا تضره غيبتك وتضررك ، وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك ، أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفعك
 وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة . وربما يكون حسدك وقد حك ، سبب انتشار
 فضل محسودك ، كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وأما الاستهزاء فقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس ، بإخزاء نفسك عند الله تعالى ،
 وعند الملائكة والنبين عليهم الصلاة والسلام . فلو تفكرت في حسرتك ، وجنايتك ،
 وخجلتك ، وخزيك يوم القيامة ، يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار ،
 لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك . ولوعرفت حالك ، لكنت أولى أن تضحك منك ،
 فأنك سخرت به عند نفر قليل ، وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة بيدك على ملامن
 الناس ، ويسوقك تحت سيئاته ، كما يساق الحمار إلى النار ، مستهزأ بك ، وقرحا بخزيك ،
 ومسرورا بنصرة الله تعالى إياه عليك ، وتسلمه على الانتقام منك

وأما الرحمة له على إثمه ، فهو حسن ، ولكن حسدك إبليس ، فأضلك ، واستنطقك بما ينقل
 من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك ، فيكون جبرا لإثم المرحوم ، فيخرج عن كونه
 مرحوما ، وتنقلب أنت مستحقا لأن تكون مرحوما ، إذ حبط أجرك ، ونقصت من حسناتك
 وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة ، وإنما الشيطان حبيب إليك الغيبة ، ليحبط
 أجر غضبك ، وتصير معرضا لمقت الله عز وجل بالغيبة

وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة ، فتعجب من نفسك أنت ، كيف أهكت

نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياء ، وأنت مع ذلك لاتأمن عقوبة الدنيا ، وهو أن يهتك الله سترك ، كما هتكت بالتعجب ستر أخيك .

فاذاً علاج جميع ذلك المعرفة فقط ، والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان .
فن قوى إيمانه بجميع ذلك ، انكف لسانه عن الغيبة لاحالة

بيان

تحريم الغيبة بالقلب

اعلم أن سوء الظن حرام ، مثل سوء القول . فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك عساوى الغير ، فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك . ولست أعنى به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء . فأما الخواطر وحديث النفس ، فهو معفو عنه . بل الشك أيضاً معفو عنه . ولكن النهى عنه أن يظن والظن عبارة عما تركز إليه النفس ، ويميل إليه القلب . فقد قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ^(١)) . وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب ، فليس لك أن تعتقد في غيرك سواً إلا إذا انكشف لك ، ببيان لا يقبل التأويل ، فمئذ ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته . وما لم تشاهده بعينك ، ولم تسمعه بأذنك ، ثم وقع في قلبك ، فإنما الشيطان يلقيه إليك ، فينبغى أن تكذبه ، فإنه أفسق الفساق . وقد قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَالَةٍ ^(٢)) فلا يجوز تصديق إبليس : وإن كان ثم نخيلة تدل على فساد ، واحتمل خسلافه ، لم يجوز أن تصدق به ، لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ، ولكن لا يجوز لك أن تصدق به . حتى أن من استنكه فوجد منه رائحة الحمر ، لا يجوز أن يحد ، إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالحمر ومجها ، وما شربها ، أو حمل عليه قهراً . فكل ذلك لاحالة دلالة محتملة

(١) الحجرات: ١٢ (٢) الحجرات: ١٢

فلا يجوز تصديقاً بالقلب ، وإساءة الظن بالمسلم بها ، وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِ دَمَهُ وَمَالَهُ وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنُّ السَّوِّءِ » فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال ، وهو نفس مشاهدته ، أو بينة عادلة . فإذا لم يكن كذلك ، وخطر لك وسواس سوء الظن ، فينبغي أن تدفعه عن نفسك ، وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان ، وأن مآلته منه يحتمل الخير والشر

فإن قلت : فماذا يعرف عقد الظن ، والشكوك تختلج ، والنفس تتحدث فنقول : أمانة عقد سوء الظن ، أن يتغير القلب معه عما كان ، فينفر عنه نفورا ما ، ويستثقله ، ويفتر عن مراعاته وتفقدته وإكرامه ، والاعتماد بسببه ، فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه . وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « ثَلَاثٌ فِي الْمُؤْمِنِ وَلَهُ مِنْهُنَّ تَخْرُجُ فَمُخْرِجُهُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ أَنْ لَا يُحَقِّقَهُ » أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل ، لا في القلب ولا في الجوارح . أما في القلب ، فبتغيره إلى النفرة والكراهة . وأما في الجوارح ، فبالعمل بعوجه ، والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى خيلة مساءة الناس ، ويلقي إليه أن هذا من فطنتك ، وسرعة فهمك ، وذكاك ، وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى ، وهو على التحقيق ناظر بفرور الشيطان وظلمته . وأما إذ أخبرك به عدل ، فالظنك إلى تصديقه ، كنت معذورا . لأنك لو كذبتك لكنت جانيا على هذا العدل . إذ ظننت به الكذب ، وذلك أيضا من سوء الظن ، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد . وتسمى بالآخر . نعم ينبغي أن تبحث هل بينها عداوة ومحاسدة وتعنت ، فتتطرق التهمة بسببه ^(٣) ، فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة . ورد شهادة العدو . فلك عند ذلك أن تتوقف ، وإن كان عدلا ، فلا تصدقه ولا تكذبه .

(١) حديث إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن بسوء اليه في الشعب من حديث ابن عباس

بسند ضعيف ولا ابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر

(٢) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن يخرج : الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف

(٣) حديث رد الشرع شهادة لواله العدل وشهادة العدو : الترمذي من حديث عائشة وضعفه لا يجوز شهادة

خائن ولا خائنة ولا مجلوه حدا ولا ذي عمر لأخيه وفيه ولا ظن في ولاه ولا قرابة ولأبي داود

وابن ماجه باسنا جيد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذو الغمر على أخيه

ولكن تقول في نفسك ، المذكور حاله كان عندى فى ستر الله تعالى ، وكان امره محجوباً عني ، وقد بقي كما كان ، لم ينكشف لى شىء من أمره

وقد يكون الرجل ظهراً العدالة ، ولا محاسدة بينه وبين المذكور ، ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس ، وذكر مساويهم . فهذا قد يظن انه عدل ، وليس بعدل . فإن المعتاب فاسق . وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته . إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ، ولم يكثرثوا بتناول أعراض الخلق

ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم ، فينبغي أن تزيد في مراعاته ، وتدعوله بالخير ، فإن ذلك يغيظ الشيطان ، ويدفعه عنك ، فلا يلقى إليك الخاطر السوء ، خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة ، فانصحهُ في السر ، ولا يخذ عنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه . وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه ، لينظر إليك بعين التعظيم ، وتنظر إليه بعين الاستحقار ، وترفع عليه بأبداء الوعظ . وليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت حزين ، كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك . وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك ، أحب إليك من تركه بالنصيحة . فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بعصيته ، وأجر الاعانة له على دينه . ومن ثمرات سوء الظن التجسس ، فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس ، وهو أيضاً منهي عنه . قال الله تعالى (وَلَا تَجَسَّسُوا ^(١)) فالغيبية وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة . ومعنى التجسس ، أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر ، حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه كان أسلم لقلبه ودينه ، وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

بيان

الأعذار المرخصة في الغيبة

اعلم أن المرخص في ذكر مساوى الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة ، وهى ستة أمور :

(١) الحجرات : ١٢٠

الاول : التظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم ، والخيانة ، وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا إن لم يكن مظلوما . أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم . إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به . قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا » وقال عليه السلام ^(٢) « مَطْلُ الظَّالِمِ ظُلْمٌ » وقال عليه السلام ^(٣) « لِي الْوَاجِدُ يَحِلُّ عُقُوبَتُهُ وَعِزُّهُ »
 الثاني : الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه ، فسلم عليه ، فلم يرد السلام . فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فذكر له ذلك فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ، ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ، أن أبا جندل قد عاقر الحمر بالشام . كتب إليه ، بسم الله الرحمن الرحيم (حَمْدُ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ^(٤)) الآية فتاب . ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة ، إذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك ، فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره . وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح . فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما

الثالث : الاستفتاء ، كما يقول للمفتي ، ظماني أبي ، أو زوجتي ، أو أخي ، فكيف طريقي في الخلاص . والأسلم التعريض ، بأن يقول ، ما قولك في رجل ظلمه أبوه ، أو أخوه ، أو زوجته . ولكن التعيين مباح بهذا القدر ، لما روى عن هند بنت عتبة ، أنها قالت ^(٥) للنبي صلى الله عليه وسلم ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي ، أفأخذ من غير علمه ؟ فقال « خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكَ بِالْمَعْرُوفِ » فذكرت الشح ، والظلم لها وتولدها ، ولم يجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء

الرابع . تحذير المسلم من الشر ، فإذا رأيت فقيها يتردد إلى مبتدع أو فاسق ، وخفت أن تتعدى إليه بدعته وفسقه ، فلك أن تكشف له بدعته وفسقه ، مهما كان الباعث لك

(١) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث مطلق الظلم متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث لي الواجد يحل عرضه وعقوبته أبوداود والنسائي وابن ماجه من حديث النيريد بإسناد صحيح

(٤) حديث أن هندا قالت إن أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة

(٥) غافر : ١ و ٣

الخوف عليه من سرية الباطن والافتقار إلى معرفة ما وراء ما هو المعروف. إذ قد يكون الخاسر هو الباعث، ويابس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق. وكذلك من اشترى مملوكا، وقد عرفت المملوك بالسرفه أو بالنسق، أو بغيب آخر فذلك أن تذكر ذلك، فإن في سكونك ضرر المشتري، وفي ذكرك ضرر البعد، والمشتري أولى بمراعاة جانبه. وكذلك المزكي إذا سئل عن الشاهد، فله الظن فيه إن علم معلنا وكذلك المستشار في التزويج، وإبداع الأمانة، له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصيح للمستشير، لا على قصد الوضعة. فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا نصيح لك، فهو الواجب، وفيه الكفاية. وإن علم أنه لا يزوج إلا بالتصريح بعيه، فله أن يصرح به. إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) «أَتَرَعُونَ عَنْ ذِكْرِ أَتَفَاجِرِ أُمْتِكُوهُ حَتَّى يَعْرِفَهُ النَّاسُ إِذْ كُرُوهُ بِمَا فِيهِ حَتَّى يَحْذَرَهُ النَّاسُ» وكانوا يقولون، ثلاثة لا غيبة لهم، الإمام الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه

الخامس. أن يكون الإنسان معروفا باسم يعرف عنه، كالأعرج، والأعمش، فلا إثم على من يقول، روى أبو الزناد عن الأعرج، وسلمان عن الأعمش، وما يجرى مجراه. فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف، ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه، بعد أن قد صار مشهورا به. نعم إن وجد عنه معدلا، وأمكنه التعريف بعبارة أخرى، فهو أولى. ولذلك يقال للأعمى البصير، عدولا عن اسم النقص

السادس. أن يكون مجاهرا بالنسق، كالخنث، وصاحب الساخور، والمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وكان ممن يتظاهره، بحيث لا يستنكف من أن يذكر له، ولا يكره أن يذكر به. فإذا ذكرت فيه ما يتظاهره به، فلا إثم عليك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) «مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهِ فَلَا غِيْبَةَ لَهُ»، وقال عمر رضي الله عنه

(١) حديث أترعون عن ذكر الفاجر أمكوه متى عرفه الناس أذكروه بما فيه يحذر الناس الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا في السمعت

(٢) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم

ليس لفاجر حرمة . وأراد به انجاسه بنفسه دون المستتر . إذ المستتر . لا بد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف ، قلت للحسن ، الرجل الفاسق المعلن بفجوره ، ذكرى له بما فيه غيبة له ؟ قال لا ولا كرامة . وقال الحسن . ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى ، والفاسق المعلن بنفسه ؛ والإمام الجائر . فهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به ، وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك ، وهم يقصدون إظهاره . نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به إثم وقال عوف ، دخلت على ابن سيرين ، فتناولت عنده الحجاج . فقال إن الله حكم عدل ، ينتقم للحجاج ممن اغتابه ، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه . وإناك إذا لقيت الله تعالى غدا ، كان أصغر ذنب أصبته ، أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج

بيان

كفارة الغيبة

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ، ويتأسف على ما فعله ، ليخرج به من حق الله سبحانه . ثم يستحل المغتاب ، ليحله ، فيخرج من مظلمته . وينبئ أن يستحله وهو حزين ، متأسف ، نادم على فعله إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع ، وفي الباطن لا يكون نادما ، فيكون قد قارف معصية أخرى . وقال الحسن ، يكفيه الاستغفار دون الاستحلال . وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « كَفَّارَةُ مَنْ اغْتَابَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ » وقال مجاهد ، كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه ، وتدعوه لخير .

وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة ، قال أن تمشي إلى صاحبك فتقول له ، كذبت فيما قلت ، وظلمتك ، وأسأت . فإن شئت أخذت بحقك ، وإن شئت عفوت . وهذا هو الأصح وقول القائل ، البرض لا عوض له ، فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال ، كلام ضعيف ، إذ قد وجب في العرض حد القذف ، وثبتت المطالبة به

(١) حديث كفارة من اغتابه أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمت والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث

أنس بسند ضعيف

بل في الحديث الصحيح ، ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ^(١) « مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عَرْضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَسْتَحْلِلْهَا مِنْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَيْسَ هُنَاكَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَبَّاتٍ صَاحِبِهِ فَرِيدَتْ عَلَى سَيِّئَاتِهِ » وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخركم إنها طوييلة الذيل ، قد اغتبتبها فاستحلها

فإذا لا بد من الاستحلال إن قدر عليه ، فإن كان غائباً أو ميتاً ، فينبغي أن يكثره الاستغفار والدعاء ، ويكثر من الحسنات

فإن قلت . فالتحليل هل يجب ؟ فأقول لا . لأنه تبرع ، والتبرع فضل وليس بواجب . ولكنه مستحسن . وسبيل المعتذر ، أن يبالغ في الثناء عليه ، والنودد إليه ، ويلزم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطيب قلبه ، كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له ، يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل . قال سعيد بن المسيب ، لأحطل من ظلمي . وقال ابن سيرين إنى لم أحرما عليه فأحلها له إن الله حرم الغيبة عليه ، وما كنت لأخلل ما حرم الله أبداً . فإن قلت . فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْلِلَهَا » وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن

فقول : المراد به المفو عن المظلمة ، لا أن يتقلب الحرام حلالة . وما قاله ابن سيرين ، حسن في التحليل قبل الغيبة فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة . فإن قلت : فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « أَيْعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعَرْضِي عَلَى النَّاسِ » فكيف يتصدق بالعرض ؟ ومن تصدق به فهل يباح تناوله ؟ فإن كان لا تنفذ صدقته ، فما معنى الحث عليه

(١) حديث من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أو مال فليستحللها - الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة .
(٢) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضَمْضَمٍ كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني تصدقت بعرضي على الناس .
البرار وابن السني في اليوم والليلة والعقيل في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت . مرسل عند ذكر أبي ضَمْضَمٍ في الصحابة قلت وأما هو رجل ممن كان قبله كما عده البرار والعقيل .

فتقول معناه أنى لا أطلب مظامة في القيامة منه ، ولا أخافه . وإلا فلا تصير الغيبة حللا له ، ولا تسقط المظامة عنه ، لأنه عفو قبل الوجوب . إلا أنه وعد ، وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم ، فإن رجع وخصم ، كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك . بل صرح النقباء أن من أباح القذف ، لم يسقط حقه من حد القاذف . ومظامة الآخرة مثل مظامة الدنيا وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن ، إذا جثت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ، نودوا ليقم من كان له أجر على الله . فلا يقوم إلا السافون عن الناس في الدنيا .

وقد قال الله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(١)) فقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا الْعَفْوُ ؟ » فقال ، إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطي من حرمك . وروى عن الحسن ، أن رجلا قال له إن فلانا قد اغتابك . فبعث إليه رطباً على طبق ، وقال قد بلغتني أنك أهديت إليّ من حسناتك ، فأردت أن أكافئك عليها . فاعذرني ، فإنى لا أقدر أن أكافئك على التمام

الآفة السادسة عشرة

النميمة

قال الله تعالى (هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَعِيمٍ ^(٣)) ثم قال (عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ^(٤)) قال عبد الله ابن المبارك . الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث . وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ، دل على أنه ولد زنا ، استنباطاً من قوله عز وجل (عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) والزنيم هو الدعي . وقال تعالى (وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ^(٥)) قيل الهمزة النمام وقال تعالى (حَمَّالَةَ الْخَطَبِ ^(٦)) قيل إنها كانت غمامة ، حمالة للحديث . وقال تعالى (فَخَا تَنَاهَا فَلَمْ يُغْنِهَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ^(٧)) قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيغان ، وامرأة نوح تخبر أنه مجنون

(١) حديث نزول خذ العفو الآية فقال يا جبريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في رياضة النفس

(١) الاعراف : ١٩٩ (٢) والقلم : ١١ و ١٣ (٣) الهمزة : ١ (٤) المسد : ٤ (٥) التحريم : ١٠

وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ » وفي حديث آخر « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَنَاتٌ » والفنات هو النمام . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « أَحَبُّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوْطَّئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلُقُونَ وَيُؤْلُقُونَ وَإِنْ أَبْقَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ أَلْمَشَّائُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ أَلْمُلْتَخِسُونَ لِلْبُرَاءِ أَلْعَثَرَاتِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ أَرْكَمٍ ؟ » قالوا بلى . قال « أَلْمَشَّائُونَ بِالنَّمِيمَةِ أَلْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ أَلْبَاغُونَ لِلْبُرِّ أَلْعَيْبُ » وقال أبو ذر ^(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَشَاعَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً لَيْشِينَهُ بِهَا يَذِيرُ حَقَّ شَأْنِهِ اللَّهُ بِهَا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال أبو الدرداء ^(٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَيُّمَا رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَى رَجُلٍ كَلِمَةً وَهُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ لَيْشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذَيِّبَهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ » وقال أبو هريرة ^(٦) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ شَهِدَ عَلَى مُسْلِمٍ بِشَهَادَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ويقال إن ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٧) « إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْجَنَّةَ قَالَ لَهَا تَكَلَّمِي فَقَالَتْ سَعِدْتُ مَنْ دَخَلَنِي فَقَالَ الْجُبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّتِي وَجَلَالِي لَا يَسْكُنُ فِيكَ ثَمَانِيَةٌ نَفَرٍ مِنَ النَّاسِ لَا يَسْكُنُكَ مُدْمِنْ خَمْرٍ وَلَا مُصِرٌّ عَلَى الزَّانَا وَلَا فَنَاتٌ وَهُوَ النَّمَامُ

(١) حديث لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر فئات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم

(٢) حديث أبو هريرة وأحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الطبراني في الأوسط والصغير وتقدم في آداب الصفة

(٣) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشائون بالنميمة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم

(٤) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها غير حتى شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في معارج الأئمة وفيه عبد الله بن ميمون فإن يكن القداح فهو متروك الحديث

(٥) حديث أبي الدرداء أيما رجل أشاع على رجل كلمة هو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوفا على أبي الدرداء ورواه الطبراني بلفظ آخر

مرفوعا من حديثه وقد تقدم

(٦) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها أهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا

وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الأسناد

(٧) حديث ابن عمر أن الله للمخلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار وعزتي وجلالي

لا يسكن فيك ثمانية فذكر منها ولا فئات وهو النمام لم أجده هكذا بتمامه ولا أحمد لا يدخل الجنة

وَلَا دِيُوثٌ وَلَا شُرَاطِيُّ وَلَا تُغْنَتْ وَلَا قَاطِعٌ رَحِيمٌ وَلَا الَّذِي يَقُولُ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ لَمْ يَفِ بِهِ »

ودوى كعب الأخبار ، أن بني إسرائيل أصابهم حقط ، فاستسقى موسى عليه السلام مرات فاسقوا . فأوحى الله تعالى إليه ، إني لا أستجيب لك ولن معك وفيكم غم ، قد أصر على النيمة . فقال موسى ، يارب من هو ؟ دلني عليه حتى أخرجته من بيننا . قال يا موسى ، أنها كم عن النيمة وأكون غاما ! فتأبوا جميعا ، فسقوا . ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات . فلما قدم عليه ، قال إني جئت لك للذي آتاك الله تعالى من العلم ، أخبرني عن السماء وما أثقل منها ؟ وعن الأرض وما أوسع منها ؟ وعن الصخر وما أقسى منه ؟ وعن النار وما أحر منها ؟ وعن الزمهرير وما أبرد منه ؟ وعن البحر وما أغنى منه ؟ وعن اليتيم وما أذل منه ؟ فقال له الحكيم ، البهتان على البريء أثقل من السموات ، والحق أوسع من الأرض ؟ والقلب القانع أغنى من البحر ، والحرص والحسد أحر من النار ، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير ، وقلب الكافر أقسى من الحجر ، والنام إذا بان أمره أذل من اليتيم

بيان

حد النيمة وما يجب في ردها

اعلم أن اسم النيمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه ، كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا . وليست النيمة مختصة به . بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه ، أو المنقول إليه ، أو كرهه ثالث . وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة ، أو بالرمز ، أو بالإيماء . وسواء كان المنقول من الأعمال ، أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا في المنقول عنه ، أو لم يكن . بل حقيقة النيمة إفشاء السر ،

ناب لوالديه وذريوت وللتسائي من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل الحسب مما رواه ولا يدخل ولا ممن حمر وللتسائي من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث حبيب بن عظم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تكلمي تري فتزيت فقالت طوبى لمن دخلني ورضي عنه الهى فقال الله عز وجل لا سكنك نخث ولا مائعة

وهتك الستر عما يكره كنهه . بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره . فينبغي أن يسكت عنه ، إلا ما في حكايته فائدة لمسلم ، أو دفع لمعصية ، كما إذا رأى من يتناول مال غيره ، فعليه أن يشهد به ، مراعاة لحق المشهود له . فأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه ، فذكره فهو نعمة ، وإفشاء للسر فإن كان ما ينم به تقصا وعيبا في المحكي عنه ، كان قد جمع بين الغيبة والنميمة فالباعث على النعمة أما إرادة السوء المحكي عنه ، أو إظهار الحب للمحكي له ، أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل

وكل من حملت إليه النعمة ، وقيل له إن فلانا قال فيك كذا ، أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك ، أو في ممالأة عدوك ، أو تقييح حالك ، أو ما يجري مجراه . فعليه ستة أمور الأول . أن لا يصدق له لأن النمام فاسق ، وهو مردود الشهادة ، قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَةٍ^(١))
الثاني . أن ينهه عن ذلك ، وينصح له ، ويقبح عليه فعله . قال الله تعالى (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ^(٢))

الثالث . أن يفضله في الله تعالى ، فإنه يفيض عند الله تعالى ، ويجب بفض من يفضله الله تعالى الرابع . أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ^(٣))

الخامس . أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتحقيق اتباعا لقوله تعالى (وَلَا تَجَسَّسُوا^(٤))

السادس . أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ، ولا تحكي نيمته ، فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا ، فتكون به نماما ومغتتابا ، وقد تكون قد أتيت ما عنه نهيت وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، أنه دخل عليه رجل ، فذكر له عن رجل شيئا . فقال له عمر ، إن شئت نظرنا في أمرك ، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا^(٥)) وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية (هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيٍّ^(٦)) وإن شئت عفونا عنك . فقال العفو يا أمير المؤمنين لأعود إليه أبدا

(١) الحجرات : ٦ (٢) لقمان : ١٧ (٣) الحجرات : ١٢ (٤) الحجرات : ٦ (٥) القلم : ١١

وذكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعض إخوانه ، فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه . فقال له الحكيم ، قد أبطأت في الزيارة ، وأتيت بثلاث جنائيات . بغضت أخى إلى ، وشغلت قلبى الفارغ ، وآهمت نفسك الأمانة . وروى أن سليمان بن عبد الملك ، كان جالسا وعنده الزهرى ، فجاءه رجل ، فقال له سليمان ، بلغنى إنك وقعت فى وقت كذا وكذا ، فقال الرجل ما فعلت ولا قلت . فقال سليمان ، إن الذى أخبرنى صادق . فقال له الزهرى ، لا يكون النمام صادقا . فقال سليمان صدقت . ثم قال للرجل اذهب بسلام

وقال الحسن . من نِم اليك ، نِم عليك . وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغى أن يبغض ، ولا يوثق بقوله ، ولا بصداقته . وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة ، والنذر والخيانة ، والغفل والحسد والنفاق ، والإفساد بين الناس والخديعة . وهو ممن يسعى فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض

وقال تعالى (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ^(١)) والنمام منهم . وقال صلى الله عليه وسلم^(٢) « إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ اتَّقَاهُ النَّاسُ لَشَرِّهِ » والنمام منهم . وقال^(٣) « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ » قيل وما القاطع . قال « قَاطِعٌ بَيْنَ النَّاسِ » وهو النمام ، وقيل قاطع الرحم

وروى عن علي رضي الله عنه ، أن رجلا سعى إليه برجل ، فقال ياهذا ، نحن نسأل عما قلت ، فإن كنت صادقا مقتناك ، وإن كنت كاذبا عاقبناك ، وإن شئت أن نقيلك أفلناك . فقال أفلنى ياأمير المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظى ، أى خصال المؤمن أوضع له؟ فقال كثرة الكلام ، وإفشاء السر ، وقبول قول كل أحد . وقال رجل لعبد الله بن عامر ، وكان أميرا بلغنى أن فلانا أعلم الأمير أنى ذكرته بسوء . قال قد كان ذلك . قل فأخبرنى بما قال لك . حتى أظهر كذبه عندك . قال ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى ، وحسبى أنى لم أصدقته فيما قال ، ولا أقطع عنك الوصال

(١) حديث ابن من شر الناس من اتقاه الناس لشدة بغضهم عليه من حديث عائشة نحوه

(٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع . متفق عليه من حديث جابر بن مطعم

(٣) الشورى : ٤٢

وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ، ما ظنكم بقوم يحمّد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم ؟ وتال مصعب بن الزبير ، نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء فأخبر به ، كمن قبله وأجاز به ، فاتقوا الساعي ، فلو كان صادقا في قوله لكاتب لثما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ، ولم يستر العورة

والسعاية هي النيمة ، إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية . وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة » يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك ، فاستأذنه في الكلام ، وقال إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام ، فاحمله وإن كرهته ، فإن وراءه ما يحب إن قبلته . فقال قل . فقال يا أمير المؤمنين ، إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فلا تأمنهم على ما أئتمنتك الله عليه ، ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إليهم ، فإنهم لن يألوا في الأمة خسفا ، وفي الأمانة تضییما ، والأعراض قطعاً وانها كما أعلی قریبهم البنى والنيمة ، وأجل وسائلهم الغيبة والوقیعة ، وأنت مسئول عما أجرموا ، وليسوا المسؤولين عما أجرمت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غيبا من باع آخرته بدنيا غيره

وسعى رجل بزياد الأعجم ، إلى سليمان بن عبد الملك ، فجمع بينهما للموافقة . فأقبل زياد على الرجل وقال

فأنت امرؤ ما أئتمنتك خاليا نفخت واما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الحيانة والإثم

(١) حديث الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة : الحاكم من حديث أبي موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة أو فيه شيء منها وقال له أسانيد هذا أمثلها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال - والحديث : لا أصل له وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبراني بلفظ لا يسى على الناس الأولد بني والامن فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال ، ابن أبي بردة أبا الوليد القرشي

وقال رجل لعمر بن عبيد ، أن الأسوارى ما يزال يذكر ك في قصصه بشر . فقال له عمرو ، يا هذا ، ما رعبت حق مجالسة الرجل ، حيث نقلت إلينا حديثه . ولا أدبت حق ، حين اعلمتني عن أخى ما أكره . ولكن أعلمه أن الموت بعننا والقبر بعننا والقيامة بعننا ، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين

ورفع بعض السعاة إلى صاحب بن عباد رقعة ، نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرة وقوعه على ظهرها . السعاية قبيحة ، وإن كانت صحيحة . فإن كنت أجريتها مجرى النصح ، فخرانك فيها أفضل من الربح . ومعاذ الله أن تقبل مهتوكا في مستور . ولولا أنك في خفارة شيتك ، لقالناك بما يقتضيه فعلك في مثلك . فتوق يا ملعون العيب ، فإن الله يعلم بالغيب . الميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمال عمره الله ، والساعي لعنه الله

وقال لقمان لابنه ، يا بني ، أوصيك بخلال ، إن تمسكت بهن لم تزل سيدا . أبسط خلقتك لل قريب والبعيد ، وأمسك جهلك عن الكريم والثلثم ، واحفظ إخوانك ، وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع ، أو سماع باع يريد فسادك ، ويروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك .

وقال بعضهم : النيمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق ، وهى أثافي الذل . وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام إليك ، لكان هو المجترى ، ما لثتم عليك ، والمنقول عنه أولى بحلمك ، لأنه لم يقابلك بشتك . وعلى الجملة ، فشر النمام عظيم ، ينبئ أن يتوقى . قال حماد ابن سامة : باع رجل عبدا ، وقال للمشتري : ما فيه عيب إلا النيمة . قال قدر ضيت . فاشتراه فكش الغلام أباما ، ثم قال لزوجة مولاه ، إن سيدى لا يحبك ، وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى موسى واحلقى من شعر قفاه عند نومه شعرات ، حتى أسحره عليها ، فيحبك . ثم قال للزوج ، إن امرأتك اتخذت خيلا ، وتريد أن تقتلك ، فتناوم لها حتى تعرف ذلك . فتناوم لها ، فجاءت المرأة بالموسى ، فظن أنها تريد قتله ، فقام إليها فقتلها ، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ، ووقع القتال بين القبيلتين . ففسأل الله حسن التوفيق

الآفة السابعة عشرة

كلام ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه

وقلما يخلو عنه من يشاهد متعادين . وذلك عين النفاق . قال عمار بن ياسر ، ^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وقال أبو هريرة ، ^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بِحَدِيثٍ وَهَوْلَاءَ بِحَدِيثٍ » وفي لفظ آخر « الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بِوَجْهِ وَهَوْلَاءَ بِوَجْهِ »

وقال أبو هريرة : لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله . وقال مالك بن دينار : قرأت في التوراة ، بطلت الأمانة ، والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين ، يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « أَبْغَضُ خَلِيقَةِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكَذَّابُونَ وَالْمُسْتَكْبِرُونَ وَالَّذِينَ يُكْفِرُونَ بِالْبَيْضَاءِ لِأَخْوَانِهِمْ فِي صُدُورِهِمْ فَإِذَا لَقَوْهُمْ تَمَلَّقُوا لَهُمْ وَالَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَانُوا بَطَاطًا وَإِذَا دُعُوا إِلَى الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ كَانُوا سِرَاعًا » . وقال ابن مسعود ، لا يكونن أحدكم إمامة . قالوا وما الإمامة ؟ قال الذى يجرى مع كل ربح . واتفقوا على أن ملافة الإثنين بوجهين نفاق ، وللنفاق علامات كثيرة ، وهذه من جملتها وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة . فقال له عمر ، يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تصل عليه فقال يا أمير المؤمنين ، إنه منهم . فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ، ولا أومن منها أحدا بعدك

(الآفة السابعة عشرة كلام ذى اللسانين)

(١) حديث عمار بن ياسر من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة : البخارى في كتاب الادب

المفرد وأبو داود بسند حسن

(٢) حديث أبي هريرة تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين - الحديث : متفق عليه بلفظ تجد

من شر الناس لفظ البخارى وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف

(٣) حديث أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكفرون بالبيضاء لأخوانهم

في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم - الحديث : لم أقف له على أصل

فإن قلت : إذا يصير الرجل ذا لسانين ؛ وما حد ذلك ؟

فأقول . إذا دخل على متعادين ، وجامل كل واحد منهما ، وكان صادقا فيه ، لم يكن منافقا ، ولا ذا لسانين . فإن الواحد قد يصادق متعادين . ولكن صداقة ضعيفة ، لا تنتهي إلى حد الأخوة . إذ لو تحققت الصداقة ، لافضت معاداة الأعداء ، كما ذكرنا في كتاب آداب الصحبة والأخوة . نعم لو نقل كلام كل واحد منهما إلى الآخر ، فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة ، إذ يصير غاما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط . فإذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام . وإن لم ينقل كلاما ، ولكن حسن بكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه ، فهذا ذو لسانين . وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره ، وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته . وكذلك إذا أثنى على أحدهما ، وكان إذا خرج من عنده يذمه ، فهو ذو لسانين . بل ينبغي أن يسكت ، أو يثنى على الحق من المتعادين ، ويثنى عليه في غيبته ، وفي حضوره ، وبين يدي عدوه . قيل لابن عمر رضي الله عنهما ، ^(١) إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول ، فإذا خرجنا قلنا غيره . فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا نفاق مباح كان مستغنيا عن الدخول على الأمير ، وعن الشاء عليه . فلو استغنى عن الدخول ، ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن ، فهو نفاق ، لأنه الذي أخرج نفسه إلى ذلك . فإن كان مستغنيا عن الدخول لو قطع بالقليل ، وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والنهي ، وأثنى ، فهو منافق . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ^(٢) «حُبُّ الْمَالِ وَالْجَاهِ يُبْنِيَانِ النَّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُبْنِي الْمَاءُ الْبَقْلَ» لأنه يروج إلى الأمراء وإلى مرعاتهم ومرآاتهم . فأما إذا ابتلى به لضرورة ، وخاف إن لم يثن ، فهو معذور فإن اتقاء الشر جائز قال أبو الدرداء رضي الله عنه ، إنا لنكشر في وجوه أقوام ،

(١) حديث قيل لابن عمر أنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من طرق

(٢) حديث حب الجاه والمال يبنيان النفاق في القلب كما يبني الماء البقل : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة يستد ضعيف إلا أنه قال حب الغناء وقال الشعب مكان البقل

وإن قالوا بالتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها ، ^(١) استأذن رجل نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ائذنوا له فيئس رجل العشرة هو » ثم لما دخل ألان له القول . فاما خرج قلت يا رسول الله ، قلت فيه ماقلت ، ثم ألت له القول ! فقال « يا عائشة إن شر الناس الذي يُكرّم اتقاء شره » ولكن هذا ورد في الإقبال ، وفي الكشر والتبسم . فاما الشاء ، فهو كذب صراح ، ولا يجوز إلا لضرورة ، أو إكراه يباح الكذب بمناله ، كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الشاء ، ولا التصديق ، ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك ، فهو منافق . بل ينبغي أن ينكر ، فإن لم يقدر فبسكت بلسانه ، وينكر بقلبه

الآفة الثامنة عشرة

المدح

وهو منهى عنه في بعض المواضع . أما النعم ، فهو الغيبة والوقيعة ، وقد ذكرنا حكمها . والمدح يدخله ست آفات ، أربع في المادح ، واثنان في المدوح . فاما المادح : فالأولى . أنه قد يفرط ، فينتهي به إلى الكذب . قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤس الأشهاد ، بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه الثانية : أنه قد يدخله الرياء ، فإنه بالمدح مظهر للحب ، وقد لا يكون مضرا له ، ولا معتقدا لجميع مايقوله : فيصير به مرأيا منافقا .

الثالثة : إنه قد يقول ما لا يتحققه ، ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه . روى ^(٢) أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له عليه السلام « وَيَحْكُ قَطَلَعْتَ عَنْقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ » ثم قال « إِنْ كَانَ أَسَدٌ شَكَّمْ لَا يَدَّ مَا دِحَا أَخَاهُ فَلْيُقِلْ أَحْسَبُ فَلَانًا وَلَا أَرَكِي عَلَى إِلَهٍ أَحَدًا حَسِبُهُ اللَّهُ إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ »

(١) حديث عائشة استأذن رجل نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فيئس رجل العشرة

الحدث : وفيه أن شر الناس الذي يُكرّم اتقاء شره . انتهى منقوله منقوله في الآفة التي قبلها

(الآفة الثامنة عشرة المدح)

(٢) حديث أن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطلعت عنق صاحبك

متفق عليه من حديث أبي بكر بنحوه وهو في الصمت لا في الدنيا بل في الصنف

وهذه الآفة تنطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة، التي نعرف بالأدلة، كقوله إنه متق وورع، وزاهد، وخير، وما يجرى مجراه. فأما إذا قال رأيته يصلي بالليل، ويتصدق، ويحج، فهذه أمور مستيقنة. ومن ذلك قوله إنه عدل، رضا، فإن ذلك خفي، فلا ينبغي أن يجزم القول فيه. إلا بعد خبرة باطنة. سمع عمر رضي الله عنه رجلا يشي على رجل، فقال أسافرت معه؟ قال لا. قال. أخالطته في المباينة والمعاملة؟ قال لا. قال: فأنت جاره صباحه ومساءه؟ قال لا. فقال: والله الذي لا إله إلا هو لأراك تعرفه

الرابعة: أنه قد يفرح المدوح وهو ظالم أو فاسق، وذلك غير جائز. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْضَبُ إِذَا مُدِّحَ الْفَاسِقِ» وقال الحسن. من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه. والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم، ولا يمدح ليفرح. وأما المدوح فيضره من وجهين:

أحدهما. أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا، وهما مهلكان. قال الحسن رضي الله عنه. كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة، والناس حوله، إذ أقبل الجارود بن المنذر، فقال رجل هذا سيد ريعة. فسمعها عمر ومن حوله، وسمعها الجارود. فلما دنا منه، خفقه بالدرة. فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين؟ قال مالي ولك أما لقد سمعتها؟ قال سمعتها. قال خشيت أن يخالط قلبك منها شيء، فأحييت أن أطلعك منك.

الثاني: هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتّر، ورضي عن نفسه. ومن أعجب بنفسه قل تشمره. وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا. فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه، ظن أنه قد أدرك. ولهذا قال عليه السلام «قَطَعْتُ عَنْكَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) «إِذَا مَدَحْتَ أَخَاكَ فِي وَجْهِهِ فَكَأَنَّمَا أَمْرُكَ عَلَى حَلْقِهِ مُوسَى وَمِيسَا» وقال أيضا لمن مدح رجلا ^(٣) «عَقَرْتَ الرَّجُلَ عَقَرَكَ اللَّهُ»

(١) حديث أن الله يغضب إذا مدح الفاسق: ابن أبي الدنيا في الصمت والبيق في الشعب من حديث أنس وفيه

أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى الموصلي وابن عدي بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في الميزان منكر وقد تقدم في آداب المكسب

(٢) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى وميضا: ابن المبارك في الزهد والرقائق

من رواية يحيى بن جابر مرسل

(٣) حديث عقرت الرجل عقرك الله: قاله لمن مدح رجلا لم أجده أصلا

وقال مطرف، ما سمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغرت إلى نفسي . وقال زياد بن أبي مسلم،
ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة ، إلا تراءى له الشيطان . ولكن المؤمن يراجع .
فقال ابن المبارك، لقد صدق كلاهما . أما ما ذكره زياد، فذلك قلب العوام . وأما ما ذكره مطرف،
فذلك قلب الخواص . وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَوْ مَشَى رَجُلٌ إِلَى رَجُلٍ بِسَكِينٍ
مُرْهَفٍ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يُشَتَّى عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ » وقال عمر رضي الله عنه : المدح هو
الذبج . وذلك لأن المذبج هو الذي يفتر عن العمل . والمدح يوجب الفتور . أو لأن
المدح يورث العجب والكبر ، وهما مهلكان كالذبج ، فلذلك شبهه به .

فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والمدوح ، لم يكن به بأس . بل ربما كان
مندوباً إليه ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال ^(٢) « لَوْ وَزَنَ
إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ الْعَالَمِ لَرَجَحَ » وقال في عمر ^(٣) « لَوْ لَمْ أُبْعَثْ لُبِعِثْتَ يَا عُمَرُ »
وأى ثناء يزيد على هذا ؟ ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبسيرة وكانوا رضي
الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبراً وعجباً وفتوراً . بل مدح الرجل نفسه قبيح
لما فيه من الكبر والتفاخر . إذ قال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « أَنَا سَيِّدُ آدَمَ وَلَا فَخْرَ »
أى لست أقول هذا تفاخراً ، كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم . وذلك لأن افتخاره
صلى الله عليه وسلم كان بالله ، وبالقرب من الله ، لا بولد آدم وتقدمه عليهم . كأن
المقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفتخر بقبوله إياه ، وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه
وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه . قال صلى الله
عليه وسلم ^(٥) « وَجَبَتْ » لما أثنوا على بعض الموتى . وقال مجاهد إن لى آدم جلساء

(١) حديث لومنى رجل بسكين مرهف كان خير الله من أن يشى عليه في وجهه : لم أجده أيضاً

(٢) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح : تقدم في العلم

(٣) حديث لولم أبعث لبعت يا عمر : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنى هريرة وهو منكر

والمعروف حديث عقة بن عامر لو كان يعدي نبى لكان عمر بن الخطاب رواء الترمذى وحسنه

(٤) حديث أناسيد ولد آدم ولا فخر : الترمذى وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى والحاكم من حديث

جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت أناسيد الناس يوم القيامة ولا فخر

ولسلم من حديث أنى هريرة أناسيد ولد آدم يوم القيامة

(٥) حديث وجبت قاله لما أثنوا على بعض الموتى : متفق عليه من حديث أنس

من الملائكة ، فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير ، قالت للملائكة ولك بمثله . وإذا ذكره بسوء ، قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورتك أربع على نفسك ، واحمد الله الذي ستر عورتك . فهذه آفات المدح .

بيان

ما على المدوح

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب ، وآفة الفتور ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ، ويتأمل ما في خطر الخاتمة ، ودقائق الرياء ، وآفات الأعمال ، فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح . ولو انكشف له جميع أسرار ، وما يجري على خواطره ، لكف المادح عن مدحه

وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المادح . قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « أَحْشُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الدَّاحِينَ » وقال سفيان بن عيينة ، لا يضر المدح من عرف نفسه . وأثنى على رجل من الصالحين : فقال اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني ، وأنت تعرفني . وقال آخر لما أثنى عليه ، اللهم إن عبدك هذا تقرب إلى بمقتك ، وأنا أشهدك على مقتك . وقال على رضي الله عنه لما أثنى عليه ، اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه ، فقال أتهلكني وتهلك نفسك ؟ وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه ، وكان قد بلغه أنه يقع فيه ، فقال أنا دون ما قلت ، وفوق ما في نفسك

الآفة التاسعة عشرة

الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام

لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ، ويرتبط بأمور الدين . فلا يقدر على تقويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء . فن قصر في علم أو فصاحة ، لم يخل كلامه عن الزلل . لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله . مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أحشوا في وجوه الداحين التراب : مسلم من حديث المعداد .

(١) « لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ وَلَكِنْ لِيَقُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ » وذلك لأن في العطف المطلق تشريكا وتسوية ، وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضى الله عنهما ، (٢) جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكلمه في بعض الأمر ، فقال ما شاء الله وشئت . فقال صلى الله عليه وسلم « اجْعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدِيلاً بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ » وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى . فقال د قُلْ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى » فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يعصهما ، لأنه تسوية وجمع

وكان ابراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ، ولا يقول لولا الله وفلان . وكره بعضهم أن يقال ، اللهم أعتقنا من النار ، وكان يقول العتق يكون بعد الورود . وكانوا يستجيرون من النار ، ويتعوذون من النار وقال رجل : اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال حذيفة ، إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد ، وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين

وقال ابراهيم ، إذا قال الرجل للرجل يا حمار ، يا خنزير ، قبل له يوم القيامة ، حمارا يا بشي خلقته ، خنزيرا رأيته خلقته ؟ . وعن ابن عباس رضى الله عنها إن أحداكم ليسرك حتى يشرك بكلمه ، فيقول لولاه لسرقنا الليلة

وقال عمر رضى الله عنه ، (٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْهَاكُمُ أَنْ تَخْلَفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ » قال عمر رضى الله عنه . فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها . وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « لَا تُسَمُّوا الْعِنَبَ كَرَمًا »

(الآفة التاسعة عشرة في الغفلة عن دقائق الخطأ)

(١) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت - الحديث : أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح

(٢) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الأمر فقال ما شاء الله وشئت

فقال جعلتني لله عدلا قل ما شاء الله وحده النسائي في الكبرى باسناد حسن وابن ماجه

(٣) حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما

فقد غوى - الحديث : مسلم من حديث عدى بن حاتم

(٤) حديث عمران الله ينهاكم أن تخلصوا آبائكم : متفق عليه

(٥) حديث لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم : متفق عليه من حديث أبي هريرة

إِنَّمَا الْكَرَّمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ

وقال أبو هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلَا أُمِّي كُلُّكُمْ عَبْدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ وَلَيُقْلِعُ غُلَامِي وَجَارَتِي وَفَتَاتِي وَلَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَلَا رَبِّي وَلَيُقْلِعُ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي فَكُلُّكُمْ عَبْدُ اللَّهِ وَالرَّبُّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَا تَقُولُوا لِلْفَاسِقِ سَيِّدًا فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ سَيِّدَكُمْ فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « مَنْ قَالَ أَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَهُوَ كَمَا قَالَ وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا »

فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ، ولا يمكن حصره . ومن تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان ، علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم . وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « مَنْ صَمَتَ نَجَا » لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب ، وهي على طريق التكلم ، فإن سكوت سلم من الكل . وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه : إلا أن يوافق لسان فصيح ، وعلم غزير ، وورع حافظ ؛ ومراقبة لازمة ، ويقلل من الكلام ، فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر . فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم ففهم ، فكن ممن سكت فسلم ، فالسلامة إحدى الغنيمتين

الآفة العشرون

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن . إلا أن ذلك ثقل على النفوس ، والفضول خفيف على القلب . والعامي يفرح بالخلوض في العلم . إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ، ولا يزال يحجب إليه ذلك : حتى يتكلم في العلم بما هو كافر ، وهو لا يدري

(١) حديث لا تقولوا للمنافق سيدنا - الحديث : أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح

(٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقاً فهو كما قال - الحديث : النسائي وابن ماجه من حديث

بريدة بسند صحيح

(٣) حديث من صمت نجا : الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

وكل كبيرة يرتكبها العاصي ، فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم : لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات ، والإيمان بما ورد به القرآن ، والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث . وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم ؛ يستحقون به المقت من الله عز وجل ، ويتعرضون لخطر الكفر . وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك ، وهو موجب للمقوبة . وكل من سأل عن علم غامض ، ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم . فإنه بالإضافة إليه عاصي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « ذُرُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أُمِرْتُكُمْ بِهِ فَاتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

وقال أنس : ^(٢) سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال « نَسَلُونِي وَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ » فقام إليه رجل ؛ فقال يا رسول الله من أنى ؟ فقال « أَبُوكَ حَذَافَةُ » فقام إليه شابان أخوان ، فقالا يا رسول الله ، من أبونا ؟ فقال « أَبُو كَيْمَا الَّذِي تُدْعِيَانِ إِلَيْهِ » ثم قام إليه رجل آخر ، فقال يا رسول الله ، أنى الجنة أنا أم فى النار ؟ فقال « لَا بَلْ فِى النَّارِ » فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا . فقام إليه عمر رضى الله عنه ، فقال رضيينا بالله ربنا ، وبالإسلام ديننا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا . فقال « اجْلِسْ يَا عُمَرُ رَحِمَكَ اللَّهُ إِنَّكَ مَا عَلِمْتَ لَمَوْقِفٍ » وفى الحديث ، ^(٣) نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل ، والقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « يُوشِكُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَهَنْ خَلَقَ اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ قَسُّوْهُ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

(١) حديث ذرونى ماترككم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم - الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال

سألونى فلا تسألونى عن شئ ، إلا أنبأتكم به - الحديث : متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله

بن حذافة وفول عمرو لمسلم من حديث أبى موسى فقام آخر فقال من أبى فقال أبوك سالم مولى شبة

(٣) حديث النهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث النيرة بن شعبة

(٤) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله المخلوق - الحديث : متفق عليه من حديث

أبى هريرة وقد تقدم

اللَّهُ الصَّمَدُ^(١) حَتَّى تَخْتِمُوا السُّورَةَ ثُمَّ لِيُثْقَلَ أَحَدُكُمْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلِيَسْتَعِذَّ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » وقال جابر^(٢) ، ما نزلت آية المتلاعنين إلا لكثرة السؤال

وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام ، تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال (فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا^(٣)) فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر ، وقال (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا^(٤)) فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ^(٥)) وفارقه

فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات ، وهو من المثيرات للفتن ، فيجب دفعهم ومنعهم من ذلك . وخوضهم في حروف القرآن ، يضاهاى حال من كتب الملك إليه كتابا ، ورسم له فيه أمورا ، فلم يشتغل بشيء منها ، وضع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث ، فاستحق بذلك العقوبة لامحالة . فكذلك تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديعة أم حديثه ، وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى والله تعالى أعلم

(١) حديث حار ما نزلت آية المتلاعنين إلا لكثرة السؤال رواه البزار باسناد جيد

^(١) الصمد : ٢، ١ (٢ ، ٣ ، ٤) الكهف : ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٨

کتاب ذم الغضب والمقصد والمحسن

كتاب دم الغضب والمحمد والمحمد

وهو الكتاب الخامس من ربيع المهلكات

من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يتكل على غفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون . الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون . ثم حفهم بالكاره والذات وأمل لهم لينظر كيف يعملون ، وامتحن به جبههم ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون ، فقال (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ^(١)) . والصلاة والسلام على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة المرضيين ، صلاة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ، ويحظى ببركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد . فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، وإها لمستكنة في طي الفؤاد ، استكنان الجمر تحت الرماد . ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد ، كما استخراج الحجر النار من الحديد . وقد انكشف لناظرين بنور اليقين ، أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فن استفزته نار الغضب ، فقد قويت فيه قرابة الشيطان ، حيث قال (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ^(٢)) فإن شأن الطين السكون والوقار ، وشأن النار التلظى والاستعار ، والحركة والاضطراب . ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك ، وفسد من فسد ، ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد . وإذا كان الحقد والحسد والغضب بما يسوق العبد إلى مواطن العطب ،

(١) بس: ٥٩ ، ٥٠ (٢) الاعراف: ١٣

فأوجه إلى معرفة معاطبه ومساوئه ، أبعد ذلك ، وثيقته ، ويحمله عن القلب إن كان ينفيه ،
ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه ، فإن من لا يعرف الشريع فيه ، ومن عرفه فالمعرفة
لا تكفيه ، ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه

ونحن نذكر ذم الغضب ، وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ، وجميعها يان ذم الغضب ،
ثم بيان حقيقة الغضب ، ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ، ثم بيان الأسباب
المبيجة للغضب ، ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ، ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ، ثم
بيان فضيلة الحلم ، ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشني به من الكلام ، ثم القول في
معنى الحقد ونتائجه ، وفضيلة العفو والرفق ، ثم القول في ذم الحسد ، وفي حقيقته وأسبابه
ومعالجته ، وغاية الواجب في إزائته ، ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال ، والأقران ،
والأخوة ، وبنى العم ، والأقارب . وتأكده وقتله في غيرهم وضعفه ، ثم بيان الدواء الذي به
ينقى مرض الحسد عن القلب ، ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب ، وبالله التوفيق

بيان

ذم الغضب

قال الله تعالى : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ^(١)) الآية ، ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن
الغضب بالباطل ، ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة . وروى أبو هريرة
^(٢) أن رجلاً قال يا رسول الله ، مرني بعمل وأقل . قال « لَا تَغْضَبْ » ثم أعاد عليه فقال
« لَا تَغْضَبْ » وقال ابن عمر ^(٣) قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولاً وأقله
لعل أعتقه . فقال « لَا تَغْضَبْ » فأعدت عليه مرتين ، كل ذلك يرجع إلى لا تغضب .

(كتاب الغضب والحقد والحسد)

(١) حديث أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله مرني بعمل وأقل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال

لا تغضب : رواه البخاري

(٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولاً وأقله الحديث : نحوه أبو يعلى بإسناد حسن

(٣) الفتح : ٤٦

وعن عبد الله بن عمرو ^(١) ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماذا ينقذني من غضب الله ؟ قال « لَا تَغْضَبْ » وقال ابن مسعود ^(٢) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « مَا تَعْدُونَ الصَّرْعَةَ فَيَكُم ؟ » قلنا الذي لا تصرعه الرجال . قال « لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » وقال أبو هريرة ^(٣) قال النبي صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ وَإِنَّا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » وقال ابن عمر ^(٤) قال النبي صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَهُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ » . وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى (وَسَيِّدًا وَحْشُورًا) ^(٥) قال السيد الذي لا يغلبه الغضب . وقال أبو الدرداء ، ^(٦) قلت يا رسول الله ، دلي على عمل يدخلني الجنة . قال « لَا تَغْضَبْ » وقال يحيى لعيسى عليهما السلام ، لا تغضب ، قال : لا أستطيع أن لا أغضب ، إنما أنا بشر . قال لا تقن مالا ، قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم ^(٧) « الْغَضَبُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَسَلَ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٨) « مَا غَضِبَ أَحَدٌ إِلَّا أَشْفَى عَلَى جَهَنَّمَ » وقال له رجل ^(٩) ، أي شيء أشد قال « غَضَبُ اللَّهِ » قال فما يبعدني عن غضب الله ؟ قال « لَا تَغْضَبْ »

(١) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب

الطبراني في معارج المكارم الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد بإسناد حسن وهو عند أحمد وابن عبد الله

ابن عمرو وهو السائل

(٢) حديث ابن مسعود ما تعدون الصرعة - الحديث : رواه مسلم

(٣) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة - الحديث : متفق عليه

(٤) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته : ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذم الغضب وفي الصمت

وتقدم في آفات اللسان

(٥) حديث أبي الدرداء دلي على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب : ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير

والأوسط بإسناد حسن

(٦) حديث الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل : الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية

بهر بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف

(٧) حديث ما غضب أحدا إلا أشفى على جهنم : البزار وابن عدي من حديث ابن عباس للنار باب لا يدخله الأمن شئ

غبطه بمعية الله وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان

(٨) حديث قال رجل أي شيء أشد على قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب : أحمد

من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الأخير منه وقد تقدم فله بسبب أحاديث

الآثار . قال الحسن : يا ابن آدم ، كلما غضبت وثبت ، ويوشك أن تشب وثبة فتقع في النار . وعن ذى القرنين ، أنه لقي ملكاً من الملائكة ، فقال علمني علماً أزداد به إيماناً وبقيناً ، قال لا تغضب ، فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب ، فرد الغضب بالكظم ، وسكنه بالتؤدة . وإياك والعجلة ، فإنك إذا عجلت أخطأت حظك . وكن سهلاً لنا للقريب والبعيد ، ولا تكن جباراً عنيداً

وعن وهب بن منبه ، أن راهباً كان في صومعته ، فأراد الشيطان أن يضله ، فلم يستطع فجاءه حتى ناداه ، فقال له افتح فلم يجبه ، فقال افتح . فإني إن ذهبت ندمت . فلم يلتفت إليه . فقال إني أنا المسيح قال الراهب ، وإن كنت المسيح . ، فما أصنع بك ؟ أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ؟ ووعدتنا القيامة ؟ فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك . فقال إني الشيطان ، وقد أردت أن أضلك فلم أستطع ، فجئتك لتسألني عما شئت فأخبرك . فقال ما أريد أن أسألك عن شيء . قال : فولي مدبراً . فقال الراهب ألا تسمع ؟ قال بلى . قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم ؟ قال الحدة . إن الرجل إذا كان حديداً ، قلبناه كما يقلب الصيادان الكرة وقال خيثة ، الشيطان يقول ، كيف يغلبني ابن آدم ، وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه ، وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه . وقال جعفر بن محمد ، الغضب مفتاح كل شر . وقال بعض الأنصار ، رأس الحق الحدة ، وقائده الغضب . ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم ، والحلم زين ومنفعة ، والجهل شين ومضرة ، والسكوت عن جواب الأحمق جوابه وقال مجاهد ، قال إبليس ، ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث . إذا سكر أحدهم أخذنا بخزائمه فقدناه حيث شئنا ، وعمل لنا بما أحببنا . وإذا غضب قال بما لا يعلم ، وعمل بما يندم . وبخله بما في يديه ، ونميه بما لا يقدر عليه . وقيل لحكيم ، ما أملك فلاناً لنفسه قال إذا لاندله الشهوة . ولا يصبره الهوى ، ولا يغلبه الغضب ، وقال بعضهم إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار . وقيل اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . وقال عبد الله بن مسعود ، انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه . وأما نتة عند طمعه ، وما أملك بحلمه إذا لم يغضب ، وما أملك بأمانته إذا لم يطمع . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله ، أن لا تعاقب عند غضبك على رجل فاجبسه ، فإذا سكن غضبك فأخبره فعاقبه على قدر ذنبه . ولا تجاوز به خمسة عشرة سوطاً . وقال علي بن زيد ، أغلظ

رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول ، فأطرفي عمر زمانا طويلا ، ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان ، فأنا لك منك اليوم ما تناله مني غدا . وقال بعضهم لابنه ، يا بني ، لا يثبت العقل عند الغضب ، كما لا تثبت روح الحي في التناير المسجورة .

فأقل الناس غضبا أعقلهم . فإن كان للدنيا كان دهاء ومكرا ، وإن كان للآخرة كان حاما وعاما . فقد قيل الغضب عدو العقل ، والغضب غول العقل . وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته ، أفلح منكم من حفظ من الطمع ، والهوى ، والغضب . وقال بعضهم ، من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار . وقال الحسن : من علامات المسلم قوة في دين ، وحزم في لين ، وإيمان في يقين ، وعلم في حلم ، وكيس في رفق ، وإعطاء في حق ، وقصد في غنى ، وتحمل في فاقة ، وإحسان في قدرة ، وتحمل في رفاقة ، وصبر في شدة ، لا يغلبه الغضب ، ولا تجمع به الحمية ، ولا تغلبه شهوة ، ولا تفضحه بطنه ، ولا يستخفه حرصه ، ولا تقصر به نيته ، فينصر المظالم ، ويرحم الضعيف ، ولا يبخل ، ولا يبذر ، ولا يسرف ، ولا يقتدر ، يغفر إذا ظلم ، ويعفو عن الجاهل ، نفسه منه في عناء ، والناس منه في رخاء . وقيل لعبد الله بن المبارك ، أجل لنا حسن الخلق في كلمة . فقال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه ، من يتكفل لي أن لا يغضب ، فيكون معي في درجتي ، ويكون بعدى خليفة . فقال شاب من القوم ، أنا . ثم أعاد عليه ، فقال الشاب أنا أوفى به فلما مات كان في منزلته بعده ، وهو ذو الكفل . سمي به لأنه تكفل بالغضب ، ووفى به . وقال وهب ابن منبه ، للكفر أربعة أركان ، الغضب ، والشهوة ، والخرق ، والطمع

بيان

حقيقة الغضب

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان ممرضا للفساد والموتان ، بأسباب في داخل بدنه ، وأسباب خارجة عنه ، أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ، ويدفع عنه الهلاك ، إلى أجل معلوم سماه في كتابه . أما السبب الداخل ، فهو أنه ركبه من الحرارة والرطوبة ، وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة ، فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة . وتجنفها ، وتبخرها ،

حتى تصير أجزاءها نخارا تتصاعد منها ، فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء ، يجبر ما الخل .
ونبخر من أجزائها ، لفسد الحيوان . فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان ، وخلق في الحيوان
شهوة تبعثه على تناول الغذاء ، كالموكل به في جبر ما انكسر ، وسد ما انثلم ؛ ليكون ذلك
حافظا له من الهلاك بهذا السبب

وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان ، فكالسيف ، والسنان ، وسائر المهلكات
التي يقصد بها ، فافتقر إلى قوة وحماية تثور من باطنه ، فتدفع المهلكات عنه ؛ فخلق الله
طبيعة الغضب من النار ، وغرزها في الإنسان ، وعجنها بطينته ، فهما صد عن غرض من
أغراضه ، ومقصود من مقاصده ، اشتعلت نار الغضب ، وثارت به ثوراناً يغلي به دم القلب
وينتشر في العروق ، ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار ، وكما يرتفع الماء الذي يغلي في
القدر . فلذلك ينصب إلى الوجه ، فيحمر الوجه والعين ، والبشرة لصفائها ، تحكي لون
ما وراءها من حمرة الدم ، كما تحكي الزجاجة لون ما فيها . وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه ،
واستشعر القدرة عليه . فإن صدر الغضب على من فوقه ، وكان معه يأس من الانتقام ، تولد
منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب ، وصار حزنا . ولذلك يصفر اللون . وإن كان
الغضب على نظير يشك فيه ، تردد الدم بين انقباض وانبساط ، فيحمر ويصفر ويضطرب
وباجملة ففوة الغضب محلها القلب ، ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام . وإنما
تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذبات قبل وقوعها ، وإلى التشفى والانتقام بعد
وقوعها . والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها ، وفيه لذتها ، ولا تسكن إلا به

ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة ، من التفريط ، والإفراط
والاعتدال . أما التفريط ، فيفقد هذه القوة أو ضعفها ، وذلك مذموم . وهو الذي
يقال فيه إنه لاجمية له . ولذلك قال الشافعي رحمه الله ، من استغضب فلم يغضب فهو حمار
فن فقد قوة الغضب والحمية أصلا ، فهو ناقص جدا . وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية ، فقال (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ^(١)) وقال لنبيه
صلى الله عليه وسلم (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ^(٢)) الآية . وإنما الغلظة والشدة

(١) الفتح : ٢٩ (٢) التحريم : ٩

من آثار قوة الحمية، وهو الغضب . . وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة، حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة، ولا اختيار، بل يصير في صورة المضطر، وسبب غلبته أمور غريزية، وأمور اعتيادية. فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب، حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان. ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب، لأن الغضب من النار، كما قال صلى الله عليه وسلم،
 (١) « وَإِنَّمَا بُرُودَةُ الْمَزَاجِ تُطْفِئُهُ وَتُكْسِرُ سَوْرَتَهُ »

وأما الأسباب الاعتيادية، فهو أن يخالط قوما يتبجحون بتشنى الغيظ، وطاعة الغضب وبسمون ذلك شجاعة ورجولية، فيقول الواحد منهم أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرا، ومعناه لا عقل في ولا حلم. ثم يذكره في معرض الفخر بجعله فن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب، وحب التشبه بالقوم، فيقوى به الغضب. ومهما اشتدت نار الغضب، وقوى اضطرابها، أعمت صاحبها، وأصمته عن كل موعظة، فإذا وعظ لم يسمع، بل زاده ذلك غضبا. وإذا استضاء بنور عقله، وراجع نفسه، لم يقدر. إذ ينطفئ نور العقل، وينمحي في الحال بدخان الغضب. فإن معدن الفكر الدماغ. ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ، يستولى على معادن الفكر. وربما يتعدى إلى معادن الحس، فتظلم عينه، حتى لا يرى بعينه، وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار، فاسود جوهه، وحمى مستقره، وامتلأ بالدخان جوانبه، وكان فيه سراج ضعيف فانمحي، أو انطفأ نوره، فلا تثبت فيه قدم، ولا يسمع فيه كلام، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج، بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق. فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ. وربما تقوى نار الغضب، فتفنى الرطوبة التي بها حياة القلب، فيموت صاحبه غيظا، كما تقوى النار في الكهف فينشق، وتنهد أعاليه على أسفله وذلك لإبطال النار مافي جوانبه من القوة المسككة، الجامعة لأجزائه. فهكذا حال القلب عند الغضب. وبالحقيقة

(١) حديث الغضب من النار: الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف الغضب جرة في قلب ابن آدم ولا يداود

من حديث عطية السعدي ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار

فالسفينة في ملتطم الأمواج ، عند اضطراب الرياح في لجسة البحر ، أحسن حالا ، وأرجى سلامة ، من النفس المضطربة غيظا . إذ في السفينة من يَحْتال لتسكينها وتديرها ، وينظر لها ويسوسها ، وأما القلب ، فهو صاحب السفينة ، وقد سقطت جيلته ، إذ أعماه الغضب وأصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر ، تغير اللون ، وشدة الرعدة في الأطراف ، وخروج الأعمال عن الترتيب والنظام ، واضطراب الحركة والكلام ، حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق ، وتنقلب المناخر ، وتستحيل الخلقة . ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته ، لسكن غضبه حياء من قبح صورته ، واستحالة خلقته . وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره ، فإن الظاهر غنوان الباطن . وإنما قبحت صورة الباطن أولا ، ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيا ، فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن ، ففس الثمرة بالثمرة . فهذا أثره في الجسد وأما أثره في اللسان ، فانطلاقه بالشتم والفتحش من الكلام ، الذي يستحي منه ذوالعقل ، ويستحي منه قائله عند فتور الغضب . وذلك مع تخطيط النظم ، واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء ، فالضرب ، والتهجم ، والتمزق ، والقتل ، والجرح عند التمكن من غير مبالاة . فإن هرب منه المعضوب عليه ، أو فاته بسبب ، وعجز عن التشنى ، رجع الغضب على صاحبه ، فمزق ثوب نفسه ، ويلطم نفسه ، وقد يضرب يده على الأرض ، ويعدو عدو الواله السكران ، والمدهوش المتحير ، وربما يسقط سريعا ، لا يطبق العدو والهوض بسبب شدة الغضب ، ويعتريه مثل النشبة ، وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الأرض ، وقد يكسر المائدة إذا غضب عليها ، ويتعاطى أفعال المجانين ، فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ، ويقول إلى متى منك هذا يا كيت وكيت ، كأنه يخاطب عاملا ، حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ، ويقابلها بذلك

وأما أثره في القلب مع المعضوب عليه ، فالحقن ، والحسد ، وإضرار السوء ، والشماتة بالمسآت ، والحزن بالسرور ، والعزم على إفشاء السر ، وهتك السر ، والاستهزاء ، وغير ذلك من القبائح . فهذه ثمرة الغضب المفرط . وأما ثمرة الحمية الضعيفة ، فقلة الأنفة مما يؤنف منه ، من التعرض للحرم ، والزوجة ، والأمة ، واحتمال الذل من الأخساء ، وصغر النفس ، والقهاء ، وهو أيضا مذموم . إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم ، وهو خنوة

قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنْ سَعَدَ الْغَيُورُ وَأَنَا أَسْرُ مِنْ سَعْدٍ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْيَرُ مِنِّي » وإِنَّمَا مَخَلَقَتِ الْغَيْرَةَ لِحِفْظِ الْأَنْسَابِ . وَلَوْ تَسَامَحَ النَّاسُ بِذَلِكَ لَا خَتَلَطَتِ الْأَنْسَابُ . وَلِذَلِكَ قِيلَ كُلُّ أُمَةٍ وَضَعَتِ الْغَيْرَةَ فِي رَجَالِهَا ، وَضَعَتِ الصِّيَانَةَ فِي نِسَائِهَا .

وَمِنْ ضَعْفِ الْغَضَبِ الْخُورُ ، وَالسَّكُوتُ عِنْدَ مَشَاهِدَةِ الْمُنْكَرَاتِ . وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) « خَيْرُ أُمَّتِي أَحَدًاؤُهُمَا » يَعْنِي فِي الدِّينِ . وَقَالَ تَعَالَى (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ^(٣)) بَلْ مِنْ قَعْدِ الْغَضَبِ عَجْزٌ عَنِ رِيَاضَةِ نَفْسِهِ ، إِذْ لَا تَتِمُّ الرِّيَاضَةُ إِلَّا بِتَسْلِيْطِ الْغَضَبِ عَلَى الشَّهْوَةِ ، حَتَّى يَغْضِبَ عَلَى نَفْسِهِ عِنْدَ الْمِيلِ إِلَى الشَّهَوَاتِ الْخَسِيسَةِ .

فَقَدْ ضَعُفَ الْغَضَبُ مَذْمُومٌ ، وَإِنَّمَا الْمَحْمُودُ غَضَبٌ يَنْتَظِرُ إِشَارَةَ الْعَقْلِ وَالِدِّينِ ، فَيَنْبَعَثُ حَيْثُ تَجَبَّ الْحِمْيَةُ ، وَيَنْطَفِئُ حَيْثُ يَحْسُنُ الْحَلْمُ . وَحِفْظُهُ عَلَى حَدِّ الْعَدَالِ هُوَ الْإِسْتِقَامَةُ الَّتِي كَلَّفَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ . وَهُوَ الْوَسْطُ الَّذِي وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ ^(٤) « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا » . فَمَنْ مَالَ غَضَبُهُ إِلَى الْفُتُورِ ، حَتَّى أَحْسَ مِنْ نَفْسِهِ بِضَعْفِ الْغَيْرَةِ وَخَسَةِ النَّفْسِ فِي أَحْثَالِ الدَّلِّ وَالضِّيمِ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَمَالَجَ نَفْسَهُ ، حَتَّى يَقْوَى غَضَبُهُ . وَمَنْ مَالَ غَضَبُهُ إِلَى الْإِفْرَاطِ ، حَتَّى جَرَّهُ إِلَى التَّهْوِيرِ وَاقْتِحَامِ الْفَوَاحِشِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَمَالَجَ نَفْسَهُ لِيَنْقُصَ مِنْ سُورَةِ الْغَضَبِ ، وَيَقِفَ عَلَى الْوَسْطِ الْحَقِّ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ، فَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَهُوَ أَرْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ . فَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ ، فَلْيَطْلُبِ الْقُرْبَ مِنْهُ قَالَ تَعَالَى (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمِئْلَقَةِ ^(٥)) فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْإِثْيَانِ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ ، يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ بِالشَّرِّ كُلِّهِ وَلَكِنْ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ ، وَبَعْضُ الْخَيْرِ أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ

فَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْغَضَبِ وَدَرَجَاتُهُ ، نَسْأَلُ اللَّهَ حَسْنَ التَّوْفِيقِ لِمَا يَرْضِيهِ ، إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ

(١) حَدِيثُ ابْنِ سَعْدٍ الْغَيُورِ - الْحَدِيثُ : مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ الْغَيْرَةِ

• بِنَحْوِهِ وَتَقَدَّمَ فِي النِّكَاحِ

(٢) حَدِيثُ خَيْرِ أُمَّتِي أَحَدًاؤُهُمَا : الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي الشَّعْبِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَزَادَ

الَّذِينَ إِذَا غَضِبُوا رَجَعُوا

(٣) حَدِيثُ خَيْرِ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا : الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ مَرْسُلاً وَقَدْ تَقَدَّمَ

(٤) النُّورُ : ٢ (٥) النِّسَاءُ : ١٢٩

بيان

الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكفاية ، وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد . وظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج ، وهذا رأى من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغير . وكلا الرأيين ضعيف . بل الحق فيه ما نذكره ، وهو أنه ما بقى الإنسان يحب شيئاً ويكره شيئاً ، فلا يخلو من النية والغضب . وما دام يوافقه شيء ، ويخالفه آخر ، فلا بد من أن يحب ما يوافقه ، ويكره ما يخالفه : والغضب يتبع ذلك . فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة ، وإذا قصد بمكروهه غضب لا محالة . إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام

الأول : ما هو ضرورة في حق الكفاية ، كالقوت ، والمسكن ، والملبس ، وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح ، فلا بد وأن يغضب . وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته ، وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه ، أو أريق مأواه الذي يعطشه . فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ، ومن غيظ على من يتعرض لها

القسم الثانى : ما ليس ضرورياً لأحد من الخلق ، كالجاه ، والمال الكثير ، والفلان والدواب . فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة ، والجهل بتقاصد الأمور ، حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكتران ، ويغضب على من يسرفهما ، وإن كان مستغنيا عنهما في القوت . فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه . فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه ، فهدمها ظالم ، فيجوز أن لا يغضب . إذ يجوز أن يكون بصيراً بأمر الدنيا ، فيزهد في الزيادة على الحاجة ، فلا يغضب بأخذها ، فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها ، وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضرورى ، كالجاه ، والصيت ، والتصدر في المجالس ، والمباهاة في العلم . فمن غلب هذا الحب عليه ، فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل . ومن لا يحب ذلك

فلا يبالي ولو جلس في صف النعال ، فلا يفضب إذا جلس غيره فوقه . وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكارمه ، فأكثر غضبه . وكلما كانت الإرادات والشهوات أكثر ، كان صاحبها أخط رتبة وأنقص . لأن الحاجة صفة نقص . فلهما أكثر كثر النقص . والجاهل أبدا جبهه في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته ، وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن ، حتي ينتهي بعض الجاهل بالعادات الرديئة ، ومخالطة قرناء السوء ، إلى أن يفضب لو قيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور ، واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير ، وتناول الطعام الكثير ، وما يجري مجراه من الرذائل . فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري ، لأن جبهه ليس بضروري

القسم الثالث : ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض . الكتاب مثلا في حق العالم ، لأنه مضطر إليه فيجبهه ، فيغضب على من يحرقه ويغرقه . وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب ، الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها . فإن ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحوبا . وهذا يختلف بالأشخاص . وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (١) « مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ وَلَهُ قُوَّةُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بَحْذًا فِيرَهَا » ومن كان بصيرا بحقائق الأمور ، وسلم له هذه الثلاثة ، يتصور ، أن لا يفضب في غيرها

فهذه ثلاثة أقسام ، فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها

أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ، ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ، ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ، ويستحسنه العقل . وذلك ممكن بالمجاهدة ، وتكليف الحلم والاحتفال مدة ، حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا . فأما قمع أصل الغيظ من القلب ، فذلك ليس مقتضى الطبع ، وهو غير ممكن . نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه ، حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن . وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه . ولكن ذلك شديد جدا . وهذا حكم القسم الثالث أيضا

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها: الترمذي .

وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن دون قوله بحذا فيرها قال الترمذي حسن غريب

لأن ما صار ضروريا في حق شخص ، فلا يمنعه من النفيظ استثناء غيره عنه . فالرياضة فيه تمنع العمل به ، وتضعف هيجانه في الباطن ، حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه .
وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه ، إذ يمكن إخراج حبه من القلب . وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ، ومستقره الآخرة ، وإن الدنيا معبر يمر عليها ، ويتزود منها قدر الضرورة ، وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ، ويخجو حباها عن قلبه . ولو كان للإنسان قلب لا يحبه . لا يغضب إذا ضربه غيره . فالغضب تبع للحب . فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل الغضب ، وهو نادر جدا . وقد تنتهي إلى المنع من استئمال الغضب ، والعمل بموجبه ، وهو أهون .

فإن قلت : الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب . فمن له شاة مثلا وهي قوته ، فانت ، لا يغضب على أحد ، وإن كان يحصل فيه كراهة . وليس من ضرورة كل كراهة غضب ، فإن الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ، ولا يغضب على الفصاد والحجام . فمن غلب عليه التوحيد ، حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه . فلا يغضب على أحد من خلقه ، إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته ، كالقلم في يد الكاتب ، ومن وقع ملك بضرب رقبتة لم يغضب على القلم . فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته ، كما لا يغضب على موتها ، إذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل ، فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ، ويندفع أيضا بحسن الظن بالله ، وهو أن يرى أن الكل من الله ، وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في مرضه ، وجوعه ، وجرحه وقله ، فلا يغضب ، كما لا يغضب على الفصاد والحجام ، لأنه يرى أن الخيرة فيه . فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد ، إنما تكون كالبرق الخاطف ، تغلب في أحوال مختلطة ولا تدوم ، ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط ، رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه . ولو تصور ذلك على الدوام لبشر ، لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) فإنه كان يغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه : مسلم من حديث جابر كان إذا خطب احمرت

عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ولحاكم كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه

وقد تقدم في أخلاق النبوة

حتى تحمر وجنتاه ، حتى قال ^(١) « اللَّهُمَّ أَنَا بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ فَأَيْتَا مُسْلِمٍ سَبَبَتْهُ أَوْ لَعَنَتْهُ أَوْ ضَرَبَتْهُ فَأَجْعَلْهَا مِنِّي صَلَاةً عَلَيْهِ وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تَقَرُّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ، ^(٢) يارسول الله ، أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا ؟ فقال « أكتب فوالذي بعثني بالحق نبياً ما يخرج منه إلا حق » وأشار إلى لسانه . فلم يقل إني لا أغضب . ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق ، أي لا أعمل بموجب الغضب . وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « مَا لَكَ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ » فقالت ومالك شيطان ؟ قال « بَلَى وَلَسَكُنِيَ دَعَوْتُ اللَّهَ فَأَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِالْخَيْرِ » ولم يقل لاشيطان لي وأراد شيطان الغضب ، لكن قال لا يحملني على الشر . وقال علي رضي الله عنه ، ^(٤) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدين . فإذا أغضبه الحق ، لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شيء ، حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق ، وإن كان غضبه لله ، فهو التفات إلى الوسائط على الجملة

بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته ، التي لا بد له في دينه منها ، فإنما غضب لله ، فلا يمكن الانفكاك عنه . نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضروري ، إذا كان القلب مشغولاً بضروري أهم منه ، فلا يكون في القلب منسع للغضب ، لاشتغاله بغيره ، فإن استغرق القلب ببعض المهمات ، يمنع الاحساس بما عداه ، وهذا كما أن سلمان لما شتم قال ، إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول ، وإن ثقلت موازيني لم يضرنى ما تقول فقد كان همه مصروفاً إلى الآخرة ، فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال با هذا ، قد سمع الله كلامك ، وإن دون الجنة عقبة ، إن قطعها لم يضرنى ما تقول ،

(١) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر - الحديث : مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلده بدل ضربته وفي رواية اللهم أنا محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأمله متفق عليه وتقدم . وسلم من حديث أنس أنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد أضرته

(٢) حديث عبد الله بن عمرو يارسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه : أبو داود وبنحوه

(٣) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك - الحديث : مسلم من حديث عائشة

(٤) حديث علي كان لا يغضب للدين - الحديث : الترمذي في الشمائل وقد تقدم

وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه ، فقال ماستر الله عنك أكثر . فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقى الله حق تقاته ، ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان ، إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان . وذلك لجلالة قدره . وقالت امرأة لمالك بن دينار ، يا مراثنى . فقال ما عرفنى غيرك . فكأنه كان مشغولا بأن ينقى عن نفسه آفة الرياء ، ومنكرا على نفسه ما يلقى الشيطان إليه ، فلم يغضب لما نسب إليه . وسب رجل الشعبي فقال ، إن كنت صادقا فغفر الله لى ، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك . فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا ، لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم . ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ، ولكنهم لم يشتغلوا به ، واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم . فإذا اشتغال القلب ببعض المهمات ، لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند قوات بعض المحاب . فإذا يتصور فقد النغيظ : إما باشتغال القلب بهم : أو بغلبة نظر التوحيد ، أو بسبب ثالث ، وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يفتاظ ، فيطنى . شدة حبه لله غيظه ، وذلك غير محال في أحوال نادرة . وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب محور حب الدنيا عن القلب ، وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها ، كما سيأتى في كتاب ذم الدنيا . ومن أخرج حب المزاي عن القلب ، تخلص من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن محوه ، يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ، ويهون دفعه . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه ، إنه على كل شىء قدير ، والحمد لله وحده .

بيان

الأسباب المهيجة للغضب

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها ، وإزالة أسبابها . فلا بد من معرفة أسباب الغضب . وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام ، أى شىء أشد؟ قال غضب الله . قال فأبقر من غضب الله؟ قال أن تغضب ، قال فما يبدى الغضب وما ينبته؟ قال عيسى الكبر ، والفخر ، والتعزز ، والحمية والأسباب المهيجة للغضب : هى الزهو ، والعجب ، والمزاح ، والهزل ، والهزء والتعير والمارة . والمضادة ، والفدر ، وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهى بأجمعها أخلاق

ورديئة مذمومة شرعا ، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب ، فلا يد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها . فينبغي أن تمت الزهو بالتواضع ، وتمت العجب بمعرفة نفسك ، كما سيأتى بيانه فى كتاب الكبر والعجب ، وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم فى الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا فى الفضل أشتاتا ، فبنو آدم جنس واحد ، وإنما الفخر بالفضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل ، وهى أصلها ورأسها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك . فلم تتفخر وأنت من جنس عبدك ، من حيث البنية والنسب ، والأعضاء الظاهرة والباطنة

وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التى تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما الهزل فتزيله بالجد فى طلب الفضائل والأخلاق الحسنة ، والعلوم الدينية ، التى تبلىك إلى سعادة الآخرة . وأما الهزء فتزيله بالتكريم عن إيذاء الناس ، وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعبير فبالحذر عن القول القبيح ، وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة ، طلبا لمر الاستغناء ، وترفعا عن ذل الحاجة . وكل خلق من هذه الأخلاق ، وصفة من هذه الصفات ، يفتقر فى علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة . وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها ، لترغب النفس عنها ، وتنفر عن قبورها . ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة ، حتى تصير بالمادة مألوفا هيئة على النفس . فإذا انمحت عن النفس ، فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل ، وتخلصت أيضا عن الغضب الذى يتولد منها . ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال ، تسميتهم الغضب شجاعة ، ورجولية ، وعزة نفس ، وكبرهمة ، وتلقيبه باللقاب المحموده ، غباوة وجهلا ، حتى تميل النفس إليه وتستحسنه . وقديتا كذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر ، فى معرض المدح بالشجاعة . والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهبج الغضب إلى القلب بسببه . وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل ، بل هو مرض قلب ، ونقصان عقل ، وهو لضعف النفس ونقصانها . وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضبا من الصحيح ، والمرأة أسرع غضبا من الرجل ، والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل ، وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا

من صاحب الفضائل . فالرذل بفضب لشهوته إذا فاته الآفة ، وإبجاءه إذا فاته الحبة ، حتى أنه يفضب على أهله وولده وأصحابه . بل القوى من يملك نفسه عند الغضب ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو ، وما استحس منهم من كظم الغيظ ، فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء ، والحكماء والعلماء ، وأكابر الملوك الفضلاء وصد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك ؟ والجهلة والأغبياء ، الذين لا عقول لهم ، ولا فضل فيهم

بيان

علاج الغضب بعد هيجانه

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب ؛ وقطع لأسبابه حتى لا يهيج . فإذا جرى سبب هيجه فمنده يجب التثبت ، حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم . وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور الأول : أن يتفكر في الأخبار التي سنورها ، في فضل كظم الغيظ . والعفو ، والحلم ، والاحتمال ، فيرغب في ثوابه ، فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشنق والانتقام وينطق عنه غيظه . قال مالك بن أوس بن الحدثان ، غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(١)) فكان عمر يقول (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(٢)) فكان يتأمل في الآية ، وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلى عليه ، كشر التدبر فيه ، فتدبر فيه ، وخلي الرجل . وأمر عمر ابن عبد العزيز بضرب رجل ، ثم قرأ قوله تعالى (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ^(٣)) فقال لنلامه خل عنه الثاني : أن يخوف نفسه بعقاب الله ، وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان ، فلو أمضيت غضبي عليه ، لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو ، فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة ، يا ابن آدم ، اذكرني حين

(١) حديث ليس الشديد بالصُّرْعَةِ تقدم قبله

(٢) والاعراف : ١٩٩ (٣) آل عمران : ١٣٤

تغضب ، أذكر له حين أغضب ، فلما أشتك فيم أحمق . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيحا إلى حاجة ، فأبطأ عليه ، فلما جاء قال ^(١) « لَوْلَا الْقِصَاصُ لَأَوْجَعْتُكَ » أي القصاص في القيامة . وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم ، إذا غضب أعطاه صحيفة فيها أرحم المسكين ، واخش الموت ، وأذكر الآخرة ، فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه الثالث : أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام ، وتشمر العدو لمقابلته ، والسعي في هدم أغراضه ، والشامة بمصائبه ، وهو لا يخلو عن المصائب ، فيخوف نفسه بمواقب الغضب في الدنيا ، إن كان لا يخاف من الآخرة . وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب ، وليس هذا من أعمال الآخرة ، ولا ثواب عليه ، لأنه متردد على حظوظه العاجلة ، يقدم بعضها على بعض ، إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل ، وما يعينه على الآخرة ، فيكون مثابا عليه

الرابع : أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب ، بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ، ومشابهة صاحبه للكلب الضاري ، والسبع العادي ، ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب ، للأنبياء والأولياء ، والعلماء والحكماء ، ويخبر نفسه بين أن يشبهه بالكلاب والسباع وأراذل الناس ، وبين أن يشبهه بالعلماء والأنبياء في عاداتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء ، إن كان قد بقي معه مسكة من عقل

الخامس : أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ، ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب . مثل قول الشيطان له ، إن هذا يحمل منك على العجز . وصغر النفس والدلة ، والمهانة ، وتصير حقيرا في أعين الناس . فيقول لنفسه ، ما أعجبت ! تأنفين من الاحتمال الآن ، ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح ، إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه ! وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ، ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبين أفهما كظم الغيظ . فينبغي أن يكظمه الله ، وذلك يعظمه عند الله فإله وللناس ، وذلك من ظلمه يوم القيامة أشد من ذل لو انتقم الآن . أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ليقيم من أجره على الله . فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الإيعان ينبغي أن يقرره على قلبه .

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك : أبو يعلى من حديث أم سلمة بسنده ضعيف

السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله ، لا على وفق مراده . فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله؟ ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه وأما العمل ، فإن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) أن يقال عند الغيظ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا غضبت عائشة ، أخذ بأنفها وقال : يَا عُوَيْشُ قُولِي لِلَّهِمَّ رَبِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ » فيستحب أن تقول ذلك

فإن لم يزل بذلك ، فاجلس إن كنت قائماً ، واضطجع إن كنت جالساً ، واقرب من الأرض التي منها خلقت ، لتعرف بذلك ذل نفسك . واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون ، فإن سبب الغضب الحرارة ، وسبب الحرارة الحركة . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوَقَّدُ فِي الْقَلْبِ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى اتِّفَاحِ أَوْدَاجِهِ وَخُمْرَةِ عَيْنَيْهِ ؟ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ وَإِنْ كَانَ جَالِسًا فَلْيَنِمْ »

فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل ، فإن النار لا يطفئها إلا الماء فمقدّم قال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ بِالماء فَإِنَّمَا الْغَضَبُ مِنَ النَّارِ » وفي رواية « إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ

(١) حديث الامر بالتموّد بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ : متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانفخت أوداجه - الحديث : وفيه لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يعمد فقالوا له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تموّد بالله من الشيطان الرجيم - الحديث :

(٢) حديث كان اذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي - الحديث : ابن السني في اليوم والليلة من حديثها وتقدم في الأذكار والسموات

(٣) حديث ان الغضب جمرة توقد في القلب - الحديث : الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد وقد يسم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب

(٤) حديث اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد - الحديث : أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها للصف وطه

بِالنِّسَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَخَذَكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ» وقال ابن عباس^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ » وقال أبو هريرة^(٢) ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
 غضب وهو قائم جالس ، وإذا غضب وهو جالس اضطجع ، فيذهب غضبه . وقال أبو سعيد
 الخدري ، قال النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) « أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَلَّا
 تَرَوْنَ إِلَى جَمْرَةٍ عَيْنِيهِ وَإِنْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ فَن وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيُلْصِقْ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ »
 وكان هذا إشارة إلى السجود ، وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب
 لتستشعر به النفس الذل ، وتزاييل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب

وروى أن عمر غضب يوماً فدعا بماء فاستنشق وقال : إن الغضب من الشيطان ، وهذا
 يذهب الغضب . وقال عروة بن محمد ، لما استعملت على اليمن ، قال لي أبي ، أوليت ؟ قلت
 نعم . قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك ، وإلى الأرض تحتك ، ثم عظم خالقهما
 وروى أن أباذر قال لرجل يابن الحمراء : في خصومة بينهما . فبلغ ذلك رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فقال^(٤) « يَا أَبَا ذَرٍّ بَلَّغْنِي أَنَّكَ الْيَوْمَ عَيَّرْتَ أَخَاكَ بِأَمِّهِ »
 فقال نعم . فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه ، فسبقه الرجل فسلم عليه ، فذكر ذلك لرسول الله

(١) حديث ابن عباس اذا غضبت فاسكت : احمد وابن ابى الدنيا والطبرانى واللفظ لهما والبيهقي في شعب

الايان وفيه ليث بن أبي سليم

(٢) حديث أبي هريرة كان اذا غضب وهو قائم جلس وادا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه

ابن ابى الدنيا وفيه من لم يسم ولا احمد باسناد جيد في اثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائما فجلس

ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا اذا غضب

أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع والمرفوع عند أبي داود وفيه

عنده اضطجاع سقط منه أبو الاسود

(٣) حديث أبي سعيد أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ - الحديث : الترمذي وقال حسن

(٤) حديث أبي ذر أما قال لرجل يا أبا الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم - الحديث :

وفيه فقال يا أباذر ارفع رأسك فانظر . - الحديث : وفيه ثم قال اذا غضبت الى آخره ابن أبي الدنيا

في العفو وذم الغضب باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني

كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمة فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر إنك

إمرؤ فبك جاهلية ولأحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود

الأن فضله يتقوى ورجاله ثقاة

صلى الله عليه وسلم فقال « يَا أَبَا ذَرٍّ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَأَنْظُرْ ثُمَّ اءِمْ أَنْتَ لَسْتَ بِأَفْضَلَ مِنْ أَمْرٍ فِيهَا وَلَا أَسْوَدَ إِلَّا أَنْ تَفْضُلَهُ بِعَمَلٍ » ثم قال « إِذَا غَضِبْتَ فَإِنْ كُنْتَ قَائِمًا فَأَقْمُدْ وَإِنْ كُنْتَ قَاعِدًا فَأَنْكِئْ وَإِنْ كُنْتَ مُتَكِنًا فَاصْطَلِجْ »

وقال المعتز بن سليمان : كان رجل ممن كان قبلكم ، يغضب فيشتد غضبه . فكتب ثلاث صحائف ، وأعطى كل صحيفة رجلا . وقال للأول . إذا غضبت فأعطني هذه . وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه . وقال للثالث . إذا ذهب غضبي فأعطني هذه . فاشتد غضبه يوما ، فأعطى الصحيفة الأولى ، فإذا فيها ، ما أنت وهذا الغضب ، إنك لست بالله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا . فسكن بعض غضبه ، فأعطى الثانية ، فإذا فيها ، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء . فأعطى الثالثة ، فإذا فيها ، خذ الناس بحق الله ، فإنه لا يصلحهم إلا ذلك . أى لا تعطل الحدود . وغضب المهدي على رجل ، فقال شيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه ، فقال خلوا سبيله

فضيلة

كظم الغيظ

قال الله تعالى (وَالْكَاطِمِينَ أَلْنِيظُ ^(١)) وذكر ذلك في معرض المدح ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ وَمَنْ اعْتَذَرَ إِلَى رَبِّهِ قِيلَ اللَّهُ عَذْرُهُ وَمَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « أَشَدُّكُمْ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَأَحْلَمُكُمْ مَنْ عَفَا عِنْدَ الْقُدْرَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم

﴿ فضيلة كظم الغيظ ﴾

(١) حديث من كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ - الحديث : الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظه من حديث أنس بإسناد ضعيف ولا بن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه - الحديث : وقد تقدم في آفات اللسان

(٢) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلهم من عفا عند القدرة : ابن أبي الدنيا من حديث علي بسند ضعيف والبيهقي في الشعب بالشر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسل بإسناد جيد وللبرار والطبراني في مكارم الأخلاق واللفظه من حديث أشدكم أملككم لنفسه غلبه الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه

(١) « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُخْصِيَهُ لَأَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضًا » وفي رواية « مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا » وقال ابن عمر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « مَا جَرَعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أَكْثَمَ أَجْرًا مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى » وقال ابن عباس رضي الله عنهما ، (٣) قال صلى الله عليه وسلم « إِنْ لَجَّهْمَ بَابًا لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنْ شَقَى غَيْظُهُ مُعْصِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ وَمَا كَظَمَهَا عَبْدٌ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ وَ يُخَيِّرُهُ مِنْ أَى الْحُورِ شَاءَ » الآثار: قال عمر رضي الله عنه . من اتقى الله لم يشف غيظه ، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون . وقال لقمان لابنه . يا بني ، لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ، ولا تشف غيظك بفضيحتك ، واعرف قدرك تنفعك معيشتك . وقال أيوب : حلم ساعة يدفع شرا كثيرا ، واجتمع سفيان الثوري ، وأبو خزيمة اليربوعي ، والفضيل ابن عياض ، فتذاكروا الزهد ، فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب ، والصبر عند الجزع . وقال رجل لعمر رضي الله عنه ، والله ما تقضى بالعدل ، ولا تعطى الجزل . فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه ، فقال له رجل يا أمير المؤمنين ، ألا تسمع أن الله تعالى

(١) حديث من كظم غيظا ولو شاء أن يخصيه أمضاه ملاء الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمنا وإيمانا

ابن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان

وأبوداود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه

ورواها ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم

(٢) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله: ابن ماجه

(٣) حديث ابن عباس إن لجهم بابا لا يدخل منه الا من شق غيظه بمعصية الله: تقدم في آفات اللسان

(٤) حديث مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملاء الله قلبه

إيمانا: ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلفق من حديث ابن عمر وحديث

الصحابي الذي لم يسم وقد تقدم

(٥) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن يننفذه دعاه الله على رؤس الخلائق حتى يخيره من أي

الحور شاء: تقدم في آفات اللسان

يقول . (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(١)) فهذا من الجاهلين . فقال عمر صدقت . فكأنما كانت نارا فأطفئت . وقال محمد بن كعب . ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله ، إذا رضى لم يدخله رضاء في الباطل ، وإذا غضب لم يخرج به غضبه عن الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وجاء رجل إلى سلمان ، فقال يا عبد الله أوصني . قال : لا تغضب ، قال لا أقدر . قال : فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك .

بيان

فضيلة الحلم

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم ، أى تكلف الحلم ، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة . ولكن إذا تعود ذلك ، مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ . وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي ، وهو دلالة كمال العقل واستيلانه ، وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ، ولكن ابتداءه التحلم وكظم الغيظ تكلفا . قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) : إِنَّمَا أَلِمْ بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ بِالْحِلْمِ وَمَنْ يَتَخَيَّرَ الْخَيْرَ يُنْقِطْهُ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَّهِ ، وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه ، كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم

وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) : اَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ لِيُنْوَ لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَّارَةِ الْعُلَمَاءِ فَيَغْلِبَ جَهْلُكُمْ جِلْمَكُمْ ، أشار بهذا إلى أن التكبر والتجبر ، هو الذى يهيج

(فضيلة الحلم)

(١) حديث انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم - الحديث : الطبرانى والدارقطنى فى العلل من حديث أبى البرداء بسند ضعيف

(٢) حديث أبى هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم - الحديث : ابن السني فى رياضة التعللين بسند ضعيف

الغضب ويمنع من الحلم واللين . وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم ^(١) « اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزَيِّنِي بِالْحِلْمِ ، وَأَكْرِمْ نِي بِالتَّقْوَى وَجَمِّلْنِي بِالْمَأْفِيَةِ » وقال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « ابْتَغُوا الرِّقْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ » قالوا وما هي يا رسول الله ؟ قال « تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطَى مَنْ حَرَمَكَ وَتَحْلُمُ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْكَ »

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « خَمْسٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ الْحَيَاءُ وَالْحِلْمُ وَالْحُجَامَةُ وَالسُّوَاكُ وَالتَّعَطُّرُ » وقال على كرم الله وجهه ، ^(٤) قال النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ لَيُدْرِكُ بِالْحِلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَإِنَّهُ لَيَكْتُبُ جَبَّارًا عَنِيدًا وَلَا يَمْلِكُ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِهِ » وقال أبو هريرة ، ^(٥) إن رجلا قال يا رسول الله ، إن لي قرابة أصْلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسئون إلي ، ويجهلون علي وأحلم عنهم . قال « إِنَّ كَانَ كَمَا تَقُولُ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ » المثل يعني به الرمل .

^(٦) وقال رجل من المسلمين ، اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبما رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة . فأوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أني قد غفرت له

(١) حديث كان من دعائه اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملي بالعافية لم أجد له أصلا

(٢) حديث ابتغوا الرقعة عند الله قالوا وما هي قال تصل من قطعك - الحديث : الحاكم والبيهقي وقد تقدم

(٣) حديث خمس من سنن المرسلين الحياء والعلم والحجامة والسواك والتعطُّر : أبو بكر بن أبي عاصم في الثاني والاحاد والترمذي الحكيم في نوادر الاصول من رواية ملبح بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن

جده والترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح

(٤) حديث على ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم - الحديث : الطبراني في الأوسط بسند ضعيف

(٥) حديث أبي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة أصْلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسئون

إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم - الحديث رواه مسلم

(٦) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبما رجل أصاب من عرضي شيئا

فهو صدقة عليه - الحديث : أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد المجيد

ابن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده بإسنادين زاد البيهقي عن علي بن زيد وعليه هو

الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث . وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب انه رواه ابن عيينة

عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أظنه

أبا ضمضم قلت وليس بابي ضمضم إنما هو علي بن زيد وأبو ضمضم ليس له صحبة وإنما هو متقدم

تسفيهم المثل : يعني تجعل وجوههم كلون الرماد

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « أَيْعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْصَم ؟ » قالوا وما أبو ضمضم ؟ قال « رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي تَعَدَّدْتُ الْيَوْمَ بَعْرِضِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي » . وقيل في قوله تعالى (رَبَّائِيْن) ^(٢) أى حملاء علماء .

وعن الحسن في قوله تعالى (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) ^(٣) قال حملاء إن جهل عليهم لم يجهلوا . وقال عطاء بن أبي رباح (يَعْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) ^(٤) أى حملاء . وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل (وَكَهَلًا) ^(٥) قال الكهل منتهى الحلم . وقال مجاهد (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) ^(٦) أى إذا أوذرا صفحوا ^(٧) . وروى أن ابن مسعود مر بلغو مغرضا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأَمْسَى كَرِيمًا » ثم تلا إبراهيم ابن ميسرة ، وهو الرواى ، قوله تعالى (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) ^(٨) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٩) « اللَّهُمَّ لَا يَدْرِكُنِي وَلَا أَدْرِكُهُ زَمَانٌ لَا يَتَّبِعُونَ فِيهِ الْعَلِيمَ وَلَا يَسْتَحْيُونَ فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْعُجَمِ وَالسِّنُّهُمُ السِّنُّ الْعَرَبِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(١٠) « لَيْلِي مِنْكُمْ ذَوُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ ثُمَّ الَّذِينَ يَكُونُهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَكُونُهُمْ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ » . وروى أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشج ، فأناخ راحلته ثم عقلها ، وطرح عنه ثوبين كانا عليه ، وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما ، وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ، ثم أقبل يمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه السلام ^(١١) « إِنَّ فِيكَ يَا أَشَجَّ خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ »

(١) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم - الحديث : تقدم في آفات اللسان .

(٢) حديث أن ابن مسعود مر بلغو مغرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك في البر والصلة

(٣) حديث اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم - الحديث : أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف

(٤) حديث ليلني منكم أولوا الأحلام والنهى - الحديث : مسلم من حديث ابن مسعود قوله ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود

(٥) حديث يا أشج إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة - الحديث : متفق عليه

(٦) آل عمران : ٧٩ ^(٢) ، الفرقان : ٦٣ ^(١) آل عمران : ٦٤ ^(٣) ، الفرقان : ٧٣

قال ماها بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال « الْحَلَمُ وَالْأَنَاةُ » فقال خلتان تخلقتما أو خلقان جبلت عليهما؟ فقال « بَلْ خُلِقَانِ جَبَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا » فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله . وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَلِيمَ الْحَيَّ ، أَلْتَعْنِي أَلْتَعَفُّ أَبَا الْعِيَالِ التَّقِيَّ وَيَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ السَّائِلَ الْمَلْحِفَ أَلْتَعْنِي »

وقال ابن عباس ، ^(٢) قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثَلَاثٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَلَا تَمْتَدُّوا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ تَقْوَى تَحْجُزُهُ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحِلْمٌ يَكْفِي بِهِ السَّقِيَّةَ وَخُلُقٌ يَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ أَهْلُ الْفَضْلِ ؟ فَيَقُومُ نَاسٌ وَهُمْ يَسِيرُ فَيَنْطَلِقُونَ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ فَتَسَلِّقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ لَهُمْ إِنَّا نَرَاكُمْ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ نَحْنُ أَهْلُ الْفَضْلِ فَيَقُولُونَ لَهُمْ مَا كَانَ فَضْلُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ كُنَّا إِذَا ظَلِمْنَا صَبْرًا وَإِذَا أُبِيءَ إِلَيْنَا عَفْوًا وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا حُكْمًا فَيَقُولُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ »

الآثار: قال عمر رضي الله عنه . تعلموا العلم ، وتعلموا العلم السكينة والحلم . وقال علي رضي الله عنه . ليس الخير إن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ، ويعظم حلمك وأن لا تباهى الناس بعبادة الله ، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى ، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى ، وقال الحسن اطلبوا العلم ، وزينوه بالوقار والحلم . وقال إكثم بن صبيح : دعامة العقل الحلم ، وجماع الأمر الصبر . وقال ابو الدرداء : أدركت الناس ورقا لاشوك فيه ، فأصبحوا شوكا لا ورق فيه ، إن عرفتهم نقسوك ، وإن تركتهم لم يتركوك . قالوا كيف نصنع ؟ قال تقرضهم عن عرضك ليوم فقرك . وقال علي رضي الله عنه : إن أول ما عوض الحليم من حلمه ، أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى ، لا يبلغ العبد مبلغ الرأى ،

(١) حديث ان الله يحب الحي الحليم التقى المتعفف - الحديث : الطبراني من حديث سعد أن الله يحب العبد التقى التقى الحفي

(٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعدن بشيء من عمله أبو نعيم في كتاب الإيجاز بإسناد ضعيف والطبراني من حديث أم سلمة بإسنادين وقد هدم في آداب الصحة

(٣) حديث اذا جمع الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس - الحديث : وفيه اذا جهل علينا حلما البيهقي في شعب الإيمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . قال البيهقي في إسناده ضعيف

حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته . ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لعمر بن الخطاب : أي الرجال أشجع ؟ قال من رده لجهله بحلمه . قال أي الرجال أسخى قال من بذل ديناه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك ، في قوله تعالى (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ^(١)) إلى قوله (عَظِيمٌ ^(٢)) هو الرجل يشتمه أخوه ، فيقول إن كنت كاذبا فغفر الله لك ، وإن كنت صادقا فغفر الله لي .

وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة ، فسلم عليّ ، فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لعروة بن أوس ، بم سدت قومك يا عروة ؟ قال يا أمير المؤمنين ، كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطيت سائلهم ، وأسعى في حوائجهم . فمن فعل فلي فهو مثلي ، ومن جاوزني فهو أفضل مني ، ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما ، فلما فرغ ، قال يا عكرمة ، هل للرجل حاجة فنقضها ؟ فنكس الرجل رأسه واستحي ، وقال رجل لعمر بن عبد العزيز ، أشهد أنك من الفاسقين . فقال ليس تقبل شهادتك .

وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ، أنه سبه رجل ، فرمى إليه بخميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم . فقال بعضهم ، جمع له خمس خصال محمودة ، الحلم ، وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله عز وجل ، وحمته على الندم والتوبة ، ورجوعه إلى مدح بعد الذم . اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير . وقال رجل لجعفر بن محمد ، إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر ، وإني أريد أن أتركه ، فأخشي أن يقال لي إن تركك له ذل . فقال جعفر : إنما الدليل الظالم . وقال الخليل بن أحمد ، كان يقال من أساء فأحسن إليه ، فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته . وقال الأخنف بن قيس ، لست بحليم ، ولكنني أتحملم . وقال وهب بن منبه ، من يرحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يجمل يغلب ، ومن يعجل يخطئ ، ومن يحرص على الشر لا يسلم ، ومن لا يدع المراء يشتم ، ومن لا يكره الشريأثم ، ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ، ومن يتول الله ينج ، ومن لا يسأل الله يفقر ، ومن يأمن مكر الله

يخذل ، ومن يستعن بالله يظفر . وقال رجل لمالك بن دينار ، بلغني أنك ذكرتني بسوء
 قال أنت إذا أكرم على من نفسي . إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي . وقال بعض
 العلماء ، الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تعالى تسمى به . وقال رجل لبعض الحكماء ، والله
 لأسبغ بك سبا يدخل معك في قبرك ، فقال معك يدخل لامي . ومريم عليه الصلاة
 والسلام تقوم من اليهود ، فقالوا له شراء فقال لهم خيرا . فقيل له إنهم يقولون شراء ، وأنت تقول خيرا
 فقال كل ينق مما عنده . وقال لقمان ، ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة ، لا يعرف الحليم
 إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه

ودخل على بعض الحكماء صديق له ، فقدم إليه طعاما ، فخرجت امرأة الحكيم ، وكانت
 مريضة التقي ، فرفعت المائدة ، وأقبلت على شتم الحكيم . فخرج الصديق مغضبا . فقبه
 الحكيم وتأنى له ، تذكر يوم كنا في منزلك نطعم ، فسقطت دجاجة على المائدة ، فأفسدت
 ما علينا ثم ينضب أحد منا . قال نعم . قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة . فسرى
 عن الرجل غنسه وانصرف ، وقال صدق الحكيم ، الحلم شفاء من كل ألم . وضرب رجلا
 قدم حكيم فأوجعه ، فلم ينسب . فقيل له في ذلك . فقال أقمه مقام حجر تمرت به . فذبحت الغضب
 وتأنى ثمرد الوراق

والنفس الصفيح عن كل مذنب	وإذا كثرت منه على الجرائم
والناس إلا واحد من ثلاثة	شريف ومشروف ومثل مقاوم
والذي فوق فأعرف فاداره	وأبع فيه الحق والحق لازم
والذي دوني فإن قال صنت عن	إجابته عرضي وإن لام لائم
والذي على نابت زل أو هفا	تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

بيان

القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

من أكرم ظلم ، ذكر من شخص فلا يجوز مقابله بمثله . فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة
 ومقابلة المحسن بالمحسن . ولا السب بالسب ، وكذلك سائر المعاصي وإنما القصاص
 رادها على قدر ما ورد الشرع به ، وقد فصلناه في الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله ،

إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنْ امْرُؤٌ عَيَّرَكَ بِمَا فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا فِيهِ » ، وقال « الْمُسْتَبَانِ مَا فَالَا هُوَ عَلَى الْبَادِيءِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ » ، وقال ^(٢) « الْمُسْتَبَانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَارَتَانِ » وشتم رجل ^(٣) أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو ساكت . فلما ابتداء ينتصر منه ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أبو بكر ، إنك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت ؟ قال « لِأَنَّ الْمَلِكَ كَانَ يُجِيبُ عَنْكَ فَلَمَّا تَكَلَّمْتَ ذَهَبَ الْمَلِكُ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ الشَّيْطَانُ »

وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ، وإعماهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التمييز بمثله نهى تنزيهه ، والأفضل تركه ، ولكنه لا يعصى به . والذي يرخص فيه ، أن تقول من أنت ؟ وهل أنت إلا من بنى فلان ؟ كما قال سعد لابن مسعود ، وهل أنت إلا من بنى هذيل ؟ وقال ابن مسعود وهل أنت إلا من بنى أمية ؟ ومثل قوله يأحق . قال مطرف ، كل الناس أحق فيما بينه وبين ربه ، إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض وقال ابن عمر ^(٤) في حديث طويل ، حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى

وكذلك قوله يا جاهل ، إذ ما من أحد إلا وفيه جهل ، فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله ياسيء الخلق ، ياصفيق الوجه ، ياتلأباً للأعراض ، وكان ذلك فيه . وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت ، وما أحقرك في عيني بما فعلت ، وأخزأك الله وانتقم منك . فاما البيعة ، والغيبة ، والكذب ، وسب الوالدين ، فحرام بالاتفاق لما روى أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام ، فذكر رجل خالدا عند سعد ، فقال سعد منه ، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا . يعنى أن يأثم بعضنا في بعض . فلم يسمع السوء ، فكيف يجوز له أن يقوله . . والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام ، كالنسبة إلى الزنا

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه : أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم

(٢) حديث المستبان شيطانان يتهارتان : تقدم

(٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتداء ينتصر منه قام صلى الله عليه وسلم

- الحديث : أبو داود من حديث أبي هريرة موصلاً ومرسلاً قال البخاري الرسل أصبح

(٤) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حمقى في ذات الله عز وجل : تقدم في العلم

والفحش والسب ، ماروت عائشة رضى الله عنها ،^(١) أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة ، فجاءت فقالت يا رسول الله : أرسلنى إليك أزواجك يسألك العدل فى ابنة أبى قحافة ، والنبي صلى الله عليه وسلم نائم ، فقال « يَا بِنْتُ أَتُحِبُّينِ مَا أُحِبُّ ؟ » قالت نعم . قال « فَأَحْبِبِي هَذِهِ » فرجعت إليهن ، فأخبرتاهن بذلك ، فقلن ما أغنيت عنا شيئاً . فأرسلن زينب بنت جحش ، قالت وهى التى كانت تسامىنى فى الحب ، فجاءت فقالت ، بنت أبى بكر ، وبنت أبى بكر ، فما زالت تذكرنى وأنا ساكتة ، أتتظرون يا أذنلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجواب ، فأذن لى . فسببتها حتى جف لسانى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كَلَّا إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ » يعنى أنك لا تقاومينها فى الكلام قط . وقولها سببتها ليس المراد به الفحش ، بل هو الجواب عن كلامها بالحق ، ومقابلتها بالصدق

وقال النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) « الْمُسْتَبَانَ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ » فأثبت للمظلوم انتصاراً إلى أن يعتدى . فهذا القدر هو الذى أباحه هؤلاء ، وهو رخصة فى الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ، ولا تبعدر رخصة فى هذا القدر ، ولكن الأفضل تركه ، فإنه يجره إلى ما وراءه ، ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيه . والسكوت عن أصل الجواب ، لعله أيسر من الشروع فى الجواب ، والوقوف على حد الشرع فيه . ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه فى فورة الغضب ، ولكن يعود سريعاً ، ومنهم من يكف نفسه فى الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس فى الغضب أربعة ، فبعضهم كالحلفاء ، سريع الوقود سريع الخمود . وبعضهم كالغضا ، بطيء الوقود بطيء الخمود ، وهذا هو بطيء الوقود سريع الخمود ، وهو الأحمَد ، مالم ينته إلى فتور الحمية والغيرة . وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود ، وهذا هو شرهم . وفى الخبر^(٣) « الْمُؤْمِنُ سَرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الرِّضَا » فهذا بتلك . وقال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان .

(١) حديث عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلنى أزواجك

يسألك العدل فى ابنة أبى قحافة - الحديث : رواه مسلم

(٢) حديث المستبان ما قالا فعلى البادى - الحديث : رواه مسلم وقد تقدم

(٣) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى : تقدم

ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان ، وجب على السلطان أن لا يعاقب أحدا في حال غضبه ، لأنه ربما يتعدى الواجب ، ولأنه ربما يكون متغيظا عليه ، فيكون متشقيبا لغيظه ، ومريحا نفسه من ألم الغيظ ، فيكون صاحب حظ . فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران : فأراد أن يأخذه ويمزقه ، فشتمه السكران . فرجع عمر . فقليل له يأمر المؤمنين ، لما شتمك تركته ؟ قال لأنه أغضبني ولو عززته لكان ذلك لغضبي لنفسي ، ولم أحب أن أضرب مساما حمية لنفسي . وقال عمر ابن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه ، لولا أنك أغضبتني لعاقبتك

القول

في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفى في الحال ، رجع إلى الباطن واحتقن فيه ، فصار حقدا . ومعنى الحقْد أن يلزم قلبه استئقاله ، والبنْضة له ، والنفار عنه ، وأن يدوم ذلك ويبقى . وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِحَقُودٍ » فالحقْد ثمره الغضب والحقْد يثمر ثمانية أمور : الأول : الحسد ، وهو أن يملك الحقْد على أن تتمنى زوال النعمة عنه ، فتغتم بنعمة إن أصابها ، وتسر بمصيبة إن نزلت به . وهذا من فعل المنافقين ، وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى الثاني : أن تريد على إضرار الحسد في الباطن ، فتشمت بما أصابه من البلاء الثالث . أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه ؛ وإن طلبك وأقبل عليك

(١) حديث أبي سعيد الخدري أنان بن آدم خلقوا على طبقات - الحديث : نعيم

(٢) حديث المؤمن ليس بمحمود: تقدم في العلم

الرابع : وهو دونه ، أن تعرض عنه استصغاراله

الخامس : أن تتكلم فيه بما لا يحل ، من كذب ، وغيبة ، وإفشاء سر ، وهتك ستر ، وغيره .

السادس : أن تحاكيه استهزاء به ، وسخرية منه

السابع : إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه

الثامن : أن تمنعه حقه من قضاء دين ، أو صلة رحم ، أو رد مظامة ، وكل ذلك حرام

وأقل درجات الحق أن تحتز من الآفات الثمانية المذكورة ، ولا تخرج بسبب الحق إلى مانع من الله به ، ولكن تستثقله في الباطن ، ولا تنهى قلبك عن بغضه ، حتى تتمتع عما كنت تطوع به من البشاشة ، والرفق ، والعناية ، والقيام بحاجاته ، والمجالسة معه على ذكر الله تعالى ، والمعاونة على المنفعة له . أو بترك الدعاء له ، والثناء عليه ، أو التحريض على بره ومواساته . فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ، ويحول بينك وبين فضل عظيم ، وثواب جزيل . وإن كان لا يعرضك لعقاب الله ^(١) . ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح ، وكان قريبه ، لكونه تكلم في واقعة الإفك ، نزل قوله تعالى (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ ^(٢)) إلى قوله (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ^(٣)) فقال أبو بكر نعم نحب ذلك . وعاد إلى الإنفاق عليه . والأولى أن يبقى على ما كان عليه ، فإن أمكنه أن يزيد في الإحسان مجاهدة للنفس ، وارعاما للشيطان ، فذلك مقام الصديقين ، وهو من فضائل أعمال المقربين . فالمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة

أحدهما . أن يستوفي حقه الذي يستحقه ، من غير زيادة ونقصان وهو العدل

الثاني : أن يحسن إليه بالعفو والصلة ، وذلك هو الفضل .

الثالث . أن يظلمه بما لا يستحقه ، وذلك هو الجور ، وهو اختيار الأراذل ، والثاني هو اختيار الصديقين ، والأول هو منتهى درجات الصالحين ، ولذا ذكر الآن فضيلة العفو والإحسان

(١) حدث الحلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح بل قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية : معق

عليه من حديث عائشة

(١) و (٢) البور : ٢٢

فضيلة

المغفوة والإحسان

اعلم أن معنى المغفوة أن يستحق حقاً ، فيسقطه ويبريء عنه ، من فصاص أو غرامة ، وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك أفردناه ، قال الله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(١)) وقال الله تعالى (وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ^(٢))

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كُنْتُ حَلَاً هَا خَلَفْتُ عَلَيْهِنَّ مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا وَلَا عَفَارَ جُلُ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَتَحَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « التَّوَاضُّعُ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا رَفْعَةً فَتَوَاضَعُوا يَرْفَعَكُمْ اللَّهُ وَالْعَفْوُ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا عِزًّا فَاعْفُوا يُعِزَّكُمْ اللَّهُ وَالصَّدَقَةُ لَا تَزِيدُ إِلَّا مَالاً إِلَّا كَثْرَةً فَتَصَدَّقُوا يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ » . وقالت عائشة رضي الله عنها ^(٣) « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط ، ما لم ينتهك من محارم الله . فإذا انتهك من محارم الله شيء ، كان أشدَّهم في ذلك غضباً . وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثمًا . وقال عقبة ، لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فأبتدرته فأخذت بيده أوبدني فأخذ يدي . فقال ^(٤) « يَا عُقْبَةُ أَلَا أَخْبَرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطَى مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُو عَنْ مَنْ ظَلَمَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ثلاث والذي نفسى بيده ان كنت حالنا لكانت عليهن ما نقصت صدقة من مال - الحديث :

الترمذي من حديث أبي كبشة الأنباري ومسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فواضعوا يرفعكم الله : الأصفهاني في الترغيب والترهيب وأبو منصور

للديلمي في مستند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف

(٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط - الحديث :

الترمذي في المعجم وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم

(٤) حديث عقبة بن عامر بأعقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك - الحديث

ابن أبي الدنيا والطبراني في معارج الأهل والأخلاق والبيهقي في المنهاج بإسناد ضعيف وقد تقدم

(١) «قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أعز عليك؟ قال الذي إذا قدر عفا» وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس، قال الذي يعفو إذا قدر، فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس، وأراد أن يأخذه بظلمته. فقال له صلى الله عليه وسلم (٢) «إن المظلمين هم المفلحون يوم القيامة» فأبى أن يأخذه حين سمع الحديث. وقالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من دعا على من ظلمه فقد انتصر» وعن أنس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) «إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض» وعن أبي هريرة (٤) «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، طاف بالبيت، وصلى ركعتين، ثم أتى الكعبة، فأخذ بعضادى الباب فقال «ما تقولون وما تظنون؟» فقالوا نقول أخ وابن عم، حلیم رحيم. قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم «أقول كما قال يوسف» (لا تشرب عليكم اليوم يفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) (٥)

(١) حديث قال موسى بارب أى عبادك أعز عليك قال الذى إذا قدر عفا: الحرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة- وفيه ابن لهيعة

(٢) حديث ان المظالمين هم المفلحون يوم القيامة وفى أوله قصة ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو من رواية أبى صالح الحنفى مرسل

(٣) حديث أنس إذا بعث الله عز وجل الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض: أبو سعيد أحمد بن إبراهيم المنرى فى كتاب البصرة والتذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد ان الله تعالى يقول ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فواهبوها وادخلوا الجنة برحمى واسناده ضعيف ورواه الطبرانى فى الأوسط بلفظ نادى مناد يا أهل الجمع تاركوا المظالم بينكم ونوابكم على وله من حديث أم هانئ. ينادى مناد يا أهل النوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلى النواب

(٤) حديث أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادى الباب فقال ما تقولون - الحديث: رواه ابن الجوزى فى الوفا. من طريق ابن أبى الدنيا وفيه ضعف

قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور ، فدخلوا في الإسلام . وعن سهل بن عمرو قال ^(١) لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وضع يديه على باب الكعبة ، والناس حوله فقال « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدُهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » ثم قال « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَقُولُونَ وَمَا تَفْعَلُونَ ؟ » قال قلت يا رسول الله ، نتول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم ، وقد قدرت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ » (لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) ^(٢)

وعن أنس قال ^(٣) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ نَادَى مُنَادٍ لِيُسَمِّ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ » قيل ومن ذا الذي له أجر ؟ قال « الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ فَيَقُومُ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » وقال ابن مسعود ^(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا يَنْبَغِي لَوَالِي أَمْرٍ أَنْ يُؤْتَى بِحَدٍّ إِلَّا أَقَامَهُ وَاللَّهُ عَفْوٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ » ثم قرأ (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) ^(٥) الآية . وقال جابر ، ^(٦) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثَلَاثٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيْمَانٍ دَخَلَ مِنْ أَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ وَزُوجَ مِنَ الْخَوَرِ الْعَيْنِ حَيْثُ شَاءَ مَنْ أَدَّى دَيْنًا خَفِيًّا وَقَرَأَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ^(٧) عَشْرَ مَرَّاتٍ وَعَفَا عَنْ قَاتِلِهِ » قال أبو بكر ، أو إحداهن يا رسول الله ؟ قال « أَوْ إِحْدَاهُنَّ »

(١) حدث سهل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة

الحديث : بنحوه لم أجده

(٢) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي أجره على الله

قال العافون عن الناس - الحديث : الطبراني في معكرم الأخلاق وفيه الفضل بن يسار

ولا يتابع على حديثه

(٣) حديث ابن مسعود لا ينبغي لوالي أمر أن يؤتى بحديث إلا أقامه والله عفو يحب العفو - الحديث : أحمد

والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصلوة

(٤) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء - الحديث : الطبراني

في الأوسط وفي الدعاء يستند ضعيف

(٥) يوسف : ٩٣ (٦) النور : ٢٣ (٧) الصمد : ١

الآثار : قال ابراهيم التيمي : إن الرجل ليظلمني فأرغمه . وهذا إحسان وراه العفو ، لأنه يشتمل قلبه بعرشه لمعصية الله تعالى بالظلم ، وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له ببواب وقال بعضهم ، إذا أراد الله أن يتعف عبدا ، قبض له من يظلمه . ودخل رجل على عمر ابن عبد العزيز رحمه الله ، فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ، ويقع فيه . فقال له عمر إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي ، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها . وقال يزيد بن ميسرة إن ظلمت تدعو على من ظلمك ، فإن الله تعالى يقول ، إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته ، فإن شئت استعجنا لك وأجبنا عليك ، وإن شئت أخر تكا إلى يوم القيامة فيسعنا عفوى وقال مسلم بن يسار له لرجل دعا على ظالمه : كل الظالم إلى ظلمه ، فإنه أسرع إليه من دعائك عليه ، إلا أن يتداركه بعمل ، وكن أن لا يفعل . وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال ، بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة ، فينادي من كان له عند الله شيء ، فيقوم أهل العفو ، فيكافئهم الله بما كان من عفوم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال ، أتى النعمان بن المنذر برجلين ، قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما ، فمفا عنه ، والآخر أذنب ذنبا خفيفا ، فمفاقه وقال

تمفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها
ولقد تماقب في اليسير وليس ذاك لجسها
إلا ليعرف حلمها ويخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال ، وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر . قال فكننت عنده ، إذ أتني برجل فأمر بهتله . فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر . فقلت يا أمير المؤمنين ، ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن ، قال وما هو ، قلت سمعته يقول ، إذا كان يوم القيامة ، جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد ، حيث يسمعون الداعي ، وينفذهم البصر . فيقوم مناد فينادي ، من له عند الله يد فليقم . فلا يقوم إلا من عفا . فقال والله لقد سمعته من الحسن ؟ فقلت والله لسمعته منه . فقال خلوينا عنه وقال معاوية : عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمسكنم الفرصة . فإذا أمسكنكم فمعليكم بالصبر والإفضال . وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك . فقال للراهب ، أرايت ذا القرنين ،

أكان نبيا؟ فقال لا . ولكنه إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه . كان إذا قدر عفا ، وإذا وعد وفى ، وإذا حدث صدق ، ولا يجمع شغل اليوم لغد . وقال بعضهم لبس الحليم من ظلم فحلم ، حتى إذا قدر انتقم ، ولكن الحليم من ظلم فحلم ، حتى إذا قدر عفا وقال زياد ، القدرة تذهب الحفيظة ، يعنى الحقد والغضب . وأتى هشام برجل ابائمه عنه أمر ، فلما أقيم بين يديه ، جعل يتكلم بحجته . فقال له هشام ، وتكلم أيضا؟ فقال الرجل يا أمير المؤمنين ، قال الله عز وجل (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا^(١)) أنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاما؟ قال هشام ، بلى ويحك تكلم

وروى أن سارقا دخل خلاء عمار بن ياسر بصفين ، فقال له اقطعه فإنه من أعدائنا . فقال بل أستر عليه ، لعل الله يستر على يوم القيامة . وجلس ابن مسعود فى السوق يبتاع طعاما ، فابتاع ، ثم طلب الدرهم ، وكانت فى عمامته ، فوجدها قد حلت : فقال لقد جلست وإنها لمى . فاجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون ، اللهم اقطع يد السارق الذى أخذها ، اللهم افعل به كذا فقال عبد الله ، اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها . وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال الفضيل ، ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان ، جلس إلى فى المسجد الحرام ، ثم قام ليطوف ، فسرقت دنانير كانت معه ، فجعل يبكي فقلت أعلى الدنانير تبكى؟ فقال لا . ولكن مثلتى وإياه بين يدي الله عز وجل ، فأشرف عقلى على إدحاض حجته فبكائى رحمة له . وقال مالك بن دينار ، أتبنا منزل الحكم بن أيوب ليلا . وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف . فدخلنا معه عليه . فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام ، وما صنع به إخوته من بيعهم إياه ، وطرحهم له فى الحب . فقال باعوا أخاهم ، وأحزنوا أباهم . وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ، ثم قال ، أيها الأمير ، ماذا صنع الله به ؟ أداله منهم ، ورفع ذكره ، وأعلى كلمته . وجعله على خزائن الأرض . فإذا صنع حين أكمل له أمره ؟ وجمع له أهله ؟ قال (لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ^(٢) أَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ^(٣)) يعرض للحكم بالفو عن أصحابه . قال الحكم ، فأنا أقول (لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ أَلْيَوْمَ^(٤)) ولولم أجد إلا ثوبى هذا لوأريتكم تحتته .

(١) النحل : ١١١ (٣٠٢) يوسف : ٩٢

وكتب ابن المقفع إلى صديق له، يسأله العفو عن بعض إخوانه، فلان هارب من زلته إلى عفوك. لا تذر منك بك . واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما . إلا ازداد العفو فضلا . وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى بن الأشعث ، فقال لرجاء بن حيوة ، ما ترى؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر ، فأعط الله ما يحب من العفو . فغفاهم . وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج ، فأفلت منه ، فأخذ أخاه ، فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أرايت إن جئت بك بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلي؟ قال نعم . قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم ، وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى . ثم تلا (أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى، أَمْ لَا تَرَى وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى^(١)) فقال زياد، خلوا سبيله؟ هذا رجل قد لقى حجتة : وقيل مكتوب في الأنجيل ، من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم أن الرفق محمود ، وبضاده العنف والحدة . والعنف نتيجة الغضب والفظاظة ، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة . وقد يكون سبب الحدة الغضب ، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه ، بحيث يدهش عن التفكير ، ويمنع من التثبت . فالرفق في الأمور ثمرة لا يشمرها إلا حسن الخلق . ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة : وحفظهما على حد الاعتدال . ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق ، وبالغ فيه . فقال^(١) « يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ مَنْ أَعْطَى حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ أَهْلَ بَيْتٍ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ »

﴿ فضيلة الرفق ﴾

(١) حديث بإعانة انه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة - الحديث : أحمد والغفيلي في الصمصاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي وضعه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثها بإعانة ان الله يحب الرفق في الأمر كله

(٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق : أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنَّ اللَّهَ لَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَالًا يُعْطَى عَلَى الْخُرْقِ وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الرَّفْقَ وَمَا مِنْ أَهْلٍ يَنْتِ يُحَرِّمُونَ الرَّفْقَ إِلَّا حُرِّمُوا نَحْبَةَ اللَّهِ تَعَالَى ». وقالت عائشة رضى الله عنها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعُنْفِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلٍ يَنْتِ كَرَامَةً دَلَّهْمُ عَلَى بَابِ الرَّفْقِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) « أَيُّمَا وَالٍ وَنِيَّ فَرَفَقَ وَلَانَ رَفَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٦) « تَذَرُونَ مَنْ يُحَرِّمُ عَلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ كُلُّ هَيْئٍ لَيْنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٧) « الرَّفْقُ يُؤْمِنُ وَالْخُرْقُ شَوْمٌ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٨) « الثَّانِي مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ ». وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال ، ^(٩) « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ قَدْ بَارَكَ لَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِيكَ ، فَاصْصِنِي مِنْكَ بِخَيْرٍ : فَقَالَ « الْحَمْدُ لِلَّهِ » مرتين

(١) حديث ان الله ليعطى على الرفق مالا يعطى على الخرق - الحديث : الطبراني في الكبير من حديث جريز باسناد ضعيف

(٢) حديث ان الله رقيق يحب الرفق - الحديث : مسلم من حديث عائشة

(٣) حديث يا عائشة ارفقي ان الله اذا اراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق : أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود ، داود ، يا عائشة ارفقي

(٤) حديث من يحرم الرفق يحرم الخير كله : مسلم من حديث جريز دون قوله كله فهي عند أبي داود

(٥) حديث أيما والى فلان ورفق رفق الله به يوم القيامة : مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن لى من أمرأتى شيئا فرفق بهم فارفق به

(٦) حديث تدرون على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب : الترمذي من حديث ابن مسعود وتقدم في آداب الصلوة

(٧) حديث الرفق بين والخرق شؤم : الطبراني في الاوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف

(٨) حديث الثأني من الله والعجلة من الشيطان : أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة من الله وقد تقدم

(٩) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك - الحديث وفيه فاذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه - الحديث : ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث

أبي جعفر هو المسمى عبد الله بن مسعود الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الايجاز من رواية

اسماعيل الانصاري عن أبيه عن جده اذا هممت بأمر فأجلس فتدبر عاقبته واسناده ضعيف

أو ثلاثاً ، ثم أقبل عليه فقال « هَلْ أَنْتَ مُسْتَوِصٍ » مرتين أو ثلاثاً . قال نعم . قال « إِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ فَإِنْ كَانَ رُشْدًا فَأَمْضِهِ وَإِنْ كَانَ سَوَى ذَلِكَ فَاتَّهِ » وعن عائشة رضي الله عنها ، أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « يَا عَائِشَةُ عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ »

الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن جماعة من رعيته اشتكروا من عماله ، فأمرهم أن يوافوه . فلما أتوه ، قام حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال ، أيها الناس ، أيتها الرعية إن لنا عليكم حقاً ، النصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير . أيتها الرعاة ، إن للرعية عليكم حقاً ، فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعر ، من حلم إمام ورفقه . وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم ؛ من جهل إمام وخرقه . واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهرنيه ، يرزق العافية ممن هو دونه . وقال وهب بن منبه ، الرفق ثمن الحلم . وفي الخبر موقوفا ومرفوعا ^(٢) « أَلْعِلْمُ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ وَالْعَمَلُ قِيَمُهُ وَالرَّفْقُ وَالِدُهُ وَاللِّينُ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ » وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان يزيد به العلم ، وما أحسن العلم يزيد به العمل وما أحسن العمل يزيد به الرفق . وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو ابن العاص لابنه عبد الله ، ما الرفق ؟ قال . أن تكون ذا أناة فتلاين الولاية . قال فما الخرق ؟ قال . معاداة إمامك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه ، تدرون ما الرفق ؟ قالوا قل يا أبا محمد قال : أن تضع الأمور مواضعها ، الشدة في موضعها ، واللين في موضعه ، والسيف في موضعه والوسط في موضعه . وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين ، والفضاظة بالرفق كما قيل .
ووضع الندي في موضع السيف بالاعلا مضر كوضع السيف في موضع الندي

(١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه - الحديث : رواه مسلم

(٢) حديث العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائمه والرفق والده أبو الشيخ في كتاب التواب وفضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه الفصاعى في مسند الشهاب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضعيف

فالمحمود وسط بين المنف واللين ، كما في سائر الأخلاق : ولكن لما كانت الطباع إلى المنف والحدة أميل ، كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر . فلذلك كثرت ثناء الشرع على جانب الرفق دون المنف ، وإن كان المنف في محله حسنا ، كما أن الرفق في محله حسن . فإذا كان الواجب هو المنف ، فقد وافق الحق الهوى ، وهو أنذ من الزبد بالشهد ، وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، روي أن عمرو بن العاص ، كتب إلى معاوية يماثبه في الثاني ، فكتب إليه معاوية

أما بعد . فإن التفهم في الخير زيادة رشد ، وإن الرشيد من رشد عن العجلة ، وإن الخائب من خاب عن الأناة ، وإن المتثبت مصيب ، أو كاد أن يكون مصيبا . وإن العجل مخطيء ، أو كاد أن يكون مخطئا . وأن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق . ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي . وعن أبي عون الأنصارى ، قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة ، إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها . وقال أبو حمزة الكوفي . لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه ، فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئا ، إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه . وقال الحسن . المؤمن وقاف متأن ، وليس كحاطب ليل . فهذا ثناء أهل العلم على الرفق ، وذلك لأنه محمود ، ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور . والحاجة إلى المنف قد تقع ، ولكن على السدور . وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع المنف ، فيعطى كل أمر حقه ، فإن كان قاصر البصيرة ، أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع ، فليكن ميله إلى الرفق ، فإن النجح معه في الأكثر

القول

في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته

بيان

ذم الحسد

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الغضب ، فهو فرع فرعه ، والغضب أصل أصله . ثم إن للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى . وقد ورد في ذم

الحسد خاصة أخبار كثيرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته ^(٢) « لَا تَحْسَدُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا »
 وقال أنس ، ^(٣) كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه في يده الشمال ، فسلم . فاما كان الغد : قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك . فطلع ذلك الرجل . وقاله في اليوم الثالث ، فطلع ذلك الرجل . فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص : فقال له ، إني لاحيت أبي ، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا . فإن رأيت ابن ترويني إليك حتى تحصى الثلاث فعلت . فقال نعم . فبات عنده ثلاث ليال ، فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ، ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر . قال غير أني ماسمعتة يقول إلا خيرا . فلما مضت الثلاث ، وكدت أن أحتقر عمله ، فقلت يا عبد الله ، لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا ، فأردت أن أعرف عملي ، فلم أرك تعمل عملا كثيرا . فما الذي بلغ بك ذلك ؟ فقال ما هو إلا ما رأيت . فلما وليت دعائي فقال . ما هو إلا ما رأيت ، غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا ، على خير أعطاء الله إياه . قال عبد الله ، فقلت له هي التي بلغت بك : وهي التي لا نطبق

(القول في دم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب : أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم

(٢) حديث لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا - الحديث : متفق عليه وقد تقدم

(٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة - الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لأجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاء الله : رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وصححه في رواية له سعد بن أبي السرح

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « ثَلَاثٌ لَا يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدُ الظَّنِّ وَالطَّيْرَةُ وَالْحَسَدُ وَسَاحِدُكُمْ بِالْمُخْرِجِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّقْ وَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَاْمُضْ وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْتَغِ » وفي رواية « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدٌ وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُنَّ » فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمِّمْ فَبَلِّغُوا الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ حَالِقَةُ الشَّعْرِ وَلَكِنْ حَالِقَةُ الدِّينِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا إِلَّا أَنْتُمْ كُنْتُمْ عَمَّا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَنْقَلِبَ الْقَدَرُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « إِنَّهُ سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمِّمْ ، قَالُوا وَمَا دَاءُ الْأُمِّمْ ؟ قَالَ « الْأَشْرُ وَالْبَطَرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاعُدُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَنَى ثُمَّ الْهَرَجُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) « لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَعَايَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ » . وروى أن موسى عليه السلام ، لما تعجل إلى ربه تعالى ، رأى في ظل العرش رجلا ، فقبضه بمكانه . فقال إن هذا لكريم على ربه . فسأل

(١) حديث ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطعن والحسد - الحديث : وفي رواية وقل من ينجو منهن ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى ابن يعقوب الزمعي ضعفهما الجمهور والرواية الثانية رواها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف والطراني من حديث حارثة بن العمان نحوه وتقدم في آفات اللسان

(٢) حديث دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء - الحديث : الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير (٣) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يقلب القدر : أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا

(٤) حديث انه سيصيب أمتي داء الأمم قبلكم قالوا وما داء الأمم قال الاشتر والبطر - الحديث : ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد حد

(٥) حديث لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه ويبتليك : الترمذي من حديث وائلة بن الأسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا في رحمة الله

ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره ، وقال أحدثك من عماله بثلاث . كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وكان لا يعق والديه ، ولا يمشی بالنميمة . وقال زكريا عليه السلام .
 قال الله تعالى ، الحاسد عدو لنعمتي ، متسخط لقضائي ، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي
 وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَنْ يَكْثُرَ فِيهِمُ الْمَالُ
 فَيَحْسَدُونَ وَيَقْتُلُونَ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْخَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ
 فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِنَّ لِنِعْمِ اللَّهِ أَعْدَاءَ » فقل ومن
 هم ؟ فقال « الَّذِينَ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم
^(٤) « سِتَّةٌ يَدْخُلُونَ النَّارَ قَبْلَ الْحِسَابِ بِسِتَّةِ » قيل يا رسول الله من هم ؟ قال « الْأَمْرَاءُ بِالْجُورِ وَالْعُرَبُ
 بِالْمَصَبَةِ وَالذَّهَّاقِينَ بِالْكِبَرِ وَالشُّجَارُ بِالْخِيَانَةِ وَأَهْلُ الرُّسْتَقِ بِالْجَهْلِ وَالْعُلَمَاءُ بِالْحَسَدِ »
 والآثار : قال بعض السلف ، أول خطيئة كانت هي الحسد . حسد إبليس آدم عليه السلام
 على رتبته ، فأبى أن يسجد له ، فحمله الحسد على المعصية . وحكى أن عون بن عبد الله ،
 دخل على الفضل بن المهلب ، وكان يومئذ على واسط . فقال إني أريد أن أعطيك بشيء .
 فقال وما هو ؟ قال إياك والكبر ، فإنه أول ذنب عصي الله به ، ثم قرأ (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

(١) حديث أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتلون : ابن أبي الدنيا في كتاب
 ذم الحسد من حديث أبي عامر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين
 من حديث أبي سعيد أن ما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها
 ولها من حديث عمرو بن عوف البدرى والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط
 عليكم الدنيا الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا فتحت عليكم فارس والروم
 الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون الحديث ولأحمد والبخاري من حديث عمر
 لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة
 (٢) حديث استعينوا على قضاء الخوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود : ابن أبي الدنيا والطبراني من
 حديث معاذ بن سعد بن عبد الله

(٣) حديث إن نعم الله أعداءه قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله : الطبراني
 في الأوسط من حديث ابن عباس أن لأهل النعم حسادا فاحذروهم
 (٤) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قيل يا رسول الله ومن هم قال الأمراء بالجور - الحديث :
 وفيه والعلماء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بن مالك ضعيفين

اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ^(١) الآية . وإياك والحرص ، فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض ، يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها ، فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ، ثم قرأ (أَهْبِطُوا مِنْهَا ^(٢)) إلى آخر الآية . وإياك والحسد ، فإنه دُلَّ ابن آدم إسماعيل حين حسده ، ثم قرأ (وَأَنْزَلْنَا لَهُمْ نَبِيًّا أَنْذَرَ آدَمَ بِاتِّخَاذِهِ ^(٣)) الآيات . وإذا ذكر أعجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك . وإذا ذكر القدر فاسكت . وإذا ذكرت النجوم فاسكت .

وقال بكر بن عبد الله . كان رجل يشقى بعض الملوكة ، فيقوم بخذاء الملك ، فيقول أحسن إلى المحسن بإحسانه ، فإن المسمى سيكفيك إساءته . فحسده رجل على ذلك المقام والكلام ، فسمى به إلى الملك ، فقال إن هذا الذي يقوم بخذائك ويقول ما يقول ، زعم أن الملك أنجر . فقال له الملك ، وكيف يصح ذلك عندي ؟ قال تدعوه إليك ، فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر . فقال له انصرف حتى أنظر . فخرج من عند الملك ، فدعا الرجل إلى منزله ، فأطعمه طعاما فيه ثوم . فخرج الرجل من عنده ، وقام بخذاء الملك على عادته . فقال أحسن إلى المحسن بإحسانه ، فإن المسمى سيكفيك إساءته . فقال له الملك ادن مني . فدنا منه ، فوضع يده على فيه تخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم . فقال الملك في نفسه ، ما أرى فلانا إلا قد صدق . قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة . فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله ، إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه ، واسلخه ، واحش جلدته تبنا ، وابعث به إلى ، فأخذ الكتاب وخرج ، فلقى الرجل الذي سعى به ، فقال ما هذا الكتاب ؟ قال خط الملك لي بصلة . فقال هبه لي . فقال هولك . فأخذه ومضى به إلى العامل ، فقال العامل ، في كتابك أن أذبحك وأسلخك . قال إن الكتاب ليس هو لي ، فإله الله في أمري حتى تراجع الملك . فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه ، وسلخه ، وحش جلدته تبنا ، وبعث به . ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته ، وقال مثل قوله فعجب الملك ، وقال ما فعل الكتاب ؟ فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له . قال الملك ، إنه ذكر لي أنك ترمي أني أنجر . قال ما قلت ذلك . قال فلم وضعت يدك على فيك قال لأنه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن أسمه . قال صدقت أرجع إلى مكانك ، فقد كفى المسمى إساءته

وقال ابن سيرين رحمه الله . ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا ، لأنه إن كان من أهل الجنة ، فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة ؟ وإن كان من أهل النار ، فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار ! وقال رجل للحسن ، هل يحسد المؤمن ؟ قال ما أنساك بنى يعقوب ، نعم ، ولكن غمه في صدرك ، فإنه لا يضرك ما لم تعد به يد أو لسانا ، وقال أبو الدرداء ، ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قلَّ فرحه ، وقلَّ حسده ، وقال معاوية ، كل الناس أقدر على رضاه ، إلا حاسد نعمة ، فإنه لا يرضيه إلا زوالها ، ولذلك قيل كل العداوات قد ترجى إِمَاتَتِهَا * إلا عداوة من عاداك من حسده

وقال بعض الحكماء : الحسد جرح لا يبرأ ، وحسد الحسود ما يلقى . وقال أعرابي : ما رأيت ظالماً أشبه غظا لوم من حاسد ، إنه يرى النعمة عليك تقمة عليه . وقال الحسن يا ابن آدم ، لم تحسد أخاك ؟ فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه ، فلم تحسد من أكرمه الله ؟ وإن كان غير ذلك ، فلم تحسد من مصيره إلى النار ؟ وقال بعضهم ، الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً . ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا . ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً . ولا ينال عند النزع إلا شدة وهو لا . ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا

بيان

حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة . فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة ، فلك فيها حالتان إحداها : أن تكره تلك النعمة ، وتحب زوالها ، وهذه الحالة تسمى حسداً . فالحسد محبة كراهة النعمة ، وحب زوالها عن المنعم عليه

الحالة الثانية : أن لا تحب زوالها ، ولا تكره وجودها ودوامها ، ولكن تشتهي لنفسك مثلها . وهذه تسمى غبطة . وقد تختص باسم المنافسة . وقد تسمى المنافسة حسداً ، والحسد منافسة ، وبوضع أحد اللفظين موضع الآخر ، ولا حرج في الأسامي بعد فهم المعاني . وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَفِئُطُوا وَالْمُنَافِقِينَ يَحْسَدُونَ »

فأما الأول: فهو حرام بكل حال، إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر، وهو يستمين بها على تهيج الفتنة، وإفساد ذات البين، وإيذاء الخلق، فلا بضرك كراهتك لها، وتجنبك زوالها فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة، بل من حيث هي آلة الفساد. ولو أمنت فسادها، لم يعمك بنعمته. ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها، وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض، وذلك لأعذر فيه ولا رخصة، وأي معصية تريد على كراهتك لراحة مسلم، من غير أن يكون لك منه مضرة، وإلى هذا أشار القرآن بقوله (إِنْ تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تَصِيبْكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا^(١)) وهذا الفرخ شامة، والحسد والشامة يتلازمان.

وقال تعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ^(٢)) فأخبر تعالى أن جهنم زوال نعمة الإيمان حسد. وقال عز وجل (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً^(٣)) وذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف عليه السلام، وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى (إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى آبَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَوْطِرْهُ أَرْضًا يَخُلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ^(٤)) فلما كرهوا حب أبيهم له، وساء لهم ذلك وأجوازوا له عنه، فغيبوه عنه. وقال تعالى (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا^(٥)) أي لا تضيق صدورهم به ولا يفتنون: فأننى عليهم بعدم الحسد

وقال تعالى في معرض الإنكار (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^(٦)) وقال تعالى (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً^(٧)) إلى قوله (إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْهَهُمْ^(٨)) قيل في التفسير حسدا، وقال تعالى (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَهُمْ^(٩)) فأنزل الله العلم ليجمعهم، ويؤلف بينهم على طاعته، وأمرهم

(١) حديث الزمن يغبط والمناقض يحسد: لم أجده أصلا مرفوعا وإنما هو من قول الخليل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد

(١) آل عمران: ١٢٠ (٢) البقرة: ١٠٩ (٣) النساء: ٨٩ (٤) يوسف: ٨ (٥) الحشر: ٩ (٦) النساء: ٤٥

(٧) و (٨) البقرة: ٢١٣ (٩) الشورى: ١٤

أن يتألفوا بالعلم، فتحاسدوا واختلفوا، إذ أراد كل واحد منهم أن يفرد بالرياسة، وقبول القول، فرد بعضهم على بعض. قال ابن عباس^(١) كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم، إذا قاتلوا قوما، قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله، وبالكتاب الذي تنزله، إلا مانصرتنا. فكانوا ينصرون. فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل عليه السلام عرفوه، وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ^(١)) إلى قوله (أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَنِيًّا^(٢)) أي حسدا. وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم^(٣) جاء أبي وعمي من عندك يوما، فقال أبي لعمي ما تقول فيه؟ قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فأتري؟ قال أزي معاداته أيام الحياة. فهذا حكم الحسد في التحريم

وأما المنافسة، فليست بجرام. بل هي إما واجبة، وإما مندوبة، وإما مباحة. وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة، والمنافسة بدل الحسد. قال قثم بن العباس^(٤) لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم، فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة، قالوا لعلي

(بيان حقيقة الحسد وحكمه)

(١) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله - الحديث : في نزول قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا: ابن اسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع

(٢) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبي وعمي من عندك يوما فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول أنه النبي الذي بشر به موسى - الحديث : ابن اسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضا (٣) حديث قال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قالوا لعلي - الحديث : هكذا وقع للمصنف أنه قثم والفضل وإنما هو الفضل والطلب بن ربيعة كما رواه مسلم من حديث الطلب بن ربيعة بن الحارث قال اجتمع ربيعة ابن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين قال لي والفضل بن عباس ائتيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فذكر - الحديث :

حين قال لهما لا تذهبا إليه ، فإنه لا يؤمر كما عليها ، فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة . والله لقد زوجك أبنته فما نفسنا ذلك عليك ، أي هذا منك حسد ، وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة ، والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة . والذي يدل على إباحة المنافسة ، قوله تعالى (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ^(١)) وقال تعالى (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ^(٢)) وإثما المتابعة عند خوف الفوت ، وهو كالعبد ينسابقان إلى خدمة مولاهما ، إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه ، فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها . فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ^(٣) « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْماً فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ النَّاسَ » ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال ^(٤) « مِثْلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلُ أَرْبَعَةِ رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْماً وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالاً فَيَقُولُ رَبُّ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً مِثْلَ مَالِ فُلَانٍ لَكُنْتُ أَعْمَلُ فِيهِ مِثْلَ عَمَلِهِ فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ » وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله ، فيعمل مثل ما يعمل ، من غير حب زوال النعمة عنه قال « وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْماً فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ عِلْماً وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالاً فَيَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ مَالِ فُلَانٍ لَكُنْتُ أُنْفِقُهُ فِي مِثْلِ مَا يُنْفِقُهُ فِيهِ مِنْ الْمَعَاصِي فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ » فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تنبيهه للمعصية لأمين جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله

فإذا أخرج على من يغبط غيره في نعمة ، ويستهي لنفسه مثلها ، مهما لم يحب زوالها عنه ، ولم يسكره دوامها له . نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة ، كالإيمان والصلاة ، والزكاة ، فهذه المنافسة واجبة . وهو أن يحب أن يكون مثله ، لأنه إذا لم يكن بحسب ذلك فيكون راضياً بالمعصية ، وذلك حرام . وإن كانت النعمة من الفضائل ، كالنفاق

(١) حديث لا حسد إلا في اثنتين - الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم في العلم

(٢) حديث أبي كبشة الأنماري : أربعة رجل آتاه الله مالا - الحديث : رواه ابن ماجه

والترمذي وقال صحيح

(٣) اللطيفين : ٣٦ (٤) الحميد : ١٢

الأموال في المكارم والصدقات ، فالمنافسة فيها مندوب إليها . وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح ، فالمنافسة فيها مباحة . وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته ، واللحوق به في النعمة ، وليس فيها كراهة النعمة ، وكان تحت هذه النعمة أمران ، أحدهما : راحة المنعم عليه ، والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه . وهو يكره أحد الوجهين ، وهو تخلف نفسه ، ويحب مساواته له . ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل ، ويناقض الزهد ، والتوكل ، والرضا ، ويحجب عن المقامات الرفيعة ، ولكنه لا يوجب المصيان

وهنا دقيقة غامضة ، وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة ، وهو يكره تخلفه ونقصانه ، فلا محالة يجب زوال النقصان وإنما يزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فإذا انسد أحد الطريقين ، فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر ، حتى إذا زالت النعمة عن المحسود ، كان ذلك أشنى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره . وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه ، فإن كان بحيث لو أُلقي الأمر إليه ، ورد إلى اختياره ، لسمى في إزالة النعمة عنه ، فهو حسود حسدا مذموما . وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك ، فيعنى عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده ، مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه : ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم (١) « ثَلَاثٌ لَا يَنْفَكُ الْمُؤْمِنُ عَنْهُنَّ الْحَسَدُ وَالظَّنُّ وَالطَّيْرَةُ » ثم قال « وَلَهُ مِنْهُنَّ مَخْرَجٌ إِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْتَغِ » أي إن وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به . وبمعنى أن يكون الإنسان مريدا للحاق بأخيه في النعمة ، فيعجز عنها ، ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة . إذ يجد لا محالة ترجيحها له على دوامها . فهذا الحد من المناقصة يراحم الحسد الحرام ، فينبغي أن يحتاط فيه ، فإنه موضع الخطر . وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ، ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوى الإيمان ، رزين التقوى ومهما كان محرکه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره ، جره ذلك إلى الحسد المذموم

(١) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة - الحديث : تقدم غيره مرة

وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه ، حتى ينزل هو إلى مساواته ، إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بإدراك النعمة ، وذلك لارخصة فيه أصلاً ، بل هو حرام ، سواء كان في مقاصد الدين ، أو مقاصد الدنيا ، ولكن يعنى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له . فهذه حقيقة الحسد وأحكامه ، وأما مراتبه فأربع الأولى : أن يحب زوال النعمة عنه : وإن كان ذلك لا ينتقل إليه . وهذا غاية الخبث الثانية : أن يحب زوال النعمة إليه ، لرغبته في تلك النعمة ، مثل رغبته في دار حسنة ، أو امرأة جميلة ، أو ولاية نافذة ، أو سعة نالها غيره ، وهو يجب أن تكون له ، ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ، ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها الثالثة : أن يشتهى عينها لنفسه ، بل يشتهى مثلها . فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينها

الرابعة . أن يشتهى لنفسه مثلها ، فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه . وهذا الأخير هو المفعول إن كان في الدنيا . والمندوب إليه إن كان في الدين . والثالثة فيها مذموم وغير مذموم . والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض . وتسمية الرتبة الثانية حسداً فيه تجوز وتوسع ، ولكنه مذموم لقوله تعالى (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ^(١)) فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم ، وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان

أسباب الحسد والمنافسة

أما المنافسة ، فسببها حب ما فيه المنافسة . فإن كان ذلك أمراً دينياً ، فسببه حب الله تعالى وحب طاعته . وإن كان دنيوياً ، فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها . وإفغانظرنا الآن في الحسد المذموم ، ومداخله كثيرة جداً ؛ ولكن يحصر جملة سبعة أبواب ، العداوة ، والتعزز ، والكبر ، والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة ، وحب الرياسة ، وخبث النفس ويخلها . فإنه إنما يكره النعمة على غيره ، إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير

وهذا لا يختص بالأمثال ، بل يحسد الخسيس الملك ، بمعنى أنه يحب زوال نعمته ، لكونه مبغضاله بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه . وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه ، وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه ، وهو المراد بالتمزز . وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ، ويمتنع ذلك عليه لنعمته . وهو المراد بالتكبر . وإما أن تكون النعمة عظيمة ، والمنصب عظيم ، فيتمتع من فوز مثله بحل تلك النعمة ، وهو المراد بالتعجب . وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته ، بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه . وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبئ على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها . وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب ، بل لحب النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ، ولا بد من شرح هذه الأسباب

السبب الأول : العداوة والبغضاء . وهذا أشد أسباب الحسد ، فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب ، وخالفه في غرض بوجه من الوجوه ، أبغضه قلبه ، وغضب عليه ، ورسخ في نفسه الحقد . والحقد يقتضي التشنى والانتقام ، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه ، أحب أن يتشفى منه الزمان . وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى : فربما أصابت عدوه بلية فرح بها ، وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه ، وأنها لأجله . ومهما أصابته نعمة ، ساء ذلك ؛ لأنه ضد مراده . وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله ، حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه ، بل أنتم عليه . وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما . وإنما غاية التقى أن لا يبنى ، وأن يكره ذلك من نفسه . فأما أن يبغض إنسانا ثم يستوى عنده مسرته ومساءته ، فهذا غير ممكن . وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعداوة . إذ قال تعالى (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَنْكُمْ الْأَنْبِيَاءَ مِنَ الْفَيْضِ قُلْ مُوتُوا يَغْشَى كُفْرَ اللَّهِ عَالِمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنَّ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُومُكُمْ ^(١)) الآية . وكذلك قال تعالى (وَذُرُوا مَا عَلَيْكُمْ قَدْ بَكَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا نَحْنُ بِصُدُورِهِمْ أَكْبَرُ ^(٢)) . والحسد بسبب البغض وربما يفضى إلى التنازع والتقاتل ، واستغراق العمر في إزالة النعمة بالليل ، والسعاية ، وهناك المير ، وما يجري مجراه

(١) آل عمران : ١١٩ ، ١٢٠ . (٢) آل عمران : ١١٨

السبب الثاني : التعزز . وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره . فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية ، أو علماً ، أو مالاً ، خاف أن يتكبر عليه ، وهو لا يطيق تكبره ، ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه ، وليس من غرضه أن يتكبر ، بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضى بمساواته مثلاً ، ولكن لا يرضى بالترفع عليه

السبب الثالث : الكبر . وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ، ويستصغره ويستخدمه ، ويتوقع منه الاتقياء له ، والمتابعة في أغراضه . فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ، ويترفع عن متابعتها ، أو ربما يتشوف إلى مساواته ، أو إلى أن يرتفع عليه ، فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه . ومن التكبر والتعزز كان حسداً أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم ! وكيف نطأطأ رءوسنا ^(١) فقالوا (لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ^(٢)) أي كان لا يثقل علينا أن يتواضع له ، ونتبعه إذا كان عظيماً . وقال تعالى يصف قول قريش (أَهْوَأَ لَاءَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ يَتَيْنَا ^(٣)) كالأستحقار لهم والألفة منهم

السبب الرابع : التعجب . كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة ، إذ قالوا (مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ^(٤)) وقالوا (أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ^(٥)) (وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ^(٦)) فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة ، والوحى ، والقرب من الله تعالى ، بشر مثله . فحسدوهم ، وأحبوا زوال النبوة عنهم ، جزعاً أن يفضل عليهم من هو مثله في الخلقة ، لا عن قصد تكبر ، وطلب رياسة ، وتقديم عداوة ، أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متعجبين (أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ^(٧)) وقالوا (لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا آيَاتُهُ ^(٨))

(بيان أسباب الحسد والمنافسة)

- (١) حديث سبب نزول قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم : ذكره ابن اسحاق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال أنزل على محمد وأتركوا لنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف فنحن عطاء القريتين أنزل الله فينا بلغنا هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالاً مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه جبيب بن عمير الثقفي وهو ضعيف

(٢) الزخرف : (٣) الانعام : ٣٣ (٢) يس : ١٥ (٣) المؤمنون : ٧ (٤) المؤمنون : ٣٤ (٥) الاحزاب : ٤٦ (٦) الفرقان : ٣١

وقال تعالى (أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ^(١)) الآية

السبب الخامس : الخوف من فوت المقاصد . وذلك يختص بمنزاحين على مقصود واحد . فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده . ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزامهم على مقاصد الزوجية ، وتحاسد الأخوة في التزامهم على نيل المنزلة في قلب الأبوين ، للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال . وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ ، وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه : للتوصل به إلى المال والجاه . وكذلك تحاسد الواعظين المتزامين على أهل بلدة واحدة ، إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم . وكذلك تحاسد المالين المتزامين على طائفة من المتفقهة محصورين ، إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له

السبب السادس : حب الرياسة ، وطلب الجاه لنفسه ، من غير توصل به إلى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظر في فن من الفنون ، إذا غلب عليه حب الثناء ، واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه ، وأنه لا نظير له ، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك ، وأحب موته ، أو زوال النعمة عنه ، التي بها يشاركه في المنزلة ، من شجاعة ، أو علم ، أو عبادة ، أو صناعة ، أو جمال ، أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ، ويفرح بسبب تفرده . وليس السبب في هذا عداوة ، ولا تمزاً ، ولا تكبراً على المحسود ، ولا خوفاً من فوات مقصود ، سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد . وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس ، للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة . وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به ، خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم ، مهما نسخ علمهم

السبب السابع : خبت النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى . فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ، وتكبر ، ولا طلب مال ، إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى ، فيما

أنعم الله به عليه ، يشق ذلك عليه . وإذا وصف له اضطراب أمور الناس ، وإدبارهم ، وفوات مقاصدهم ، وتنقص عيشهم ، فرح به . فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ، ويبخل بنعمة الله على عباده ، كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه . ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه ، والشحيح هو الذى يبخل بمال غيره . فهذا يبخل بنعمة الله تعالى ، على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة . وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث فى النفس ، ورذالة فى الطبع ، عليه وقعت الجلبة ، ومعالجته شديدة . لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب ، أسبابه عارضة يتصور زوالها ، فيطمع فى إزالتها . وهذا خبث فى الجلبة ، لاعت سبب عارض فتمسر إزالته ، إذ يستحيل فى العادة إزالته . فهذه هى أسباب الحسد ، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب ، أو أكثرها ، أو جميعها فى شخص واحد ، فيعظم فيه الحسد بذلك ، ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة ، يل يهتك حجاب المجاملة ، وتظهر العداوة بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب . ولما يتجرد سبب واحد منها .

بيان

السبب فى كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والأخوة وبنى العم والأقارب

وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التى ذكرناها ، وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتظاهر ، إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يمتنع عن قبول التكبر ، ولأنه يتكبر ، ولأنه عدو ، ولغير ذلك من الأسباب . وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط ، يجتمعون بسببها فى مجالس المخاطبات ، ويتواردون على الأغراض : فإذا خالف واحد منهم صاحبه فى غرض من الأغراض ، نفر طبعه عنه ، وأبغضه ، وثبت الحقد فى قلبه ، فعند ذلك يريد أن يستحققه ويتكبر عليه ، ويكافئه على مخالفته لغرضه ، ويكرهه تمكنه من النعمة التى توصله إلى أغراضه ، وتترادف جملة من هذه الأسباب . إذ لا رابطة بين شخصين فى بلدين متنايئين ، فلا يكون بينهما

محاسدة . وكذلك في محلتين . نعم إذا تجاورا في مسكن ، أو سوق ، أو مدرسة ، أو مسجد
توارد على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما ، فيثور من التناقض التنافر والتباغض ، ومنه تثار
بقية أسباب الحسد . ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد ، والعابد يحسد العابد
دون العالم ، والتاجر يحسد التاجر ، بل الإسكاف يحسد الإسكاف ولا يحسد البزاز ،
لا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة .

ويحسد الرجل أخاه وابن عمه ، أكثر مما يحسد الأجانب . والمرأة تحسد ضرتها وسرية
زوجها ، أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته : لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف ، فلا
يتزاحمون على المقاصد ، إذ مقصد البزاز الثروة ، ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون ، وإنما
يتنازع فيه بزاز آخر . إذ حريف البزاز لا يطلبه الإسكاف بل البزاز . ثم مزاحمة البزاز
المجاور له ، أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق . فلا جرم يكون حسده للجار أكثر
وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم ، لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة
ويشتهر بها ، وينفرد بهذه الخصلة ، ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض . وكذلك يحسد العالم
العالم . ولا يحسد الشجاع . ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب
لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص

فأصل هذه المحاسدات العداوة ، وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد ، والغرض
الواحد لا يجمع متباعين بل متناسبين ، فلذلك يكثر الحسد بينهما . نعم من اشتد حرصه
على الجاه ، وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه ، فإنه يحسد كل من هو
في العالم ، وإن بعد ، ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها .

ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا ، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين . أما الآخرة فلا تضيق فيها .
وإنما مثال الآخرة نعمة العلم ، فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ، ومعرفة صفاته ، وملائكته ،
وأنبيائه ، وملوك سمواته وأرضه ، لم يحسد غيره ، إذا عرف ذلك أيضا ، لأن المعرفة لا تضيق عن
العارفين ، بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ، ويفرح بمعرفته ، ويلتذبه ، ولا تنقص
لذة واحد بسبب غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأتس ، ووفرة الاستفادة والإفادة
فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة ، لأن مقصدهم معرفة الله تعالى ، وهو بحر واسع

لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق أيضا فيما عند الله تعالى ، لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه ، وليس فيها مساناة ومزاحمة ، ولا يضيق بعض الناظرين على بعض ، بل يزيد الأنس بكثرتهم

نعم إذا قصد العالم بالعلم المال ، والجاه ، تحاسدوا ، لأن المال أعيان وأجسام ، إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر . ومعنى الجاه ملك القلوب . ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم ، انصرف عن تعظيم الآخر ، أو نقص عنه لا محالة ، فيكون ذلك سبباً للمحاسبة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى ؛ لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها ، وأن يفرح بذلك . والفرق بين العلم والمال ، أن المال لا يحل في يدها لم يرتحل عن اليد الأخرى . والعلم في قلب العالم مستقر ، ويحل في قلب غيره بتعليمه ، من غير أن يرتحل من قلبه . والمال أجسام وأعيان ، ولها نهاية : فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض ، لم يبق بعده مال يملكه غيره . والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه . فنعود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته ، وملكوته أرضه وسماؤه ، صار ذلك ألد عنده من كل نعيم ، ولم يكن ممنوعاً منه ، ولا مزاحماً فيه ، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق ، لأن غيره أيضاً لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته ، بل زادت لذته بمؤانسته ، فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام ، أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة . فإن نعيم العارف وجمته معرفته ، التي هي صفة ذاته ، يأمن زوالها ، وهو أبداً يحيى ثمارها . فهو بروحه وقلبه مفتد بفاكهة علمه ، وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة ، بل قطوفها دانية . فهو وإن غمض العين الظاهرة ، فروحه أبداً ترتع في جنة عالية ، ورياض زاهرة . فإن فرض كثرة في العارفين ، لم يكونوا متحاسدين ، بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين (وَتَرَعْنَا مَا فِي صُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ^(١)) فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا . فإذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ، ومشاهدة المحبوب في المقبي ! فإذا لا يتصور أن يكون في الجنة محاسبة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسبة ، لأن الجنة لا مضايقة فيها . ولا مزاحمة ، ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى ، التي لا من حجة فيها في الدنيا أيضاً . فأهل الجنة بالضرورة برآء

من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا . بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين ، إلى مضيق سجين . ولذلك وسم به الشيطان اللعين ، وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتناء ، ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى ، وتغرد وعصى فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ، ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ، ويتحاسدون على رؤية البساتين ، التي هي جزء يسير من جملة الأرض ، وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ، ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار ، فلم يكن فيها تراحم ولا تحاسدا أصلا فعليك إن كنت بصيرا ، وعلى نفسك مشفقا ، أن تطلب نعمة لازمة فيها ، ولذة لا كدر لها ، ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ، ومعرفة صفاته وأفعاله ، وعجائب ملكوت السموات والأرض . ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضا . فإن كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ، ولم تجد لذتها ، وفتر عنك رأيك ، وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور ، إذ العنين لا يشاق إلى لذة الوقاع ، والصبي لا يشاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمختنين . فكذلك لذة المعرفة ، يختص بإدراكها الرجال (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ^(١)) ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم ، لأن الشوق بعد الذوق ، ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشاق ، ومن لم يطلب ، ومن لم يطلب لم يدرك ، ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ^(٢))

بيان

الدواء الذي ينقي مرض الحسد عن القلب

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل . والعلم النافع لمرض الحسد ، هو أن تعرف تحقيا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين ،

وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما، ومهما عرفت هذا عن بصيرة، ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك، فارت الحسد لا محالة .

أما كونه ضررا عليك في الدين . فهو أنك بالجند سخطت قضاء الله تعالى ، وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده ، وعدله الذي أقامه في ملكه مخفى حكمته ، فاستنكرت ذلك واستبشعته . وهذه جناية على حدة التوحيد ، وفدى في عين الإيمان ، وناهيك بهما جناية على الدين . وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلا من المؤمنين : وتركت نصيحتة ، وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى ، وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلياء وزوال النعم . وهذه خبائث في القلب ، تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب ، وتحوها كما يحو الليل النهار

وأما كونه ضررا عليك في الدنيا ، فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا ، أو تعذب به ولا تزال في كمد وغم ، إذ أعدائك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم ، فلا تزال تعذب بكل نعمة تراها ، وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم ، فتبقى مغموما ، محروما ، متشعب القلب ، ضيق الصدر ، قد نزل بك ما يشتهي الأعداء لك ، وتشتهي لأعدائك ، فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محتك وغمك تقدا ، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولولم تكن تؤمن بالبعث والحساب ، لكان مقتضى الفطنة . إن كنت عاقلا ، أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته ، مع عدم النفع . فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة ! فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله ،

بل مع ضرر يحتمله ، وألم يقاسيه ، فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة
وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح . لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة ، فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم ، قدره الله سبحانه ، فلا حيلة في دفعه . بل كل شيء عنده بمقدار ، ولكل أجل كتاب . ولذلك شكاني من الأنبياء ، من امرأة ظالمة مستولية على الخلق ، فأوحى الله إليه فر من قدامها ، حتى تنفض أيامها . أي ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره ، فأصبر حتى تنفض المدة التي سبق القضاء

بدوام إقبالها فيها . ومهما لم تزل النعمة بالحسد ، لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا . ولا يكون عليه إثم في الآخرة . ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود يحسدى . وهذا غاية الجهل ، فإنه بلاء تشبيهه أولا لنفسك ، فإنك أيضا لا تخلو عن عدو بحسدك ، فلو كانت النعمة تزول بالحسد ، لم يبق لله تعالى عليك نعمة ، ولا على أحد من الخلق ، ولا نعمة الإيمان أيضا ، لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان . قال الله تعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ^(١)) إذ ما يريد المحسود لا يكون . نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره ، فإن إرادة الكفر كفر فمن اشتبهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد ، فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار ، وكذا سائر النعم .

وإن اشتبهت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك ، فهذا غاية الجهل والغباء . فإن كل واحد من حمق الحساد أيضا ، يشتهى أن يخص بهذه الخاصية ، ولست بأولى من غيرك ، فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد ، مما يجب عليك شكرها ، وأنت يجهلك تكرها

وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا ، فواضح . أما منفعته في الدين ، فهو أنه مظلوم من جهتك ، لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل ، بالغبية ، والقدح فيه ، وهتك ستره ، وذكر مساويه ، فهذه هدايا تهديها إليه : أعنى أنك بذلك تهدي إليه حسناتك ، حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا ، محروما عن النعمة ، كما حرمت في الدنيا عن النعمة . فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل . نعم كان لله عليه نعمة ، إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه ، فأضفت إليه نعمة إلى نعمة ، وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة .

وأما منفعته في الدنيا ، فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء ، وغنمهم ، وشقاوتهم ، وكونهم معذنين ، مغمومين ، ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد . وغاية أمانى أعدائك ، أن يكونوا في نعمة ، وأن تكون في غم وحسرة بسببهم . وقد فعلت بنفسك

ما هو مرادهم . ولذلك لا يشتهي عدوك موتك ، بل يشتهي أن تطول حياتك ، ولكن
 في عذاب الحسد ، لتنظر إلى نعمة الله عليه ، فينقطع قلبك حسداً . ولذلك قيل
 لامات أعداؤك بل خلدرا حتى يروا فيك الذي يكمد
 لازلت محسودا على نعمة فإنما الكامل من محسد

ففرح عدوك بنعمك وحسدك ، أعظم من فرحه بنعمته . ولو علم خلاصك من ألم الحسد
 وعذابه ، لكان ذلك أعظم صيبة وبلية عنده . فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد ، إلا كما يشتهي عدوك
 فإذا تأملت هذا ، عرفت أنك عدو نفسك ، وصاديق عدوك ، إذ تعاطيت ما ضررت
 به في الدنيا والآخرة ، وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة ، وصرت مذموماً عند الخالق
 والخالق ، شقياً في الحال والمآل ، ونعمة المحسود دائمة ، شئت أم أيت بافية .

ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك ، حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على ابليس
 الذي هو أعدى أعدائك ، لأنه لما رآك محروماً من نعمة العلم ، والودع ، والجاه ، والمال ،
 الذي اختص به عدوك عنك ، خاف أن تحب ذلك له ، فتشاركه في الثواب بسبب المحبة ،
 لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير ، ومن فاته اللحاق بدرجة الأكارب في الدين
 لم يفته ثواب الحب لهم ، مهما أحب ذلك . فخاف ابليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده
 من صلاح دينه ودنياه ، فتفوز بثواب الحب ، فيغضه إليك ، حتى لا تلحقه بحبك ، كما لم
 تلحقه بعملك . وقد قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله ^(١) الرجل يحب
 القوم ولما يلحق بهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب » وقام أعرابي
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ، فقال ^(٢) يارسول الله ، متى الساعة ؟ فقال
 « مَا أَعَدَدْتُ لَهَا » قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ، إلا أني أحب الله ورسوله
 فقال صلى الله عليه وسلم « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » قال أنس ، فافرح المسلمون بعد إسلامهم
 كفرحهم يومئذ . إشارة إلى أن أكبر بنيتهم كانت حب الله ورسوله . قال أنس ، فنحن
 نحب رسول الله ، وأبا بكر ، وعمر ، ولا نعمل مثل عملهم ، ونرجو أن نكون معهم

(١) حديث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٢) حديث سؤال الأعرابي متى الساعة فقال ما أعددت لها : الحديث : متفق عليه من حديث أنس

وقال أبو موسى ، ^(١) قلت يا رسول الله ، الرجل يحب المصلين ولا يصلي ، ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد أشياء . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « هُوَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » وقال رجل لعمر بن عبد العزيز ، إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً فإن لم تستطع أن تكون عالماً فسكن متعلماً ، فإن لم تستطع أن تكون متعلماً فأحبهم فإن لم تستطع فلا تبغضهم . فقال سبحانه الله ، لقد جعل الله لنا مخرجاً

فانظر الآن . كيف حسدك إبليس ، فقوت عليك ثواب الحب ، ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك ، وحملك على السكراهة ، حتى أثمت . وكيف لا ، وعساك تحاسد رجلاً من أهل العلم ، وتحب أن يخطيء في دين الله تعالى ، وينكشف خطؤه ليفتضح ، وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم ، أو يعرض حتى لا يعلم ولا يتعلم ، وأى إثم يزيد على ذلك ! فليتك إذ فاتك اللحاق به ، ثم اغتممت بسببه ، سلمت من الإثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث ^(٢) « أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ الْمُحْسِنُ وَالْمُحِبُّ لَهُ وَالْكَافُّ عَنْهُ » أى من يكف عنه الأذى ، والحسد ، والبغض ، والسكراهة . فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة ، حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبتة ، فقد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك في هدوك ، بل على نفسك :

بل لو كشفت بحالك في يقظة أو منام رأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمى مبهماً إلى عدوه ليصيب مقتله ، فلا يصيبه ، بل يرجع إلى حدقته البيني ، فيقلعها ، فيزيد غصبه ، فيعود ثانية ، فيرمى أشد من الأولى ، فيرجع إلى عينه الأخرى ، فيعميها ، فيزداد غيظه ، فيعود ثالثة ، فيعود على رأسه فيشجبه ، وعدوه سالم في كل حال ، وهو إليه راجع مرة بعد أخرى ، وأعداؤه حوله يفرحون به ، ويضحكون عليه . وهذا حال الحسود ؛ وسخرية الشيطان منه .

(١) حديث أبي موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي - الحديث : وفيه هو مع من أحب

متفق عليه من حديث بلقة آخره غنصوا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال الله مع من أحب

(٢) حديث أهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه : لم أجده له أصلاً .

بل حالك في الحسد أقبح من هذا ، لأن الرمية العائدة لم تقوت إلا العيين ، ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة ، والحسد يعود بالإثم ، والإثم لا يفوت بالموت ، ولعله يسوقه إلى غضب الله ، وإلى النار . فلأن تذهب عينه في الدنيا ، خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار ، فيقلعها الهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد ، إذ أراد زوال النعمة عن المحسود ، فلم يزلها عنه ، ثم أزالها عن الحاسد ، إذ السلامة من الإثم نعمة ، والسلامة من النعم والسكمد نعمة ، وقد زالتا عنه ، تصديقا لقوله تعالى (وَلَا يَحْقِيقُ الْكُفْرُ الشَّيْءَ إِلَّا بِأَهْلِهِ ^(١)) وربما يبتلى بعين ما يشتهي لعدوه ، ولما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلا ، حتى قالت عائشة رضي الله عنها ، ما تمنيت لعثمان شيئا إلا نزل بي ، حتى لو تمنيت له القتل لقتلت

فهذا إثم الحسد نفسه ، فكيف ما يجر إليه الحسد من الاختلاف ، وجحود الحق ، وإطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الأعداء ، وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة فهذه هي الأدوية العالمية ، فهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف ، وقلب حاضر ، انطفاة نار الحسد من قلبه ، وعلم أنه مهلك نفسه ، ومفرح عدوه ، ومسخط ربه ، ومنقص عيشه وأما العمل النافع فيه ، فهو أن يحكم الحسد ، فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه . فإن بئس الحسد على القدح في محسوده ، كلف لسانه المدح له ، والثناء عليه . وإن حملة على التكبر عليه ، ألزم نفسه التواضع له ، والاعتذار إليه . وإن بئس على كف الإنعام عليه ، ألزم نفسه الزيادة في الإنعام عليه . فهما فعل ذلك عن تكلف ، وعرفه المحسود ، طاب قلبه وأحبه . ومهما ظهر حبه ، عاد الحاسد فأحبه ، وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد ، لأن التواضع ، والثناء ، والمدح ، وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه . ويستترقه ، ويستطفه ، ويحملة على مقابلة ذلك بالإحسان . ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول ، فيطيب قلبه ، ويصير ما تكلفه أو لا طبعا آخرا . ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له ، لو تواضعت وأثنيت عليه ، حملك العدو على العجز ، أو على النفاق أو الخوف ، وأن ذلك مذلة ومهانة . وذلك من خدع الشيطان ومكايده . بل المجاملة تكلفا كانت أو طبعا ، تكسر سورة السداوة من الجانبين ، وتقل مرغوبها ، وتمود القلوب

التألف والتحاب ، وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد ، وغم التباغض
فهذه هي أدوية الحسد ، وهي نافعة جدا ، إلا أنها مُمرّة على القلوب جدا . ولكن النفع
في الدواء المر ، فمن لم يصبر على حرارة الدواء ، لم ينل حلاوة الشفاء . وإنما تهون حرارة
هذا الدواء ، أعني التواضع للأعداء ، والتقرب إليهم بالمدح والثناء ، بقوة العلم بالمعاني التي
ذكرناها ، وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى ، وحب ما أحبه ، وعزة النفس وترفعها
عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل . وعند ذلك يريد ما لا يكون ، إذ
لا مطمع في أن يكون ما يريد . وفوات المراد ذل وخسة ، ولا طريق إلى الخلاص من هذا
الذل إلا بأحد أمرين ، إما بأن يكون ما تريد ، أو بأن تريد ما يكون . والأول ليس إليك
ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه . وأما الثاني فلمجاهدة فيه مدخل ، وتحصيله بالرياضة
ممكن ، فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي .

فأما الدواء المفصل ، فهو تتبع أسباب الحسد ، من الكبر وغيره ، وعزة النفس ، وشدة
الحرص على ما لا ينبغي . وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى
فإنها مواد هذا المرض ، ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة . فإن لم تقمع المادة لم يحصل بيا
ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ، ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ، ويطول الجهد في تسكينه
مع بقاء مواده . فإنه مادام محبا للجاء ، فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاء والمنزلة في قلوب
الناس دونه ، ويفعه ذلك لاحالة . وإنما غايته أن يهون النعم على نفسه ، ولا يظهر بلسانه
ويده ، فأما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه ، والله الموفق

بيان

القدر الواجب في نفى الحسد عن القلب

اعلم أن المؤذى ممقوت بالطبع ، ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبا . فإذا تيسرت
له نعمة ، فلا يمكنك أن لا تكرهها له ، حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله
بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ، ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له . ولكن
إن قوى ذلك فيك ، حتى بعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل ، بحيث يعرف ذلك

من ظاهره بأفعالك الاختيارية ، فأنت حسود عاص بحسدك . وإن كفت ظاهرك بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة ، وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة ، فأنت أيضا حسود عاص . لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل . قال الله تعالى (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ^(١)) وقال عز وجل (وَذُؤا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ^(٢)) وقال (إِنْ تَحْسَبُكُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ ^(٣)) . أما الفعل ، فهو غيبة وكذب ، وهو عمل صادر عن الحسد ، وليس هو عين الحسد . بل محل الحسد القلب دون الجوارح . نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها ، بل هو معصية يتركها بين الله تعالى ، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح .

فأما إذا كفت ظاهرك ، وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع ، من حب زوال النعمة ، حتى كأنك تحقت نفسك على ما في طبعها ، فتكون تلك الكراهة من جهة العقل ، في مقابلة الميل من جهة الطبع ، فقد أدت الواجب عليك ، ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا

فأما تغيير الطبع ، ليستوى عنده المؤذى والمحسن ، ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة ، أو تنصب عليهما من بلية سواء ، فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ، مادام ملتفتا إلى حظوظ الدنيا ، إلا أن يصير مستغرقا يحب الله تعالى ، مثل السكران الواله . فقد ينتهى أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد ، بل ينظر إلى الكل بعين واحدة ، وهى عين الرحمة . ويرى الكل عباد الله ، وأفما لهم أفمالا لله ، ويراهم مسخرين . وذلك إن كان ، فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ، ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ، ويمود العدو إلى منازعته ، أعنى الشيطان ، فإنه ينازع بالوسوسة . فهما قابل ذلك بكراهته ، وألزم قلبه هذه الحالة ، فقد أدى ما كلفه .

وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأتى إذا لم يظهر الحسد على جوارحه ، لما روى عن الحسن ، أنه سئل عن الحسد فقال ، غمه فإنه لا يضررك ما لم تبده . وروى عنه موقوفا

(١) الحشر : ٩ (٢) النساء : ٨ (٣) آل عمران : ١٢٠

ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ثَلَاثَةٌ لَا يَخْلُو مِنْهُنَّ الْمُؤْمِنُ وَلَهُ مِنْهُنَّ مَخْرَجٌ»
فخرج من الحسد أن لا يبغى .

والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه ، من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل ،
في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو . وتلك الكراهة تمنعه من البغى والإيذاء ، فإن جميع
ما ورد من الأخبار في ذم الحسد ، يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم . ثم الحسد عبارة عن صفة
القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد . فإذا كونه آثما بمجرد
حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد . وإلا ظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات
والأخبار ، ومن حيث المعنى . إذ يبعد أن يعنى عن العبد في إرادته إساءة مسلم ، واشتماله
بالقلب على ذلك من غير كراهة . وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال
أحدها : أن تحب مساءتهم بطبعك ، وتكره حبك لذلك ، وميل قلبك إليه بعقلك ،
وتقت نفسك عليه ، وتود لو كانت لك خيلة في إزالة ذلك الميل منك ، وهذا معفو عنه
قطعا ، لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه

الثاني : أن تحب ذلك ، وتظهر الفرح بمساءته ، إما بلسانك أو بجوارحك ، فهذا هو
الحسد المحظور قطعا

الثالث : وهو بين الطرفين ، أن تحسد بالقلب ، من غير مقت لنفسك على حسدك ،
ومن غير إنكار منك على قلبك ، ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه ،
وهذا في محل الخلاف . والظاهر أنه لا يخلو عن إثم ، بقدر قوة ذلك الحب وضعفه ،

والله تعالى أعلم

والحمد لله رب العالمين ، وجيبنا الله ونعم الوكيل

كتاب ذم الدنيا

كتاب ذم الدنيا

وهو الكتاب السادس من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتهما ، وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها ، حتى نظروا في شواهدا وآياتها ، ووزنوا بحسناتها سيئاتها ، فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ، ولا يفي مرجوها بمخوفها ، ولا يسلم طالعها من كسوفها . ولكنها في صورة امرأة مليحة ، تستميل الناس بجمالها ، ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها . ثم هي فرارة عن طلابها ، شحيحة بإقبالها ، وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها . إن أحسنت ساعة ، أساءت سنة . وإن أساءت مرة ، جعلتها سنة . فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيتها خاسرة بائرة ، وآفاتهما على التوالى لصدور طلابها راشقة ، ومجاري أحوالها بذل طالبيها ناطقة . فكل مغرور بها إلى الذل مصيره ، وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره . شأنها الهرب من طالبها ، والطلب لها ربها . ومن خدمها فاته ، ومن أعرض عنها وافته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ، ولا ينفك سرورها عن المنفصات سلامتها تعقب السقم ، وشبابها يسوق إلى الهرم ، ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم . فهي خداعة مكاره طيارة فرارة ، لاتزال تزين لطلابها ، حتى إذا صاروا من أحبابها ، كشرت لهم عن أنيابها وشوشت عليهم مناظم أسبابها ، وكشفت لهم عن مكنون عجايبها ، فأذاقتهم قوائل سهامها ورشقتهم بصوائب سهامها ، بينما أصحابها منها في سرور وإنعام ، إذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام ، ثم عكرت عليهم بدواهيها فطختهم طعن الحصيد ، ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد . إن ملكك واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس ، جعلته حصيدا كأن لم يفن بالأمس . ثمني أصحابا سرورا ، وتعدم غزورا ، حتى يأمون كثيرا ، ويبنون قصورا ، فتصبح قصورهم قبورا ،

وجمعهم بورا ، وسعيهم هباء منشورا ، ودعائهم ثبورا ، هذه صفتها وكان أمر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد عبده ورسوله ، المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا ، وسراجا منيرا ، وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهيرا . وعلى الظالمين نصيرا ، وسلم تسليما كثيرا أما بعد : فإن الدنيا عدوة لله ، وعدوة لأوليائه الله ، وعدوة لأعداء الله أما عداوتها لله ، فإنها قطعت الطريق على عباد الله . ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها وأما عداوتها لأوليائه الله عز وجل ، فإنها تزينت لهم بزینتها ، وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها

وأما عداوتها لأعداء الله ، فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها ، فافتنستهم بشبكتها ، حتى وثقوا بها ، وعولوا عليها ، فخرلثم أحوج ما كانوا إليها ، فاجتثوا منها حسرة تقطع دونها الأكباد ، ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد ، فهم على فراها يتحسرون ، ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون ، بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ، فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ^(١))

وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها ، فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا ، وما هي ، وما الحكمة في خلقها مع عداوتها ، وما مدخل غرورها وشرورها ، فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه . ونحن نذكر ذم الدنيا ، وأمثلتها وحقيقتها ، وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ، ووجه الحاجة إلى أصولها ، وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى ، وهو المعين على ما يرتضيه

بيان

ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القراء ان مشتمل على ذم الدنيا ، وصرف الخلق عنها ، ودعوتهم إلى الآخرة . بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القراء ان لظهورها ، وإنما نورد بعض الاخبار الواردة فيها

(١) القرينة ٤٦ -

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) مر على شاة ميتة ، فقال « أَتَرُونَ هَذِهِ الشَّاةَ هَيِّنَةً عَلَى أَهْلِهَا ؟ » قالوا من هوانها ألقوها : قال « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الشَّاةِ عَلَى أَهْلِهَا وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَأْسَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءً » وقال صلى الله عليه وسلم^(٢) « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونَةٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ اللَّهُ مِنْهَا » وقال أبو موسى الأشعري^(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ فَأَتَرُوا مَا يَنْبَغِي عَلَى مَا يَنْبَغِي » وقال صلى الله عليه وسلم^(٥) « حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ »

^(٦) وقال زيد بن أرقم ، كنا مع أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، فدعا بشراب ، فأثني بماء وعسل . فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه ، وسكتوا وما سكت . ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرُونَ على مسأَلَتِهِ . قال ثم مسح عينيه ، فقالوا يا خليفة رسول الله ما بباك ؟ قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيتَه يدفع عن نفسه شيئاً ولم أرمعه أحداً . فقلت يا رسول الله ، ما الذى تدفع عن نفسك ؟ قال « هَذِهِ الدُّنْيَا مَثَلْتُ لِي فَقُلْتُ »

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها - الحديث : ابن ماجه والحاكم وصححه اسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث المستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر

(٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر : مسلم من حديث أبي هريرة

(٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها : الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد الاذكار الله وما والاها وعالم ومتعلم

(٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب آخِرَتَهُ - الحديث : أحمد والبخاري وابن حبان والحاكم وصححه

(٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة : ابن أبي الدنيا فى ذم الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان من طريقه من رواية الحسن مرسل

(٦) حديث زيد بن أرقم كنا مع أبى بكر فدعا بشراب فأثني بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى - الحديث :

وفيه كسب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيتَه يدفع عن نفسه شيئاً - الحديث : البخاري بسند ضعيف بحقه والحاكم وصححه اسناده وابن أبي الدنيا والبيهقى من طريقه بالقطعة

لَهَا إِلَيْكَ عَنِّي ثُمَّ رَجَعَتْ فَقَالَتْ إِنَّكَ إِنِ أَفْلَتَ مِنِّي لَمْ يُفْلِتْ مِنِّي مَنْ بَعْدَكَ »
 وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « يَعْجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بَدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْتَبِي
 لِدَارِ الْغُرُورِ » وروى ^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على منزلة ، فقال « هَلُمُّوا
 إِلَى الدُّنْيَا » وأخذ خرقا قد بليت على تلك المنزلة ، وعظاما قد نخرت ، فقال « هَذِهِ الدُّنْيَا »
 وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخاف مثل تلك الخرق ، وأن الأجسام التي ترى بها
 ستصير عظاما بالية . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِنَّ الدُّنْيَا خُلُوعٌ خَصِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ
 مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُكُمْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا بُسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَمُهِدَتْ
 تَاهَوُا فِي الْحَلِيَّةِ وَالنِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ وَالثِّيَابِ »

وقال عيسى عليه السلام ؛ لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم عبيدا . اكنزوا كنزكم عند من
 لا يضيعه ، فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة ، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة
 وقال عليه أفضل الصلاة والسلام ، يامعشر الحواريين ، إني قد كبت لكم الدنيا على وجهها
 فلا تنعشوها بعدى . فإن من خبت الدنيا أن عصي الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تترك
 إلا بتركها ، ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها ، واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ، ورب شهوة
 ساعة أورت أهلها حزنا طويلا . وقال أيضا بطحت لكم الدنيا ، وجلستم على ظهرها ، فلا ينازعكم
 فيها الملوك والنساء . فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا ، فإنهم لن يمرضواكم ما تركتموهم وديانهم .
 وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة . وقال أيضا ، الدنيا طالبة ومطلوبة ، فطالب الآخرة
 تطلبه الدنيا ، حتى يستكمل فيها رزقه . وطالب الدنيا تطلبه الآخرة ، حتى يجي الموت فيأخذ بمنته

(١) حديث يعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار الغرور : ابن أبي الدنيا من حديث
 أبي جرير مرسل

(٢) حديث أنه وقف على منزلة فقال هلموا إلى الدنيا - الحديث : ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا واليهيقي في شعب

الايان من طريقه من رواية ابن ميمون البخاري مرسل وفيه بنية بن الوليد وقبده عنه وهو مدلس

(٣) حديث أن الدنيا خلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فأنظروا كيف تعملون - الحديث : الترمذي وابن ماجه

من حديث أبي شعيبه عن قوله ابن أبي إسرائيل الخ والشطر الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا

من حديث الحسن مرسل بالزيادة التي في آخره

وقال موسى بن يسار^(١) . قال النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا أَفْبَضَ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنَّهُ مُنْذُ خَلَقَهَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا » وروى أن سليمان ابن داود عليهما السلام ، مر في موكبه والطير تطله ، والجن والإنس عن يمينه وشماله ، قال فرماباد من بني اسرائيل ، فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما ، قال فسمع سليمان وقال ، لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود يذهب ، والتسبيحة تبقى . وقال صلى الله عليه وسلم^(٢) « أَهْلَاكُمْ التَّكَاثُرُ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْقِنْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ » وقال صلى الله عليه وسلم^(٣) « الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَعَلَيْهَا يُعَادِي مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَا فِقْهَ لَهُ وَلَهَا يَسْعَى مَنْ لَا يَقِينَ لَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم^(٤) « مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَالزَّمَّ اللَّهُ قَلْبَهُ أَرْبَعَ خِصَالٍ هَمًّا لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَدًا وَشُغْلًا لَا يَتَفَرَّغُ مِنْهُ أَبَدًا وَفَقْرًا لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ أَبَدًا وَأَمَلًا لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ أَبَدًا » وقال أبو هريرة ،^(٥) قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أُرِيكَ الدُّنْيَا جَمِيعًا بِمَا فِيهَا ؟ » فقلت بلى يا رسول الله . فأخذ بيدي ، وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رءوس أناس ، وعذرات ، وخرق ، وعظام ، ثم قال « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَذِهِ

(١) حديث موسى بن يسار أن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها

ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل

(٢) حديث أهلكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى - الحديث : مسلم من حديث عبد الله بن الشخير

(٣) حديث الدنيا دار من لا دار له - الحديث : أحمد من حديث عائشة مقتصر على هذا وعلى قوله ولها يجمع

من لا عقل له دون بقيته وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه ومال من لا مال له واسناده جيد

(٤) حديث من أصبح والدنيا أكبر همهم فليس من الله في شيء . وألزم الله قلبه أربع خصال - الحديث :

الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله وألزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبي الدنيا

من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب

الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف

(٥) حديث أبي هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية

المدينة فإذا مزبلة - الحديث : لم أجده أصلا

الرؤوس كانت تحرّص كجر صيكم وتأمل كأمسكم ثم هي اليوم عظام يلاجلد ثم هي صائرة زماداً وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قدفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتعالمونها وهذه الحرق البالية كانت ولباسهم فأصبحت والرياح تُصفيقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجمون عليها أطراف البلاد فمن كان بأكياً على الدنيا فليتبك « قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن الله عز وجل ، لما أهبط آدم إلى الأرض ، قال له ابن الخراب ، ولد للفناء وقال داود بن هلال ، مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام ، يادنيما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وترينت لهم ، إني قدفت في قلوبهم بفضلك والصدود عنك ، وما خلقت خلقاً أهون على منك ، كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير ، قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ، ولا يدوم لك أحد ، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك . طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ، ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة . طوبى لهم ، ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا النور يسقى أمامهم ، والملائكة حافون بهم ، حتى يبلغهم ما يرجون من رحمتي . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأدنى أو لياك اليوم نصيباً فيقول اسكتي يا لاشيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم . » وروى في أخبار آدم عليه السلام ، أنه لما أكل من الشجرة ، تحركت معدته لخروج السفلى ، ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة . فلذلك نهى عن أكلها . قال فجعل يدور في الجنة ، فأمر الله تعالى ملكاً يخاطبه ، فقال له قل له أي شيء تريد ؟ قال آدم ، أريد أن أضع ما في بطني من الأذى فقليل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه ؟ على الفرش ؟ أم على السرر ؟ أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار ؟ هل ترى ههنا مكاناً يصلح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا

(١) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها - الحديث : تقدم بعضه من رواية

موسى بن يسار مرسلاً ولم أجد باقية

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَيَجِيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَعْمَاهُمْ كَجِبَالِ تِهَامَةَ فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ » قالوا يا رسول الله ، مصلين ؟ قال « نَعَمْ كَانُوا يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَأْخُذُونَ هِنَةَ مِنَ اللَّيْلِ فَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا وَثَبُّوا عَلَيْهِ »
 وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه ^(٢) « الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ فَلْيَتَزَوَّدِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَمِنْ حَيَاتِهِ لِمَوْتِهِ وَمِنْ شَبَابِهِ لِهَرَمِهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ وَأَنْتُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ » .

وقال عيسى عليه السلام ، لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد . وروى أن جبريل عليه السلام ، قال لنوح عليه السلام ، يا أطول الأنبياء عمرا ، كيف وجدت الدنيا ؟ فقال كدار لها بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر . وقيل لعيسى عليه السلام ، لو أتمدت بيتا يكتنك ، قال يكفيني خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ^(٣) « احْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا أُسْحَرُ مِنْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » وعن الحسن قال ^(٤) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال « هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَمَى وَيَجْعَلَهُ بَصِيرًا إِلَّا إِنَّهُ مِنْ رَغْبٍ فِي الدُّنْيَا وَطَالَ أَمَلُهُ فِيهَا أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا وَقَصُرَ فِيهَا أَمَلُهُ أَعْطَاهُ اللَّهُ عِلْمًا يَغْيِرُ تَعْلِيمَ وَهُدًى يَغْيِرُ هِدَايَةَ إِلَّا إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُمْ

(١) حديث ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهمامة فيؤمرهم إلى النار - الحديث : أبو نعيم في الحلية

من حديث سالم مولى أبي حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضعيف أيضا

(٢) حديث المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى - الحديث : البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انقطاع

(٣) حديث احذرو الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت : ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية

أبي الدرداء الرهاوي مرسلًا وقال البيهقي ان بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة

قال الذهبي لا يدرى من أبو الدرداء قال وهذا منكر لأصل له

(٤) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى - الحديث : ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب

من طريقه هكذا مرسلًا وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم

الْمَلِكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالتَّجْبِيرِ وَلَا الْغِنَى إِلَّا بِالْفَخْرِ وَالْبُخْلِ وَلَا الْمَحَبَّةُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْهَوَى
 إِلَّا قَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ مِنْكُمْ فَصَبَرَ عَلَى الْفَقْرِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْغِنَى وَصَبَرَ عَلَى الْبَغْضَاءِ
 وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَصَبَرَ عَلَى الدُّلِّ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْعِزِّ لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى
 أَعْطَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ تَحْسِينِ صِدْقًا . . . وروى أن عيسى عليه السلام ، اشتد عليه المطر
 والرعد والبرق يوما ، فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه ، فوقعت عينه على خيمة من بعيد ، فأثابها
 فإذا فيها امرأة ، فجاد عنها ، فإذا هو بكهف في جبل ، فأثابه ، فإذا فيه أسد . فوضع يده
 عليه وقال ، إلهي جعلت لكل شيء مأوى ، ولم تجعل لى مأوى . فأوحى الله تعالى إليه ،
 مأواك فى مستقر رحمتى ، لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها يدي ، ولأطعمن فى
 عرسك أربعة آلاف عام ، يوم منها كعمر الدنيا ، ولأمرن مناديا ينادى أين الزاهد فى الدنيا
 زوروا عرس الزاهد فى الدنيا عيسى بن مريم . وقال عيسى بن مريم عليه السلام ، ذيل
 لصاحب الدنيا ، كيف يموت ويتركها وما فيها ، وتفره ويأمنها ، ويشق بها وتخذه . وويل
 للمفتقرين ، كيف أرثهم ما يكرهون ، وفارقهم ما يحبون ، وجاءهم ما يوعدون . وويل لمن
 الدنيا همه ، والخطايا عمله ، كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ،
 ياموسى ، مالك ولد دار الظالمين ؛ إنها ليست لك بدار ، أخرج منها همك ، وفارقها بمقلك ، فبئست
 الدار هي ، إلا لعامل يعمل فيها ، فنعمت الدار هي . ياموسى ، إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للظالم
 وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) ، بعث أبا عبيدة بن الجراح ، فجاءه عال
 من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم . فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فعرضوا له ، فتبسم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ، ثم قال « أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ ؟ »
 قالوا أجل يا رسول الله . قال « فَأَبَشِّرُوا وَأَمْلُوا مَا بَشَّرْتُكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ
 وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بَسَطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَاقَسُوا مَا

(١) حديث بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاءه عال من البحر ين فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة متفق عليه
 من حديث عمرو بن عوف البدرى

كَمَا تَنَافَسُوها فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ» وقال أبو سعيد الخدري، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) «إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ» فقيل ما بركات الأرض؟ قال «زَهْرَةُ الدُّنْيَا» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) «لَا تُسْفِلُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ الدُّنْيَا» فهي عن ذكرها، فضلا عن إصابة عيها

وقال عمار بن سعيد: مر عيسى عليه السلام بقرية، فإذا أهلها موتى في الآفنية والطرق فقال يامعشر الحواريين، إن هؤلاء ماتوا عن سخطه، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا. فقالوا يا روح الله، وددنا أن لو علمنا خبرهم. فسأل الله تعالى، فأوحى إليه، إذا كان الليل فنادهم يحييوك. فلما كان الليل، أشرف على نشر، ثم نادى يا أهل القرية، فأجابه مجيب لبيك يا روح الله. فقال ما حالكم وما قصتكم؟ قال بتنا في عافية، وأصبحنا في الهاوية. قال وكيف ذلك؟ قال بحبنا الدنيا، وطاعتنا أهل المعاصي. قال وكيف كان حبكم للدنيا؟ قال حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا بها، وإذا أدبرت حزنا وبكيننا عليها. قال فما بال أصحابك لم يحييوني؟ قال لأنهم ملجمون بلجم من نار، بأيدي ملائكة غلاظ شداد. قال فكيف أجبتي أنت من بينهم؟ قال لأنني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم، فأنا معلق على شفير جهنم، لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها. فقال المسيح للحواريين، لا كل خبز الشعير بالملح الجريش، ولبس المسوح، والنوم على المزابل، كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس ^(٣): كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المضباء لا تسبق. فجاء أعرابي بناقة له فسبقها، فشق ذلك على المسامين، فقال صلى الله عليه وسلم «إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ» وقال عيسى عليه السلام، من الذي يبنى على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا. وقيل لعيسى عليه السلام علما واحدا يحبنا الله عليه. قال ابتغوا الدنيا يحبكم الله تعالى.

(١) حديث أبي سعيد أن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض - الحديث: متفق عليه

(٢) حديث لا تسفلوا قلوبكم به ذكر الدنيا البهقي في الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسلا

(٣) حديث أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المضباء لا تسبق - وفيه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه البخاري

وقال أبو الدرداء ^(١) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا تُعْمَلُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَهَانَتْ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا وَلَا تَرْتُبُ إِلَّا خِرَةً » ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه ، لو تعلمون ما أعلم ، لخرجتم إلى الصدقات تجارون وتبكون على أنفسكم ، ولتركتكم أموالكم لأحارس لها ، ولا راجع إليها إلا ما لابد لكم منه ، ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة ، وحضرها الأمل ، فصارت الدنيا أملك بأعمالكم ، وصرت كالدنيا لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبتها . مالكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين الله ، ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ، ولو اجتمعتم على البر لتحابتم . مالكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ، ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويمينه على أمر آخرته . ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم . لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا ، لآثرتم طلب الآخرة ، لأنها أملك لأموالكم . فإن قلتم حب العاجلة غالب ، فإننا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للآجل منها ، تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف ، في طلب أمر لعلكم لا تدركونه ، فبئس القوم أنتم ، ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم . فإن كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فاثبتونا لنبيين لكم ، ولتريكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم . والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم . إنكم تستقنون صواب الرأي في دنياكم ، وتأخذون بالحزم في أموركم . مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيرونه ، وتحزنون على اليسير منها يفوتكم ، حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم ، وتسمونها المصائب ، وتقيمونها فيها المآثم ، وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ، ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ، ولا يتغير حالكم . إني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقي بعضكم بعضا بالسرور ، وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره ، مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله . فاصطحبتم على الغل ، ونبئت مراعيكم على الدمن ، وتصافيتم على رفض الأجل

(١) حديث أبي الدرداء ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة

الطبراني دون قوله ولهانت الخ وزاد وخرجتم إلى الصدقات - الحديث : وزاد الترمذي وابن ماجه

من حديث أبي ذر وماتلذذتم بالنساء على الفرش وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس

وفي أفراد البخاري من حديث عائشة

ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم ، وألحقني بمن أحب رؤيته ، ولو كان حيا لم يصابركم .
فإن كان فيكم خير فقد أسمعتكم ، وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا ، وبالله أستعين على
نفسى وعليكم . وقال عيسى عليه السلام ، يامعشر الحواريين ، ارضوا بدنى الدنيا مع

سلامة الدين ، كما رضى أهل الدنيا بدنى الدين مع سلامة الدنيا . وفى معناه قيل
أرى رجلا بأدنى الدين قد قنعوا وما أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام ، ياطالب الدنيا لتبر ، تركك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم ^(١) « لَنَأْتِيَنَّكُمْ بَعْدِي دُنْيَا تَأْكُلُ إِيْمَانَكُمْ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » وأوحى
الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، ياموسى لا تركن إلى حب الدنيا ، فلن تأتيني بكبيرة
هي أشد منها . ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ، ورجع وهو يبكى . فقال موسى ،
يارب عبدك يبكى من مخافتك . فقال يا ابن عمران ، لو سال دماغه مع دموع عينيه ، ورفع
يديه حتى يسقطا ، لم أغفر له وهو يحب الدنيا

الآثار : قال على رضى الله عنه ، من جمع فيه ست خصال ، لم يدع للجنة مطلبيا ، ولا عن النار
مهربا . أولها من عرف الله فطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف
الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها . وقال الحسن : رحم الله أقواما
كانت الدنيا عندهم وديمة ، فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ، ثم راحوا خفافا . وقال أيضا
رحمه الله ، من نافسك فى دينك فنافسه ، ومن نافسك فى دنياك فآلقها فى نحره

وقال لقمان عليه السلام لابنه ، يا بني ، إن الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيه ناس كثير ، فلتكن
سفينةك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها بالإيمان بالله تعالى ، وشرعها التوكل على الله
عز وجل ، لعلك تنجو وما أراك ناجيا . وقال الفضيل ، طالت فكرتى فى هذه الآية
(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا
صَعِيدًا جُرُزًا ^(١)) وقال بعض الحكماء ، إنك لن تصبح فى شىء من الدنيا ، إلا وقد كان

(١) حديث لنا نبيكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب لم أجده له أصلا

له أهل قبلك ، وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا ، إلا عشاء ليلة وغداء يوم ، فلا تهلك في أكله ، وصم عن الدنيا ، وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى ، وربحها النار . وقيل لبعض الرهبان ، كيف ترى الدهر ؟ قال يخلق الأبدان ، ويحدد الآمال ويقرب المنية ، ويبعد الأمنية . قيل فما حال أهلها ؟ قال من ظفر به تعب ، ومن فاته نصب . وفي ذلك قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها ، فلا أسكن إليها ، فإن عيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأهلها منها على وجل ، إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة ، أو منية قاضية . وقال بعضهم : من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص . وقال سفيان : أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها ، قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على الحجة لها ، لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر . ومن طلب الآخرة على الحجة لها ، لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر . وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم ، أشكو إليك حب الدنيا ، وليست لي بدار . فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها ، فلا تأخذها إلا من حله ، ولا تضعه إلا في حقه ، ولا يضرك حب الدنيا . وإنما قال هذا ، لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأتعبه ، حتى يتبرم بالدنيا ، ويطلب الخروج منها . وقال يحيى بن معاذ : الدنيا حانوت الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئاً ، فيجىء في طلبه فيأخذك . وقال الفضيل . لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خرف يبق ، لكان ينبغي لنا أن نختار خرفاً يبق ، على ذهب يفنى . فكيف وقد اخترنا خرفاً يفنى ، على ذهب يبق ! وقال أبو حازم ، إياكم والدنيا ، فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة ، إذا كان معظماً للدنيا ، فيقال هذا عظم ما حقره الله . وقال ابن مسعود ، ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف ، وماله عارية . فالضيف مرتجل ، والعارية مردودة ، وفي ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أنت ترد الودائع

وزار رابطة أصحابها ، فذكروا الدنيا ، فأقبلوا على ذمها ، فقالت اسكتوا عن ذكرها ، فلو لا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ، ألا من أحب شيئاً أكثر من ذكره .

وقيل لإبراهيم بن آدم كيف أنت ؟ فقال :

برقع دنيانا بتمزيق ديننا
فطوبى لعبد آثر الله ربه
فلا ديننا يبق ولا ما نرقع
وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل أيضا في ذلك

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره
كبان بني بنيانه فأقامه
ونال من الدنيا سرورا وأنما
فاما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل أيضا في ذلك

هـب الدنيا تساق إليك عفوا
وما دنياك إلا مثل فيء
أليس مصير ذاك إلى انتقال
أظلك ثم أذن بالزوال

وقال لقمان لابنه ، يا بني ، بع دنياك بآخرتك تربحها جميعا . ولا تبع آخرتك بدنياك
تخسرهما جميعا . وقال مطرف بن الشخير ، لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياسهم
ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس ، إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء
جزء للمؤمن ، وجزء للمنافق ، وجزء للكافر . فالؤمن يتزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع .
وقال بعضهم ، الدنيا جيفة ، فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاشره الكلاب . وفي ذلك قيل

يا خاطب الدنيا إلى نفسها
إن التي تخطب غدارة
تنح عن خطبتها تسلم
قريبة العرس من المآثم

وقال أبو الدرداء ، من هوان الدنيا على الله أنه لا يمضى إلا فيها ، ولا ينال ما عنده
إلا بتركها . وفي ذلك قيل

إذا امتحن الدنيا لييب تكشفت
وقيل أيضا
له عن عدو في ثياب صديق

ياراقه الليل مسرورا بأوله
أفنى القرون التي كانت منعمة
إن الجواد قد يطرقن أسحارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها
كر الحديدين إقبالا وإدبارا
قد كان في الدهر نفاعا وضارا
يمسى ويصبح في دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تماق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغى جنانا خللد تسكنها فينبغى لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه ، لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، أتت إبليس جنوده فقالوا ، قد بعث نبي وأخرجت أمة . قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم . قال لأن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان : وإنما أعادو عليهم وأرواح بثلاث ، أخذ المال من غير حقه ، وإنفاقه في غير حقه ، وإمساكه عن حقه . والشركه من هذا نبع . وقال رجل لعلي كرم الله وجهه ، يا أمير المؤمنين ، صف لنا الدنيا . قال وما أصف لك من دار من ضح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها افتتن ، في حلالها الحساب ، وفي حرامها العقاب ، ومتشابهها العتاب . وقيل له ذلك مرة أخرى فقال ، أطول أم أقصر ؟ فقليل قصر ، فقال حلالها حساب ، وحرامها عذاب

وقال مالك بن دينار ، اتقوا السحارة ، فإنها تسحر قلوب العلماء ، يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني ، إذا كانت الآخرة في القلب ، جاءت الدنيا تراحمها . فإذا كانت الدنيا في القلب ، لم تراحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة ، والدنيا لئيمة ، وهذا تشديد عظيم ونرجوان يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح ، إذ قال ، الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب ، فأيهما غلب كان الآخر تبعاله . وقال مالك بن دينار ، بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك . وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك . وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه ، حيث قال ، الدنيا والآخرة ضرتان ، فبقدر ما ترضى إحداهما تسخط الأخرى . وقال الحسن ، والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ، ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا . وقال رجل للحسن ، ما تقول في رجل آتاه الله مالا ، فهو يتصدق منه ، ويصل منه ، أيحسن له أن يتعيش فيه ، يعني يتنعم . فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ، ويقدم ذلك ليوم فقره .

وقال الفضيل ، لو أن الدنيا يخذلها عريض على جلاله ، لا أحاسب عليها في الآخرة . كنت أتقدرها ، كما يتقدر أحدكم الخليفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه . وقيل ، لما قدم عمر رضي الله عنه الشام : فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل ، فسلم وسأله

ثم أتى منزله فلم يرفيه إلا سيفه وترسه ورحله ، فقال له عمر رضي الله عنه ، لو اتخذت متاعا فقتل يأمير المؤمنين ، إن هذا يبلغنا المقييل . وقال سفيان ، خذ من الدنيا لبدنك ، وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن ، والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب . قرأت في بعض الكتب ، الدنيا غنيمة الأكياس ، وغفلة الجاهل ، لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا . وقال لقمان لابنه ، يا بني ، إنك تستدبرت الدنيا من يوم نزلتها ، واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها ، أقرب من دار تباعد عنها . وقال سعيد بن مسعود ، إذا رأيت العبد تزداد دنياه ، وتنقص آخرته وهو به راض ، فذلك المغبون ، الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر

وقال عمرو بن العاص على المنبر ، ^(١) والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم . والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له . وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) من قال ذا ؟ قاله من خلقها ، ومن هو أعلم بها . إياكم وما شغل من الدنيا ، فإن الدنيا كثيرة الأشغال ، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل ، إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا ، مسكين ابن آدم ، رضى بدار حلالها حساب ، وحرامها هذاب ، إن أخذ من حله حوسب به ، وإن أخذ من حرام عذب به . ابن آدم يستقل ماله ، ولا يستقل عمله . يفرح بمصيبته في دينه ، ويحزح من مصيبته في دنياه .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز ، سلام عليك ، أما بعد . فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قدمات . فأجابه عمر ، سلام عليك ، كأنك بالدنيا ولم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض ، الدخول في الدنيا هين ، ولكن الخروج منها شديد . وقال بمضهم ، عجبا لمن يعرف أن الموت حق ، كيف يفرح ! وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك ! وعجبا لمن رأى قلب الدنيا بأهلها ، كيف يطمئن إليها ! وعجبا لمن يعلم

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم . الحديث : الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

أن القدر حق ، كيف ينصب ! وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران ، عمره مائتاسنة . فسأله عن الدنيا كيف وجدها ؟ فقال سنيات بلاء ، وسنيات رخاء . يوم فيوم وليلة قليلة يولد ولد ، ويهلك هالك . فلو لا المولود لبدا الخلق ، ولو لا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها . فقال له سل ما شئت . قال : عمر مضى فترده ، وأجل حضر فتدفعه . قال : لا أملك ذلك . قال : لا حاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله ، يا ابن آدم ، فرحت يلوغ أملك ، وإعما بلغت باقتضاه أجلك . ثم سوفت بعملك ، كأن منفعته لنيرك . وقال بشر ، من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم ، ما في الدنيا شيء يسرك ، إلا وقد ألصق الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن : لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث ، أنه لم يشبع مما جمع ، ولم يدرك ما أمل ، ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض العباد : قد نلت الغنى . فقال : إنما نال الغنى من عتق من رق الدنيا .

وقال أبو سليمان : لا يصبر عن شهوات الدنيا ، إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة . وقال مالك بن دينار ، اصطلحنا على حب الدنيا ، فلا يأمر بعضنا بعضا ، ولا ينهى بعضنا بعضا ، ولا يدعنا الله على هذا ، فليت شعري أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم : يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن ، أهينوا الدنيا ، فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهانها . وقال أيضا ، إذا أراد الله بعبده خيرا ، أعطاه من الدنيا عطية ، ثم عسك فإذا نقدا عاد عليه . وإذا هان عليه عبد ، بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا ممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك ، أمسك الدنيا عني ، وقال محمد بن المنكدر : أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر ، وقام الليل لا ينام ، وتصدق بماله ، وجاهد في سبيل الله ، واجتنب محارم الله ، غير أنه يؤتى به يوم القيامة ، فيقال إن هذا عظم في عينه ما صغره الله ، وصغر في عينه ما عظمه الله ، كيف ترى يكون حاله ؟ فن منا ليس هكذا ؟ الدنيا عظيمة عنده ، مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا .

وقال أبو حازم ، اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة ، فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعوانا ، وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب يدك إلى شيء منها ، إلا وجدت فاجرا قدسبك إليه .

وقال أبو هريرة ، الدنيا موقوفة بين السماء والأرض ، كالشن البالي ، تنادي ربها منذ خلقها إلى يوم يفنيها ، يارب ، يارب ، لم تبغضني ؟ فيقول لها اسكتي يا لاشيء . وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا ، والذنوب في القلب قد احتوشته ؟ فمتى يصل الخير إليه ؟ وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا ، فقد أخطأ الحكمة . ومن جعل شهوته تحت قدميه ، فرق الشيطان من ظله . ومن غلب علمه هواه ، فهو الغالب . وقيل لبشر ، مات فلان . فقال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه . قيل له إنه كان يفعل ويفعل ، وذكروا أبوابا من البر ، فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا ؟

وقال بعضهم ، الدنيا تبغض إلينا نفسها ، ونحن نحبها . فكيف لو تحببت إلينا . وقيل حكيم ، الدنيا لمن هي ؟ قال لمن تركها . فقيل الآخرة لمن هي ؟ قال لمن طلبها . وقال حكيم ، الدنيا دار خراب ، وأخرب منها قلب من يعمرها . والجنة دار عمران ، وأعمر منها قلب من يطلبها . وقال الجنيد ، كان الشافعي ، رحمه الله ، من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا ، وعظأ أخاله في الله ، وخوفه بالله ، يقال يا أخي ، إن الدنيا دحض مزلة ، ودار مذلة ، عمرانها إلى الخراب صائر ، وساكنها إلى القبور زائر . شملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر مصروف . الإكثار فيها إعسار ، والإعسار فيها يسار ، فافزع إلى الله ، وارض برزق الله لا تتسلف من دار فنائك إلى دار بقائك ، فإن عيشك في زائل ، وجدار مائل . أكثر من عملك ، وأقصر من أملك . وقال إبراهيم بن أدهم لرجل : أدرم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة ؟ فقال دينار في اليقظة . فقال كذبت ، لأن الذي تحبه في الدنيا ، كأنك تحبه في المنام . والذي لا تحبه في الآخرة ، كأنك لا تحبه في اليقظة . وعن اسماعيل بن عياش قال : كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة ، فيقولون إليك عنا يا خنزيرة . فلو وجدوا لها إسما أقيح من هذا لسموها به . وقال كعب ، لتحبين إليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها . وقال يحيى بن معاذ الرازي ، رحمه الله للعلاء ثلاثة ، من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبني قبره قبل أن يدخله ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه . وقال أيضا ، الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنحك لما يلهيك عن طاعة الله ، فكيف الوقوع فيها . وقال بكر بن عبد الله ، من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا ، كان كقطي النار بالنين . وقال بندار ، إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد ، فاعلم أنهم في سفرة الشيطان

وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقتة نيرانها ، بمعنى الحرص ، حتى يصير رمادا . ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها ، فصار سبيكة ذهب ينتفع به . ومن أقبل على الله عز وجل ، أحرقتة نيران التوحيد ، فصار جوهرًا لأحد لقيمته

وقال على كرم الله وجهه ، إنما الدنيا ستة أشياء ، مطعوم ، ومشروب ، وملبوس ، ومركوب ، ومنكوح ، ومشوم . فأشرف المطعومات العسل ، وهو مذقة ذباب . وأشرف المشروبات الماء ، ويستوى فيه البر والفاجر . وأشرف الملبوسات الحرير ، وهو نسج دودة . وأشرف المركوبات الفرس ، وعليه يقتل الرجال . وأشرف المنكوحات المرأة ، وهي مبال في مبال . وإن المرأة لتزين أحسن شيء منها ، ويراد أقيح شيء منها . وأشرف المشمومات المسك ، وهو دم

بيان

المواعظ في ذم الدنيا وصفها

قال بعضهم ، يا أيها الناس اعملوا على مهل ، وكونوا من الله على وجل ، ولا تنثروا بالأمل ونسيان الأجل ، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة ، قد تزخرت لكم بغورها وقتنتكم بأمانها ، وتزينت لخطابها ، فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنفوس لها عاشقة . فكم من عاشق لها قتل ، ومطمئن إليها خذلت . فانظروا إليها بعين الحقيقة ، فإنها دار كثير بوائقها ، وذمها خالقها ، جديدها يلى ، وملكها يفنى ، وعزيزها يذل ، وكثيرها يقل ، ودها يموت ، وخيرها يفوت . فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم ، واتنبهوا من رقدتكم ، قبل أن يقال فلان عليل ، أو مدنف ثقيل ، فهل على الدواء من دليل ؟ أو هل إلى الطبيب من سبيل ؟ فتدعى لك الأطباء ، ولا يرجى لك الشفاء . ثم يقال فلان أوصى ، ولماله أحصى . ثم يقال قد ثقل لسانه ، فأيكم إخوانه ، ولا يعرف جيرانه . وعرق عند ذلك جبينك ، وتتابع أنفك ، وثبتت بقتك ، وطمخت جفونك ، وصدقت ظنونك ، وتلجلج لسانك ، ويكي إخوانك ، وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ، ومنعت من الكلام فلا تنطق ، وختم على لسانك فلا ينطق . ثم حل بك القضاء ، وانتزعت نفسك من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك

إخوانك ، وأحضرت أكفانك ففسلوك ، وكفنوك ، فانقطع عوادك ، واستراح حسادك
وانصرف أهلك إلى مالك ، وبقيت مرثتها بأعمالك

وقال بعضهم لبعض الملوك ، إن أحق الناس بدم الدنيا وقلها من بسط له فيها ، وأعطى حاجته منها ، لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه ، أو على جمعه فتفرقه ، أو تأتي سلطانه قهده من القواعد ، أو تدب إلى جسمه فلسقمه ، أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبائه فالدنيا أحق بالدم ، هي الآخذة ماتعطى . الراجعة فيما تهب . بينا هي تضحك صاحبها ، إذ أضحكت منه غيره . وبيننا هي تبكي له ، إذ أبكت عليه . وبيننا هي تبسط كفها بالإعطاء ، إذ بسطتها بالاسترداد . فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم ، وتمعه بالتراب غدا . سواء عليها ذهاب مذهب ، وبقاء ما بقي ، نجد في الباقي من الذاهب خلفا ، وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري ، إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة ، وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ، فإن الزاد منها تركها ، والغنى منها فقرها . لها في كل حين قتل ، تذلل من أعزها ، وتفقر من جمعها . هي كالسم يأكله من لا يعرفه ، وفيه حتفه . فكن فيها كالمدأوى جراحه ، يحمى قليلا ، مخافة ما يكره طويلا . ويصبر على شدة الدواء ، مخافة طول الداء . فاحذر هذه الدار الغدارة ، الختالة الخداعة ، التي قد ترينت بخدعها ، وفنت بنورها ، وحلت بآمالها ، وسوفت بخطابها ، فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها والهمة ، والنفوس لها عاشقة . وهي لأزواجها كلهم قالية . فلا الباقي بالماضي معتبر ، ولا الآخر بالأول مزدجر ، ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مذكر . فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطنى ، ونسى المعاد ، فشغل فيها لبه ، حتى زلت به قدمه ، فعمطت ندامته ، وكثرت حسرته ، واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه ، وحسرات الفوت بعصته . وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ، ولم يروح نفسه من التعب ، فخرج بغير زاد ، وقدم على غير مهاد ، فاحذر يا أمير المؤمنين ، وكن أسير ما تكون فيها ، أحذر ما تكون لها . فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه . السار في أهلها غار ، والنافع فيها غدار . وقد وصل إلى خاتمها بالبلاء ، وجعل البقاء فيها إلى فناء .

فسرورها مشوب بالأحزان ، لا يرجع منها ماولى وأدبر ، ولا يدري ما هوآت ،
 فينتظر . أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصفوها كدر ، وعيشها نكد ، وابن آدم فيها على
 خطر ، إن عقل ونظر . فهو من النعماء على خطر ، ومن البلاء على حذر . فلو كان الخالق لم
 يخبر عنها خبرا ، ولم يضرب لها مثلا ، لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ، ونهت الغافل
 فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر ، وفيها واعظ ، قالها عند الله جل ثناؤه قدر
 وما نظر إليها منذ خلقها ^(١) . ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بفاتيحتها وخزائنها
 لا ينقصه ذلك عند الله بخناح بموضنة ، فأبى أن يقبلها ، إذ كره أن يخالف على الله أمره ،
 أو يحجب ما أبغضه خالقه ، أو يرفع ما وضع ملىكه . فزواها عن الصالحين اختبارا ، وبسطها
 لأعدائه اغترارا ، فيظن المغرور بها ، المقتدر عليها ، أنه أكرم بها ، ونسى ما صنع الله
 عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ^(٢) حين شد الحجر على بطنه ، ولقد جاءت الرواية عنه
 عن ربه عز وجل ، أنه قال لموسى عليه السلام ، إذا رأيت النى مقبلا ، فقل ذنب عجلت
 عقوبته . وإذا رأيت الفقر مقبلا ، فقل مرحبا بشعار الصالحين . وإن شئت اقتديت بصاحب
 الروح والكلمة ، عيسى بن مريم عليه السلام ، فإنه كان يقول ، إداى الجوع ، وشعارى
 الخوف ، ولباسى الصوف ، وصلاتى فى الشتاء مشارق الشمس ، وسراجى القمر ، ودابى
 رجلاى ، وطعامى وفاكهتى ما أنبت الأرض ، أبيت وليس لى شيء ، وأصبح وليس لى
 شيء . وليس على الأرض أحد أغنى منى . وقال وهب بن منبه ، لما بعث الله عز وجل
 موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون ، قال لا يرو عنك لباسه الذى لبس من الدنيا ، فإنه
 ناصيته ييدى ، ليس ينطق ، ولا يطرف ، ولا ينتفس إلا بإذنى ولا يعجبنيك ما تتمتع به منها
 فإنما هى زهرة الحياة الدنيا ، وزينة المترفين . فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا ، يعرفه

(١) حديث الحسن وكتب به الى عمر بن عبد العزيز عرضت لى الدنيا لى نبيك صلى الله عليه وسلم

بفاتيحتها وخزائنها - الحديث : ابن أبى الدنيا هكذا مرسل ورواه أحمد والطبرانى متصلا
 من حديث أبى مويهبة فى أثناء حديث فيه انى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة - الحديث :
 وسنده صحيح والترمذى من حديث أبى امامة عرض لى لى لى بطعام مكة ذهابا - الحديث :

(٢) حديث الحسن مرسل فى شدة الحجر على بطنه : ابن أبى الدنيا أيضا هكذا والبخارى من حديث أنس رفعا
 بطوننا عن حجر حجر فرقع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين وقال حديث غريبه

فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما ، ففعلت . ولكنى أرغب بكم عن ذلك ،
نفأزوى ذلك عنكما ، وكذلك أفعل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها ، كما يذود الراعى الشفيق
غنيمه عن مراتع الهلكة ، وإني لأجنبهم ملاذها ، كما يجنب الراعى الشفيق إبله
عن منازل الغرة . وما ذاك لهوانهم على ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما
موفرا . إنما يترين لى أوليائى بالذل ، والخوف ، والخضوع ، والتقوى تنبت فى قلوبهم ،
وتظهر على أجسادهم ، فهى ثيابهم التى يلبسون ، ودثارهم الذى يظهرون ، وضميرهم الذى
يستشعرون ، ونجاتهم التى بها يفوزون ، ورجاؤهم الذى إياه يأملون ، ومجدهم الذى به يفخرون
وسيام التى بها يعرفون . فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك ، وذلل لهم قلبك ولسانك .
واعلم أنه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ، ثم أنا النائر له يوم القيامة .

وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة ، فقال فيها ، اعلموا أنكم ميتون ، ومبعوثون
من بعد الموت ، وموقوفون على أعمالكم ، ومجزيون بها . فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، فإنها
بالبلاء مخوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالعذر موصوفة . وكل ما فيها إلى زوال ، وهى بين أهلها
دول وسجال . لا تدوم أحوالها ، ولا يسلم من شرها نزالها . بينا أهلها منها فى رخاء وشرور
إذا هم منها فى بلاء وغرور . أحوال مختلفة ، وتارات منصرفة ، العيش فيها مذموم ، والرخاء
فيها لا يدوم ، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة . ترميهم بسهامها ، وتقصيمهم بحمامها ، وكل
حقه فيها مقدور ، وحظه فيها موفور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا
على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا ، وأشد منكم بطشا ، وأعمرديارا ، وأبعد
آثارا . فأصبحت أصواتهم هامة خامة من بعد طول تقلبها ، وأجسادهم بالية ، وديارهم على
عروشها خاوية ، وآثارهم خافية ، واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والتمارق الممهدة ،
الصخور والأحجار المسندة ، فى القبور اللاطئة الملحدة ، فحلها مقرب ، وساكنها مقرب
بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة متشاغلين ، لا يستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون
تواصل الجيران والإخوان ، على ما بينهم من قرب المسكان والجوار ، ودنو النار . وكيف
يكون بينهم تواصل ، وقد طحنهم بكلكل البلاء ، وأكلتهم الجنادل والثرى ، وأصبحوا

بعد الحياة أمواتا ، وبعد نضارة العيش رفاتا ، فجع بهم الأحباب ، وسكنوا تحت التراب
وظننوا فليس لهم إياب ، هيهات هيهات (كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ
إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ^(١)) فكان قد صرتم إلى ماصاروا إليه ، من البلاء والوحدة في دار الموتى
وارتهنتم في ذلك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع ، فكيف بكم لو عاينتم الأمور ، وبعثت
القبور ، وحصل ما في الصدور ، وأوقفتكم للتحصيل ، بين يدي الملك الجليل . فطارت القلوب
لإشفافها من سالف الذنوب ، وهتكت عنكم الحجب والأستار ، وظهرت منكم العيوب
والأسرار ، هنالك تجزى كل نفس بما كسبت . إن الله عز وجل يقول (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ^(٢)) وقال تعالى (وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى
الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ^(٣)) الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ، متبعين لأوليائه
حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله ، إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء ، الأيام سهام
والناس أغراض ، والذهب يرمى كل يوم بسهامه ، ويحترمك بلياليه وأيامه ، حتى يستغرق
جميع أجزائك . فكيف بقاء سلامتك ، مع وقوع الأيام بك ، وسرعة الليالي في بدنك
لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص ، لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك
واستثقلت ممر الساعات بك . ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار ، وبالساعة غوائل الدنيا
وجد طعم لذاتها ، وإنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحكيم . وقد أعيت الواصف لعيوبها
بظهور أفعالها ، وما تأتي به من العجائب ، أكثر مما يحيط به الواعظ ، اللهم أرشدنا إلى الصواب
وقال بعض الحكماء ، وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال ، الدنيا وقتك الذي يرجع
إليك فيه طرفك ، لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه ، وما لم يأت فلا علم لك به . والذهب
يوم مقبل تنعاه ليلته ، وتطويه ساعاته ، وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغيير والنقصان
والذهب موكب بتشتيت الجماعات ، وانحرام الشمل ، وتنقل الدول . والأمل طويل ،
والعمر قصير ، وإلى الله تصير الأمور : وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فقال
يا أيها الناس ، إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقى ، وإن كنتم تكذبون به
فإنكم هلكى . إنما خلقتم للأبد ، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون عباد الله ، إنكم

في دار لكم فيها من طعامكم غصص ، ومن شرابكم شرق ، لا تصفولكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه ، وخالدون فيه . ثم غلبه البكاء ونزل وقال على كرم الله وجهه في خطبته ، أوصيكم بتقوى الله ، والتارك للداركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها ، المبلية أجسامكم ، وأنتم تريدون تجديدها . فإنما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر ، سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه ، وأفضوا إلى علم فكأنهم بلغوه . وكم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي إلى الغاية ، وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلبه حتى يفارقها . فلا تجزعوا بالبؤسها وضرائها فإنه إلى انقطاع ، ولا تقرحوا بمتاعها ونعمائها فإنه إلى زوال . عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمنقول عنه وقال محمد بن الحسين ، لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا ، وأنه لم يرضها لأوليائه ، وأنها عنده حقيرة قليلة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها ، وحذر أصحابه من فتنها ، أكلوا منها قصدا ، وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي ، وتركوا ما يلهي . لبسوا من الثياب ما ستر العورة ، وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ، ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية ، وإلى الآخرة أنها باقية ، فتزودوا من الدنيا كزاد الركب ، فخرّبوا الدنيا ، وعمرّوا بها الآخرة . ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم ، فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم ، فارتجّلوا إليها بقلوبهم ، لما علموا أنهم سيرتحّلون إليها بأبدانهم . تعبوا قليلا ، وتنعموا طويلا . كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم ، أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

بيان

صفة الدنيا بالأمثلة

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء ، قريبة الانقضاء ، تعد بالبقاء ، ثم تخلف في الوفاء . تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة ، وهي سائرة سيرا عنيفا ، ومرحلة ارتحالا سريما . ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها ، فيطمئن إليها . وإنما يحس عند انقضاءها ومثالها الظل ، فإنه متحرل ساكن متحرل في الحقيقة ، مما كن في الظاهر ، لا تدرك حركته بالبصر الظاهر ، بل بالبصيرة الباطنة ، ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله ، أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظل زائل إن الليب يمثلها لا يخذع
وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، يتمثل كثيرا ويقول
يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترارا بظل زائل حق
وقيل إن هذا من قوله

ويقال أن أعرايا نزل بقوم ، فقدموا إليه طعاما ، فأكل ، ثم قام إلى ظل خيمة لهم
فنام هناك ، فافتلموا الخيمة ، فأصابته الشمس ، فانتبه فقام وهو يقول
ألا إنما الدنيا كظل ثنية ولا بد يوما أن ظلك زائل
وكذلك قيل

وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور
مثال آخر للدنيا ، من حيث التعبير بخيالاتها ، ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها
تشبه خيالات المنام ، وأضغاث الأحلام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « الدُّنْيَا
حُلْمٌ وَأَهْلُهَا عَلَيْهِمْ مُجَازُونَ وَمُعَاقِبُونَ » وقال يونس بن عبيد ، ما شبهت نفسى فى الدنيا
إلا كرجل نام ، فرأى فى منامه ما يكره وما يحب . فبينما هو كذلك إذ انتبه . فكذلك
الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، فإذا ليس بأيديهم شئ مما ركنوا إليه ، وفرحوا به .
وقيل لبعض الحكماء ، أى شئ أشبه بالدنيا ، قال أحلام النائم
مثال آخر للدنيا ، فى عداوتها لأهلها ، وإهلاكها لبنيتها

اعلم أن طبع الدنيا التلطف فى الاستدراج أولا ، والتوصل إلى الإهلاك آخرا . وهى
كامرأة تزين للخطاب ، حتى إذا نكحتهم ذبحتهم . وقد روى أن عيسى عليه السلام
كوشف بالدنيا ، فرآها فى صورة عجوز هماء ، عليها من كل زينة ، فقال لها كم تزوجت
قالت لا أحصيهم ، قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك ؟ قالت بل كلمهم قتل . فقال
عيسى عليه السلام ، يؤسأ لأزواجك الباقين ، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين !
كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ، ولا يكونون منك على حذر !

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون : لم أجده أصلا

مثال آخر للدنيا ، في مخالفة ظاهرها لباطنها .

اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر ، قبيحة السرائر . وهي شبه عجوز متزينة ، تخدع الناس بظاهرها ، فإذا وقفوا على باطنها ، وكشفوا القناع عن وجهها ، تمثل لهم قبايحها ، فندموا على اتباعها ، وخجلوا من ضعف عقولهم في الاعتراض بظاهرها . وقال الملاء بن زياد ، رأيت في المنام عجوزا كبيرة ، متعصبة الجلد ، عليها من كل زينة الدنيا ، والناس عكوف عليها معجبون ، ينظرون إليها . فجئت ونظرت وتعجبت من نظرم إليها ، وإقبالهم عليها . فقلت لها ويلك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني ؟ قلت لا أدري من أنت ، قالت أنا الدنيا . قلت أعوذ بالله من شرك . قالت إن أحببت أن تماذ من شري فابغض الدرهم . وقال أبو بكر بن عياش ، رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء ، تصفق يديها ، وخلفها خلق يتبعونها بصفقون ويرقصون . فلما كانت بمحذائي ، أقبلت عليّ فقالت ، لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء . ثم بكى أبو بكر وقال ، رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض ، قال ابن عباس ، يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء ، أنيابها بادية ، مشوه خلقها فتشرف على الخلائق ، فيقال لهم أتعرفون هذه ؟ فيقولون نعموذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها ، بها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم . ثم يقذف بها في جهنم ، فتنادى أي رب ، أين أتباعي وأشياعي ؟ فيقول الله عز وجل ، ألحقوا بها أتباعها وأشياعها . وقال الفضيل ، بلغني أن رجلا عرج بروحه ، فإذا امرأة على قارعة الطريق ، عليها من كل زينة من الحلى والثياب ، وإذا لا يمر بها أحدا إلا جرحته فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس ، وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس عجوزا شمطاء ، زرقاء عمشاء . قال فقلت أعوذ بالله منك . قالت لا والله ، لا يبيدك الله مني حتى تبغض الدرهم . قال فقلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا

مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها

اعلم أن الأحوال ثلاثة ، حالة لم تكن فيها شيئا ، وهي ما قبل وجودك إلى الازل . وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا ، وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والازل ، وهي أيام حياتك في الدنيا . فانظر إلى مقدار طولها ، وانسبه إلى طرفي الأزل

والأبد ، حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير ، في سفر بعيد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
 (١) « مَالِي وَلِلدُّنْيَا وَإِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَرُفِعَتْ لَهُ
 شَجَرَةٌ فَقَالَ تَحْتَ ظِلِّهَا سَاعَةٌ ثُمَّ زَاحَ وَتَرَكَهَا ، وَمَنْ رَأَى الدُّنْيَا بِهَذِهِ الْعَيْنِ لَمْ يَرْكُنْ إِلَيْهَا
 وَلَمْ يَبَالِ كَيْفَ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ ، فِي ضَرٍّ وَضِيقٍ ، أَوْ فِي سَعَةٍ وَرِفَاقَةٍ . بَلْ لَا يَبْنِي لِبْنَةٍ عَلَى لِبْنَةٍ
 تَوْفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) ، وَمَا وَضَعَ لِبْنَةً عَلَى لِبْنَةٍ ، وَلَا قَصْبَةَ عَلَى قَصْبَةٍ (٣) »
 ورأى بعض الصحابة يبنى بيتا من حصص ، فقال أرى الأمر أعجل من هذا ، وأنكر ذلك
 وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال ، الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . وهو
 مثال واضح ، فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة ، والمهد هو الميل الأول على رأس القنطرة واللحدهو
 الميل الآخر . وبينهما مسافة محدودة . فمن الناس من قطع نصف القنطرة ، ومنهم من قطع ثلثها ، ومنهم
 من قطع ثلثيها ، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها . وكيفما كان فلا بد له
 من العبور . والبناء على القنطرة ، وتزيينها بأصناف الزينة ، وأنت عابر عليها ، غاية الجهل والخذلان
 مثال آخر للدنيا في لين موردها ، وخشونة مصدرها

اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هيئة لينة ، يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض
 فيها ، وهيئات . فإن الخوض في الدنيا سهل ، والخروج منها مع السلامة شديد . وقد كتب
 على رضى الله عنه ، إلى سامان الفارسي بمثلها فقال ، مثل الدنيا مثل الحية ، لين مسها ، ويقتل سمها .
 فأعرض عما يعجبك منها . لقله ما يصحبك منها . وضع عنك همومها ، بما أيقنت من فراقها وكن أسرَّ
 ما تكون فيها ، أحذر ما تكون لها . فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور شخصه عنه مكروه والسلام

(١) حديث مالى وللدينا انما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب - الحديث : الترمذى وابن ماجه والحاكم من

حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس

(٢) حديث ما وضع لبنة على لبنة - الحديث : ابن حبان في الثقات والطبراني في الأوسط من حديث

عائشة بسند ضعيف من سأل عن أسره أن ينظر إلى فيلنظر إلى أشعث شاحب مشعر لم

يضع لبنة على لبنة - الحديث

(٣) حديث رأى بعض أصحابه يبنى بيتا من حصص فقال أرى الأمر أعجل من هذا : أبو داود والترمذى

من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح

مثال آخر للدنيا ، في تمذر الخلاص من تبعها بعد الخوض فيها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الدُّنْيَا كَأَنَّ مَشْيَ فِي الْمَاءِ هَلْ
يَسْتَطِيعُ الَّذِي يَمْشِي فِي الْمَاءِ أَنْ لَا تَبْتَلَّ قَدَمَاهُ » وهذا يعرّفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون
في نعيم الدنيا بأبدانهم ، وقلوبهم منها مطهرة ، وعلائقها عن بواطنهم منقطعة ، وذلك مكيدة
من الشيطان . بل لو أخرجوا مما هم فيه ، لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها . فكما أن
المشي على الماء يقتضي بلالا لا محالة يلتصق بالقدم ، فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة
وظلمة في القلب . بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة . قال عيسى عليه السلام :
بحق أقول لكم ، كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع ، كذلك صاحب
الدنيا ، لا يلتذ بالعبادة ، ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا . وبحق أقول لكم ،
إن الدابة إذا لم تركب وتمتن ، تصعب ويتغير خلقها . كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر
الموت ، ونصب العبادة ، تقسو وتغلظ . وبحق أقول لكم ، إن الزق مالم ينحرق أو يقحل
يوشك أن يكون وعاء للغسل . كذلك القلوب مالم تحرقها الشهوات ، أو يدنسها الطمع
أو يقسيها النعيم ، فسوف تكون أوعية للحكمة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إِنَّمَا بَقِيَ
مِنَ الدُّنْيَا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ وَإِنَّمَا مَثَلُ عَمَلٍ أَحَدِكُمْ كَمَثَلِ الْوِعَاءِ إِذَا طَابَ أَغْلَاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ
وَإِذَا خَبِثَ أَغْلَاهُ خَبِثَ أَسْفَلُهُ »

مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ماسبق
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « مَثَلُ هَذِهِ الدُّنْيَا مَثَلُ ثَوْبٍ شَقَّ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى
آخِرِهِ فَبَقِيَ مُتَمَلِّقًا يَخِيطُ فِي آخِرِهِ فَيُوشِكُ ذَلِكَ الْخَيْطُ أَنْ يَنْقَطِعَ »

- (١) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء - الحديث : ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب
من رواية الحسن وقال بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقي
في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس
- (٢) حديث إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة - الحديث : ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات
- (٣) حديث مثلي هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم
في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف

مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك

قال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا ، مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شربا ، ازداد عطشا حتى يقتله

مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ، ولنضارة أوائلها ، وخبت عواقبها .

اعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذيدة ، كشهوات الأطعمة في المعدة . وسيجد العبد عند الموت . لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقيح ، ما يحده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها : وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعما ، وأكثر دسما ، وأظهر حلاوة كان رجيحه أقدر وأشد تننا ، فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى ، فتنها وكرهتها والتأذي بها عند الموت أشد . بل هي في الدنيا مشاهدة . فإن من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده ، فتكون مصيبته وألمه وتقبحه في كل ما فقد ، بقدر لذته به ، وحبه له . وحرصه عليه . فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ ، فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) قال للضحاك ابن سفيان الكلابي « أَلَسْتَ تُؤْتِي بَطْعَامَكَ وَقَدْ مُلِحَ وَقُرِحَ ثُمَّ تَشْرَبُ عَلَيْهِ اللَّبَنَ وَالْمَاءَ » قال بلى . قال « فَأَلَيْمَ يَصِيرُ ؟ » قال إلى ما قد علمت يا رسول الله . قال « فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ضَرَبَ مِثْلَ الدُّنْيَا بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ طَعَامُ ابْنِ آدَمَ » . وقال أبي بن كعب ^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الدُّنْيَا ضَرِبَتْ مِثْلًا لِبْنِ آدَمَ فَانْظُرْ إِلَى مَا يُخْرَجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَإِنْ قَذَحَهُ وَمَلَحَهُ إِلَى مَا يَصِيرُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ الدُّنْيَا لِمَطْعَمِ ابْنِ آدَمَ مِثْلًا وَضَرَبَ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ لِلدُّنْيَا مِثْلًا وَإِنْ قَزَحَهُ وَمَلَحَهُ » وقال الحسن ، قد

(١) حديث أنه قال للضحاك بن سفيان الكلابي ألسنت تؤتي بطعامك وقد ملح وقرح - الحديث : وفيه فان الله ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بحجوه وفيه على بن زيد بن جعدان عتلف فيه

(٢) حديث أبي بن كعب ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث : الطبراني وابن حبان بلفظ أن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ جعل

(٣) حديث أن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا - الحديث : الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان أن الله ضرب ما يخرج من بني آدم مثلا للدنيا

رَأَيْتَهُمْ يَطِيبُونَهُ بِالْأَفَاوِيهِ وَالطِّيبِ ، ثُمَّ يَزْمُونَ بِهِ حَيْثُ رَأَيْتُمْ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ،
(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ^(١)) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، إِلَى رَجِيعِهِ . وَقَالَ رَجُلٌ لَابْنِ عُمَرَ ، إِنِّي
أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ وَأَسْتَحْيِي . قَالَ فَلَا تَسْتَحْيِ وَأَسْأَلْ . قَالَ إِذَا قَضَى أَحَدُنَا حَاجَتَهُ ، فَقَامَ يَنْظُرُ
إِلَى ذَلِكَ مِنْهُ . قَالَ لَهُمْ ، إِنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَا بَخَلْتُمْ بِهِ ، انْظُرْ إِلَى مَاذَا صَارَ . وَكَانَ
بِشَرِّ بَنِي كَعْبٍ يَقُولُ ، انْطَلِقُوا حَتَّى أُرِيَكُمْ الدُّنْيَا ، فَيَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى مَرْبَلَةٍ ، فَيَقُولُ انْظُرُوا
إِلَى ثَمَارِهِمْ ، وَدَجَاجِهِمْ ، وَعَسَلِهِمْ ، وَسَنَمِهِمْ
مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) « مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَثَلِ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ
إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ بِمِمْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ »

مثال آخر للدنيا وأهلها ، في اشتغالهم بنعيم الدنيا ، وغفلتهم عن الآخرة . وخسرانهم العظيم بسببها
اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم ، مثل قوم ركبوا سفينة ، فانتهت بهم إلى جزيرة
فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة ، وحذرهم المقام ، وخوفهم مرور السفينة واستعجالها
فتفرقوا في نواحي الجزيرة ، ففضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة ، فصادف المكان خاليا
فأخذ أوسع الأماكن ، وألينها ، وأوقفها لمراده . وبعضهم توقف في الجزيرة ، ينظر
إلى أنوارها ، وأزهارها العجيبة ، وغياضها المتفتحة ، ونفحات طيورها الطيبة ، وألحانها الموزونة
الفرية ، وصار يلحظ من بريتها أحجارها ، وجواهرها ، ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال
الحسنة المنظر ، العجيبة النقوش ، السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها ، وعجائب صورها
ثم تنبه لخطر فوات السفينة ، فرجع إليها ، فلم يصادف إلا مكانا ضيقا حرجا ، فاستقر فيه
وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار ، وأعجبه حسنها ، ولم تسمع نفسه
بإهمالها ، فاستصحب منها جملة ، فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا . وزاده ما حمله من الحجارة

(١) حديث ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بميم يرجع اليه : مسلم من
حديث المستورد بن شداد

ضيقا . وصار ثقيلًا عليه ووبالا ، فندم على أخذه ، ولم يقدر على رميه ، ولم يجد مكانا لوضعه
فحمله في السفينة على عنقه ، وهو متأسف على أخذه ، وليس ينفعه التأسف .

وبعضهم تولى الغياض ، ونسى المركب ، وبعد في متخرجه ومتزهره منه ، حتى لم يبلغه
نداء الملاح ، لاشتغاله بأكل تلك الثمار ، واستشام تلك الأنوار ، والتفرج بين تلك
الأشجار ، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع ، وغير خال من السقطات والنكبات
ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه ، وغصن يجرح بدنه ، وشوكة تدخل في رجله . ووجوه
هائل يفرع منه ، وعوسج يخرق ثيابه ، ويهتك عورته ، ويمنع عن الانصراف لو أرادوه
فلما بلغه نداء أهل السفينة ، انصرف مثقلا بجماعه ولم يجد في المركب موصلا ، فبقى في
السطح حتى مات جوعا ، وبعضهم لم يبلغه النداء ، وصارت السفينة ، فمنهم من اقترسته السباع
ومنهم من تاه فهم على وجهه حتى هلك ، ومنهم من مات في الأوحال ، ومنهم من حششته
الحيات ، فتفرقوا كالخيف المنتنة وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار
والأحجار ، فقد استرقت ، وشغله الحزن بحفظها ، والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه
مكانه ، فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار ، وكمدت تلك الألوان والأحجار ، فظهرت
رائحتها ، فصارت مع كونها مضيقة عليه ، مؤذية له بنتنها ووحشتها ، فلم يجد حيلة إلا أن
ألقاها في البحر هربا منها . وقد أثر فيه ما أكل منها ، فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت
عليه الأسقام بتلك الروائح ، فبلغ سقيما مدبرا . ومن رجع قريبا ، ما فاتته إلا مصعة الحال
فتأذى بضيق المكان مدة ، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح . ومن رجع أولا
وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما

فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بنحوظهم العاجلة ، ونسيانهم موردتهم ومصيدهم
وغفلتهم عن عاقبة أمورهم . وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض
وهي الذهب والفضة ، وهشيم النبات ، وهي زينة الدنيا ، وشيء من ذلك لا يصحبه عنه
الموت ، بل يصير كلاً ووبالا عليه ، وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه . وهذه
حال الخلق كلهم ، إلا من عصم الله عز وجل

مثال آخر لا غترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم

وقال الحسن رحمه الله ^(١) : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكَوا مَقَاذَ غَبَرَاءَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكَوا مِنْهَا أَكْثَرَ أَوْ مَاتِي أَنْقَذُوا الزَّادَ وَخَسِرُوا الظَّهْرَ وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَقَاذَ وَلَا زَادَ وَلَا حُمُولَةَ فَأَيُّقُنُوا بِالْهَلَكَةِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ تَقْطُرُ رَأْسُهُ فَقَالُوا هَذَا قَرِيبٌ عَهْدٍ بِرَيْفٍ وَمَا جَاءَكُمْ هَذَا إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَيْهِمْ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ فَقَالُوا يَا هَذَا فَقَالَ عَلَامَ أَنتُمْ؟ فَقَالُوا عَلَى مَا تَرَى فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُكُمْ إِلَى مَاءٍ رَوَاءَ وَرِيَاضٍ خَضِرٍ مَا تَعْمَلُونَ؟ قَالُوا لَا نَعْصِيكَ شَيْئًا قَالَ عُهودُكُمْ وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطَوْهُ عُهودَهُمْ وَمَوَائِقَهُمْ بِاللَّهِ لَا نَعْصُوهُ شَيْئًا قَالَ فَأَوْرَدَهُمْ مَاءً رَوَاءَ وَرِيَاضًا خَضِرًا فَمَكَثَ فِيهِمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ قَالُوا يَا هَذَا قَالَ الرَّحِيلُ قَالُوا إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ إِلَى مَاءٍ لَيْسَ كَمَا لَكُمْ وَإِلَى رِيَاضٍ لَيْسَتْ كَرِيَاضِكُمْ فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا هَذَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّا لَنْ نَجِدَهُ وَمَا نَصْنَعُ بِعَيْشٍ خَيْرٍ مِنْ هَذَا؟ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ وَهُمْ أَقْلُهُمْ أَلَمْ نُمْطُوا هَذَا الرَّجُلَ عُهودَكُمْ وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ لَا نَعْصُوهُ شَيْئًا وَقَدْ صَدَقَكُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ فَوَاللَّهِ لَيَصْدُقَنَّكُمْ فِي آخِرِهِ فَرَأَحَ فِيمَنْ اتَّبَعَهُ وَتَخَلَّفَ بِقِيَّتِهِمْ فَبَدَرَهُمْ عَدُوٌّ فَأَصْبَحُوا بَيْنَ أُسِيرٍ وَقَتِيلٍ »

مثال آخر لتنع الناس بالدنيا ، ثم تجميعهم على فراقها .

اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا ، مثل رجل هيا دارا وزينها ، وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد . فدخل واحد داره ، فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ، ليشمه ويتزكه لمن يلحقه ، لا ليملكه ويأخذه ، فجعل رسمه .

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكَوا مَقَاذَ غَبَرَاءَ - الحديث : ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لاحمد والبرزار والطبراني من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملكان الحديث : وفيه فقال أي أحد الملكين ان مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سَفَرُوا إِلَى مَقَاذَ فذكر نحوه أخصر منه واسناده حسن

وظن أنه قد وهب ذلك منه، فتعلق به قلبه لما ظن أنه له . فلما استرجع منه ضجر وتفجع . ومن كان عالما برسمه ، انتفع به وشكره ، ورد به بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا ، علم أنها دار ضيافة ، سبغت على المجتازين لأعلى المقيمين ، ليتزودوا منها ، وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالحواري ، ولا يصرفون إليها كل قلوبهم ، حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها .
فهذه أمثلة الدنيا وآفاتھا وغوائلھا ، نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه

بيان

حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ، ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي ، وما الذي ينبغي أن يجتنب منها ، وما الذي لا يجتنب . فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة ، المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول : دنياك وآخرك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك ، فالقريب الداني منها يسمى دنيا ، وهو كل ما قبل الموت . والمتراخي المتأخر يسمى آخرة ، وهو ما بعد الموت . فكل مالك فيه حظ ، ونصيب ، وغرض ، وشهوة ، ولذة ، عاجل الحال قبل الوفاة . فهي الدنيا في حقتك إلا أن جميع مالك إليه ميل ، وفيه نصيب وحظ ، فليس بمذموم ، بل هو ثلاثة أقسام .

القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة ، وتبقى معك ثمرته بعد الموت ، وهو شيان ، العلم ، والعمل فقط . وأعني بالعلم العلم بالله ، وصفاته ، وأفعاله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وملكوته أرضه وسماؤه ، والعلم بشريعة نبيه . وأعني بالعمل ، العبادة الخالصة لوجه الله تعالى . وقد يأنس العالم بالعلم ، حتى يصير ذلك ألد الأشياء عنده ، فيهجر النوم ، والمطعم . والمنكح في لذته ، لأنه أشهى عنده من جميع ذلك . فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ، ولكننا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة ، لم نعد هذا من الدنيا أصلا ، بل قلنا إنه من الآخرة وكذلك العابد ، قد يأنس لعبادته فيستلذها ، بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم

المعقوبات عليه ، حتى قال بعضهم ، ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل . وكان آخر يقول : اللهم ارزقني قوة الصلاة ، والركوع ، والسجود في القبر . فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة ، وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه ، من حيث الاشتقاق من الدنو ، ولكننا لسنا نغنى بالدنيا المذمومة ذلك

وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ النِّسَاءِ وَالطَّيِّبُ وَفُرَّةٌ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا . وكذلك كل ما يدخل في الحسن والمشاهدة فهو من عالم الشهادة ، وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع ، والسجود ، إنما يكون في الدنيا ، ، فلذلك أضافها إلى الدنيا ، إلا أنا لسنا في هذا السكتاب نتعرض إلا للدنيا المذمومة ، فنقول هذه ليست من الدنيا .

القسم الثاني : وهو المقابل له على الطرف الأقصى ، كل ما فيه حظ عاجل ، ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً ، كالتلذذ بالمعاصي كلها ، والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات ، والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات ، كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام ، والحراث ، والفلمان ، والجواري ، والخيول ، والمواشي ، والقصور ، والدور ، ورفع الثياب ، ولذائذ الأطعمة . فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة . وفيما بعد فضولا ، أوفى محل الحاجة ، نظر طويل ، إذ روى عن عمر رضي الله عنه ، أنه استعمل أبا الدرداء على حمص ، فاتخذ كنيفاً أنفق عليه درهمين ، فكتب إليه عمر ، من عمر بن الخطاب لمير المؤمنين إلى عويمر ، قد كان لك في بناء فارس والروم ، ما نكتفي به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فقد سيرتك إلى دمشق أنت وأهلك . فلم يزل بها حتى مات . فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه .

القسم الثالث ، وهو متوسط بين الطرفين ، كل حظ في العاجل ، معين على أعمال الآخرة . كقدر القوت من الطعام ، والقميص الواحد الخشن ، وكل ما لا بد منه ليتأني للإنسان البقاء والصحة ، التي بها يتوصل إلى العلم والعمل . وهذا ليس من الدنيا كالقسم

(١) حديث حبيب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وفرة عيني في الصلاة : النساء والحاكم من حديث

أنس دون قوله ثلاث ونقدم في النسخ

الأول ، لأنه معين على القسم الأول ، ووسيلة إليه ففهما تناولاه العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل ، لم يكن به متناولاً للدنيا ، ولم يصير به من أبناء الدنيا . وإن كان بعشه الحظ المأجل ، دون الاستعانة على التقوى ، التحق بالقسم الثاني ، وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات ، صفاء القلب ، أعني طهارته عن الأدناس وأنسه بذكر الله تعالى ، وحبه لله عز وجل . و صفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالانكاف عن شهوات الدنيا . والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى ، والمواظبة عليه ، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة . ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر . وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعديات بعد الموت . أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا ، فهي من المنجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله ، كما ورد في الأخبار (١) « أن أعمال العبد تُنازل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه » الحديث

وأما الأنس والحب فهما من المسعديات ، وهما موصلان العبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة ، وهذه السعادة تتعجل عقب الموت ، إلى أن يدخل أواب الرؤية في الجنة ، فيصير القبر روضة من رياض الجنة . وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ، ولم يكن له إلا محبوب واحد ، وكانت العوائق تعوقه عن دوام الأنس بدوام ذكره ، ومطالعة جماله فازتفتت العوائق ، وأفلت من السجن ، وخلي بينه وبين محبوبه ، فقدم عليه مسروراً سليماً من الموانع ، آمناً من العوائق ، وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذباً ، ولم يكن له محبوب إلا الدنيا ، وقد غصب منه ، وحيل بينه وبينه ، وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه . ولذلك قيل

مما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

(١) حديث مناقلة أعمال العبد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه - الحديث : الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزرجي ضعفه البخاري وأبو حاتم ولاحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمناً أخرجه عمله الصلوة والصيام والحديث : وإسناده صحيح

وليس الموت عدما - إنما هو فراق لحجاب الدنيا ، وقدم على الله تعالى . فإذا سالك طريق الآخرة هو الواجب على أسباب هذه الصفات الثلاث ، وهي الذكر ، والفكر ، والعمل الذي يقطعه عن شهوات الدنيا ، وينفض إليه ملاذها ، ويقطعه عنها . وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن . وصحة البدن لا تنال إلا بقوت ، وملبس ، ومسكن ، ويحتاج كل واحد إلى أسباب . فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة ، إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة ، لم يكن من أبناء الدنيا ، وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة . وإن أخذ ذلك لحظ النفس ، وعلى قصد التمتع ، صار من أبناء الدنيا ، والراغبين في حظوظها . إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة ، ويسمى ذلك حراما ، وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلا ، ويعرضه لطول الحساب ، ويسمى ذلك حلالا . والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب ، ^(١) فن توش الحساب عذب ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « حَلَالُهَا حِسَابٌ وَحَرَامُهَا عَذَابٌ » وقد قال أيضا « حَلَالُهَا عَذَابٌ » ، إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب ، لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة ، وما يرد على القلب من التحسر على تقويتها لحظوظ حقيرة خسيصة لابقاء لها ، هو أيضا عذاب . . وقس به حالك في الدنيا ، إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية ، كيف يتقطع قلبك عليها حسرات ، مع علمك بأنها سعادات منصرمة لابقاء لها ، ومنغصة بكدورات لاصفاء لها . فإحالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بمعظمها ، وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر ، أو بالنظر إلى خضرة ، أو شربة ماء بارد ، فإنه ينقص من حظه في الآخرة أضعافه . وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه ^(٣) « هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُ عَنْهُ » أشار به إلى الماء البارد ، والتعرض لجواب السؤال فيه ذل ، وخوف ، وخطر ، ومشقة ، وانتظار . وكل ذلك من نقصانها

(١) حديث من توش الحساب عذب: متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب: ابن أبي السيلو البيهقي في الشعب من طريقه موقوفا على ابن أبي طالب

- بإسناد متقطع . بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا .

(٣) حديث هذا من النعيم الذي تسأل عنه تقدم في الإطعمة .

الحظ . ولذلك قال عمر رضى الله عنه ، اعزلوا عني حسايها ، حين كان به عطش ، فعرض عليه ماء بارد بيسل ، فأداره في كفه ، ثم امتنع عن شربه .
فالدنيا قليلها وكثيرها ، حرامها وحلالها ، ملمونة إلا مألعان على تقوى الله ، فإن ذلك القدر ليس من الدنيا . وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن ، كان حذره من نعيم الدنيا أشد . حتى أن عيسى عليه السلام ، وضع رأسه على حجر لما نام ، ثم رماه ، إذ تمثل له إبليس وقال ، رغبت في الدنيا . وحتى أن سليمان عليه السلام في ملكه ، كان يطعم الناس لذائد الأطعمة ، وهو يأكل خبز الشعير ، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة ، فإن الصبر عن لذائد الأطعمة ، مع القدرة عليها ووجودها أشد . ولهذا روى أن الله تعالى (١) زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، فكان يطوى أياما ، (٢) وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع . ولهذا سلط الله البلاء والحن على الأنبياء والأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، كل ذلك نظرا لهم ، وامتنانا عليهم ، ليتوفر من الآخرة حظهم . كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ، ويلزم ألم الفصد والحجامة ، شفقة عليه ، وحبآله ، لا بخلآ عليه . وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا ، وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فإن قلت فما الذى هو لله ؟

فأقول الأشياء ثلاثة أقسام ، منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذى يعبر عنه بالمعاصى والمحظورات ، وأنواع التمتع في المباحات ، وهى الدنيا المحضة المذمومة ، فهى الدنيا بصورة ومعنى ومنها ما صورته لله ، ويمكن أن يحمل لغير الله ، وهى ثلاثة ، الفكر ، والذكر ، والكف عن الشهوات . فإن هذه الثلاثة إذا جرت سرا ، ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر ، فهى لله ؛ وليست من الدنيا . وإن كان الغرض من الفكر ، طلب العلم للتشرف به ، وطلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفة ، أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال

(١) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أيام : محمد بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله عجا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك - الحديث : وهو من طريق ابن اسحاق معتنى والترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله - الحديث : قال الترمذى حسن صحيح

(٢) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم

أو الحمية لصحة البدن . أو الاشتهار بالزهد ، فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى ، وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى . ومنها ما صورته لحظ النفس ، ويمكن أن يكون معناه الله . وذلك كالأسكل ، والنكاح ، وكل ما يرتبط به بقاءه وبقاء ولده . فإن كان القصد حظ النفس ، فهو من الدنيا . وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى ، فهو لله بمعناه ، وإن كانت صورته صورة الدنيا . قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا مُكَاثِرًا مُفَاخِرًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ وَمَنْ طَلَبَهَا اسْتِغْفَافًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَصِيَانَةً لِنَفْسِهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد

فإذا الدنيا حظ نفسك العاجل ، الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ، ويمر عنه بالهوى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَهِيَ النَّفْسُ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) ^(١) وجامع الهوى خمسة أمور ، وهي ما جمعه الله تعالى في قوله (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ يَنْبَغُكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) ^(٢) والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة صبعة ، يجمعها قوله تعالى (زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ^(٣) . فقد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا . وقدر ضرورة القوت ، وما لا بد منه من مسكن وملبس ، هو لله إن قصد به وجه الله . والاستكثار منه تنعم ، وهو لغير الله . وبين التمتع والضرورة درجة يمر عنها بالحاجة ، ولها طرفان وواسطة . طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر ، فإن الاقتصاد على حد الضرورة غير ممكن . وطرف يراحم جانب التمتع ويقرب منه ، وينبغي أن يحذر منه . وبينهما وسائط متشابهة ، ومن هام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . والحزم في الحذر والتقوى ، والتقرب من حد الضرورة ما أمكن ، اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام ، إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى أن أويسا القرني ، كان يظن أهله أنه مجنون ، لشدة تضيقه على نفسه ، فبنوا له بيتا

(٣) حديث من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخر القى الله وهو عليه غضبان - الحديث : أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

(١) التارعات : ٤١ (٢) الحديد : ٣٠ (٣) آل عمران : ١٤

على باب دارهم ، فكان يأتي عليهم السنة ، والسنتان ، والثلاث ، لا يرون له وجهاً . وكان يخرج أول الأذان : ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة . وكان طعامه أن يلتقط النوى ، وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره ، وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى ، واشترى بشمعه ما يقوته . وكان لباسه مما يلتقط من الزابل من قطع الأكسية ، فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها إلى بعض ، ثم يلبسها . فكان ذلك لباسه . وكان ربما مر الصبيان ، فيرمونه ويظنون أنه مجنون ، فيقول لهم ، يا إخوتاه ، إن كنتم ولا بدان ترموني ، فارموني بأحجار صغار ، فإنني أخاف أن تدموا عقي ، فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء . فهكذا كانت سيرته . ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ، فقال ^(١) « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين » إشارة إليه رحمه الله .

ولما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : أيها الناس ، من كان منكم من العراق فليقم . قال فقاموا . فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة . فجلسوا . فقال اجلسوا إلا من كان من مراد . فجلسوا . فقال اجلسوا إلا من كان من قرن . فجلسوا كلهم إلا رجلاً واحداً . فقال له عمر ، أرني أنت ؟ فقال نعم . فقال أتعرف أويس بن عامر القرني ؟ فوصفه له ، فقال نعم ، وماذا تسأل عنه يا أمير المؤمنين ! والله ما فينا أحق منه ، ولا أجن منه ، ولا أوحش منه ، ولا أدنى منه . فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ، ما قلت ما قلت إلا لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) يقول ، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر . فقال هرم بن حبان ، لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب ، قدمت الكوفة . فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسا القرني ، وأسأل عنه ، حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار ، يتوضأ ويفسل ثوبه . قال فعرفته بالنعمة الذي نمت لي ، فإذا رجل لحيم شديد الأدمة ، مخلوق الرأس ، كث اللحية ، متغير جداً ، كرى الوجه ، متهيب المنظر . قال فسلمت عليه ، فرد علي السلام ونظر إلي . فقلت حيّاك الله من رجل . ومددت يدي لأصافه ،

(١) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين أشار به إلى أويس القرني تقدم في قواعد العقائد أحده أصل

(٢) حديث عمر يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا ورويناه في جزء ابن السكّ من حديث

أي إمامة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمق أكثر من ربيعة ومضر واساده حسن وليس فيه

ذكر لأويس بل في آخره فكان الشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان

فَأَبَى أَنْ يَصَاحُنِي . فَقُلْتُ رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أُوَيْسَ وَغَفَرَ لَكَ ، كَيْفَ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ . ثُمَّ خَنَقَتْنِي الْعَبْرَةُ مِنْ حَبِي إِيَّاهُ ، وَرَقَّتْ عَلَيْهِ ، إِذْ رَأَيْتُ مِنْ حَالِهِ مَا رَأَيْتُ ، حَتَّى بَكَيتُ وَبَكَى . فَقَالَ وَأَنْتَ خِفَاكَ اللَّهُ يَا هَرَمَ بْنَ حَبَانَ ، كَيْفَ أَنْتَ يَا أَخِي ؟ وَمِنْ ذَلِكَ عَلَى ؟ قَالَ قُلْتُ اللَّهُ . فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ ، إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . قَالَ فَمَجِيتُ حِينَ عَرَفَنِي ، وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا رَأَى . فَقُلْتُ مَنْ أَيْنَ عَرَفْتَ اسْمِي وَاسْمَ أَبِي ، وَمَا رَأَيْتُكَ قَبْلَ الْيَوْمِ ؟ قَالَ نَمَانِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ، وَعَرَفْتُ رُوحِي رُوحَكَ ، حِينَ كَلَّمْتَ نَفْسِي نَفْسِي ، إِنْ الْأَرْوَاحُ لَهَا أَنْفُسٌ كَأَنْفُسِ الْأَجْسَادِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَيَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَتَحَابُّونَ بِرُوحِ اللَّهِ وَإِنْ لَمْ يَلْتَقُوا ، يَتَعَارَفُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ وَإِنْ نَأَتْ بِهِمُ الدَّارُ ، وَتَفَرَّقَتْ بِهِمُ الْمَنَازِلُ . قَالَ قُلْتُ حَدَّثَنِي وَلَحَمَكَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِحَدِيثٍ أَسْمَعُهُ مِنْكَ . قَالَ إِنِّي لَمْ أَدْرِكْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ تَكُنْ لِي مَعَهُ صَحْبَةً . بِأَبِي وَأُمِّي رَسُولَ اللَّهِ . وَلَكِنْ رَأَيْتُ رِجَالًا قَدْ صَحَبُوهُ ، وَبَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِهِ كَمَا بَلَغَكَ ، وَلَسْتُ أَحِبُّ أَنْ أَفْتَحَ عَلَى نَفْسِي هَذَا الْبَابَ ، أَنْ أَكُونَ مَحْدُثًا ، أَوْ مَفْتِيًا ، أَوْ قَاضِيًا . فِي نَفْسِي شَغْلٌ عَنِ النَّاسِ يَا هَرَمَ بْنَ حَبَانَ . فَقُلْتُ يَا أَخِي إِقْرَأْ عَلَى آيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ أَسْمَعُهَا مِنْكَ ، وَادْعَ لِي بِدَعَوَاتٍ ؛ وَأَوْصِنِي بِوَصِيَّةٍ أَحْفَظُهَا عَنْكَ ، فَإِنِّي أَحْبَبْتُ فِي اللَّهِ حَبَابًا شَدِيدًا . قَالَ فَقَامَ وَأَخَذَ يَدِي عَلَى شَاطِئِي الْفَرَاتِ ، ثُمَّ قَالَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، ثُمَّ بَكَى ، ثُمَّ قَالَ ، قَالَ رَبِّي ، وَالْحَقُّ قَوْلُ رَبِّي ، وَأَصْدَقُ الْحَدِيثِ حَدِيثُهُ ، وَأَصْدَقُ الْكَلَامِ كَلَامُهُ ، ثُمَّ قَرَأَ (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ^(١)) حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ^(٢)) فَشَقَّ شَهْقَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ غَشَى عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ ، يَا ابْنَ حَبَانَ ، مَاتَ أَبُوكَ حَبَانَ ، وَيُوشِكُ أَنْ يَمُوتَ ، فَإِنَّمَا إِلَى جَنَّةٍ وَإِنَّمَا إِلَى نَارٍ . وَمَاتَ أَبُوكَ آدَمَ ، وَمَاتَتْ أُمُّكَ حَوَاءُ ، وَمَاتَ نُوحٌ ، وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ ، وَمَاتَ مُوسَى نَبِيُّ الرَّحْمَنِ ، وَمَاتَ دَاوُدُ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ ، وَمَاتَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ ، وَهُوَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَاتَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَخِي وَصِيفِي . ثُمَّ قَالَ يَا عَمْرَاهُ يَا عَمْرَاهُ . قَالَ فَقُلْتُ رَحِمَكَ اللَّهُ إِنْ عَمْرُ لَمْ يَمُتْ ، قَالَ فَقَدْ نَعِمَ إِلَى رَبِّي ، وَنَعَى إِلَى نَفْسِي

ثم قال ، أنا وأنت في الموني كتابه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ،
ثم دعا بدعوات خفيات ، ثم قال هذه وصيتي إياك يا هرم بن حبان ، كتاب الله ، وسهج الصالحين
المؤمنين ، فقد نعت إلى نفسي ونفسك ، عليك بذكر الموت ، لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت
وأندر قومك إذا رجعت إليهم ، وانصح للأمة جميعا . وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر ،
فتفارق دينك وأنت لا تعلم ، فتدخل النار يوم القيامة . ادع لي ولنفسك . ثم قال ، اللهم
إن هذا يزعم أنه يحبني فيك ، وزارني من أجلك ، فعرفني وجهه في الجنة ، وأدخله علي في
دارك دار السلام ، واحفظه مادام في الدنيا حيثما كان ، وضم عليه ضيعته ، وأرضه من الدنيا
باليسير ، وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا ، واجعله لما أعطيته من نعمائك من
الشاكرين ، وأجزه عن خير الجزاء . ثم قال استودعك الله يا هرم بن حبان ، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته ، لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبنني ، فإني أكره الشهرة ، والوحدة
أحب إلي ، إني كثير الهم ، شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا ، فلا تسأل عني
ولا تطلبنني ، واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك ولم ترني فاذا كرتني ، وادع لي ، فإني سأذكرك
وأدعوك إن شاء الله . انطلق أنت ههنا ، حتى أنطلق أنا ههنا . فخرصت أن أمشي معه
ساعة ، فأبى علي ، وفارقت ، فبكى وأبكاني ، وجعلت أنظر في قفاه ، حتى دخل بعض
السكك ، ثم سألت عنه بعد ذلك ، فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء ، رحمه الله وغفرله
فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا . وقد عرفت مما سبق في بيان
الدنيا ، ومن سيرة الأنبياء والأولياء ، أن حد الدنيا كل ما أظلت الخضراء ، وأقلت الغبراء ،
إلا ما كان لله عز وجل من ذلك . وضد الدنيا الآخرة ، وهو كل ما أريده الله تعالى ، مما
يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا ، لأجل قوة طاعة الله ، وذلك ليس من الدنيا . ويتبين
هذا بمثال . وهو أن الحاج إذا حلف أنه في طريق الحج ، لا يشتغل بغير الحج ، بل يتجرد له
ثم اشتغل بحفظ الزاد ، وعلف الجمل وخرز الراوية ، وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في عينه
ولم يكن مشغولا بغير الحج . فكذلك البدن مركب النفس ، تقطع به مسافة العمر ، فتعبد
البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل ، هو من الآخرة لا من الدنيا .

نعم إذا قصد تلذذ البدن، وتنعمه بشئ من هذه الأسباب، كان منحرفاً عن الآخرة، ويخشى على قلبه القسوة. قال الطنafsي، كنت على باب بنى شيبه في المسجد الحرام سبعة أيام طابوا فسمعت في الليلة الثامنة منادياً وأنا بين اليقظة والنوم، ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه. فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك، فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى

بيان

حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم

وخالقهم ومصدرهم وموردتهم

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة، للإنسان فيها حظ، وله في إصلاحها شغل. فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها، وليس كذلك

أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها، فهي الأرض وما عليها. قال الله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا^(١)) فالأرض فراش للآدميين، ومهاد، ومسكن، ومستقر، وما عليها لهم ملبس، ومطعم، ومشرب، ومنكح ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام: المعادن، والنبات، والحيوان. أما النبات، فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوى. وأما المعادن، فيطلبها للآلات والأواني، كالنحاس والرصاص، والنقد كالذهب والفضة، وغير ذلك من المقاصد. وأما الحيوان، فينقسم إلى الإنسان، والبهائم. أما البهائم، فيطلب منها لحومها للماكلى، وظهورها للمراكب والزينة، وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان، أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان. ويطلب قلوب الناس ليملكها، بأن يغرس فيها التعظيم والإكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه، إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين. فهذه هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا، وقد جمعها الله تعالى في قوله (زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ^(٢)) وهذا من الإنس (وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ^(٣)) وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ، واليوافيت وغيرها (وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ^(٤)) وهي

(١) الكهف: (٢ و ٣ و ٤) آل عمران: ١٤

البهائم والحيوانات (وَالْحَرْثُ^(١)) وهو النبات والزرع

فهذه هي أعيان الدنيا ، إلا أن لها مع العبد علاقتين ، علاقة مع القلب ، وهو حبه لها وحظه منها ، وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد ، أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا ، كالكبر ، والفن ، والحسد والرياء ، والسمعة وسوء الظن ، والمداينة ، وحب الثناء ، وحب التكاثر والتفاخر ، وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها ، العلاقة الثانية مع البدن ، وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان ، لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره ، وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها . والخلق إنما نسوا أنفسهم ، وما بهم ، ومنقلبهم بالدنيا ، لهاتين العلاقتين ، علاقة القلب بالحس ، وعلاقة البدن بالشغل . ولو عرف نفسه ، وعرف ربه ، وعرف حكمة الدنيا وسرها ، علم أن هذه الأعيان التي سمينها دنيا ، لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى . وأعنى بالدابة البدن . فإنه لا يبقى إلا بمطعم ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن . كما لا يبقى الجمل في طريق الحج إلا بعلف ، وماء ، وجلال

ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده ، مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ، ولا يزال يعلف الناقة ، ويتعهدا ، وينظفها ، ويكسوها ألوان الثياب ، ويحمل إليها أنواع الحشيش ، ويرد لها الماء بالثلج ، حتى تفوته القافلة ، وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة ، وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته . والحاج البصير لا يهيمه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي ، فيتعهد وقلبه إلى الكعبة والحج . وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة . فكذلك البصير في السفر الآخرة ، لا يشتغل بتعهد البدن إلا بالضرورة ، كما لا يدخل بيت الماء إلا لضرورة . ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراج من البطن ، في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ، ومن همته ما يدخل بطنه فقيمه ما يخرج منها . وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن . فإن القوت ضروري وأمر المسكن والملبس أهون . ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور ، واقتصروا عليه لم يفتقرهم أشغال الدنيا . وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها ، وحظوظهم منها . ولكنهم

جهلوا وغفلوا ، وتتابعت أشغال الدنيا عليهم ، واتصل بعضها ببعض ، وتداعت إلى غير نهاية محدودة ، فتاهوا في كثرة الأشغال ، ونسوا مقاصدها . ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا ، وكيفية حدوث الحاجة إليها ، وكيفية غلط الناس في مقاصدها ، حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى ، وكيف أنستهم عاقبة أمورهم فنقول :

الأشغال الدنيوية هي الحرف ، والصناعات ، والأعمال التي ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الأشغال ، هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث ، القوت ، والسكن ، والملبس فالقوت للغذاء والبقاء ، والملبس لدفع الحر والبرد ، والمسكن لدفع الحر والبرد ، ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال . ولم يخلق الله القوت ، والسكن ، والملبس ، مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الإنسان فيه . نعم خلق ذلك للبهائم ، فإن النبات يغذى الحيوان من غير طبخ ، والحر والبرد لا يؤثر في بدنه ، فيستغنى عن البناء ، ويقنع بالصحراء ، ولباسها شعورها وجلودها ، فيستغنى عن اللباس . والإنسان ليس كذلك ، فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات ، هي أصول الصناعات ، وأوائل الأشغال الدنيوية : وهي الفلاحة ، والرعاية ، والاقتناس ، والحياكة ، والبناء . أما البناء فلمسكن . والحياكة وما يكتنفها من أمر المنزل والحياطة ، فلملبس . والفلاحة للمطعم . والرعاية للمواشي . والخيل أيضا للمطعم والركب . والاقتناس نمنى به تحصيل ما خلقه الله من صيد ، أو معدن ، أو وحشيش ، أو حطب فالفلاح يحصل النباتات ، والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والمقتنص يحصل ما نبت وتنتج بنفسه من غير صنع آدمي . وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي . ونمنى بالاقتناس ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة

ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات ، كالحياكة ، والفلاحة ، والبناء ، والاقتناس والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب ، أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرها أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات ، التجارة ، والحدادة والطرز ، وهؤلاء هم عمال الآلات . ونمنى بالتجار كل عامل في الحشيش كيفما كان . وبالحدادة كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والبرص وغيرها . وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة . وأما الحراز ، فنمنى به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها .

فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده ، بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين ، أحدهما : حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ، ولا يكون ذلك إلا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما . والثاني : التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد . فإن الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة . والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت . ثم ليس يكفيه اجتماع مع الأهل والولد في المنزل ، بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ، ليتكفل كل واحد بصناعة ، فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده ، وهو يحتاج إلى آلاتها ، وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ، ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز . وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس ، وهو يفتقر إلى حراسة القطن ، وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة . فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده ، وحدثت الحاجة إلى الاجتماع . ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة ، لتأذوا بالحر والبرد والمطر والصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ، ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبإمعه من الآلات ، والأثاث ، والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر ، وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها . لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل ، فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون ، والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل . فحدثت البلاد لهذه الضرورة

ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا ، تولدت بينهم خصومات ، إذ تحدث رئاسة ، وولاية للزوج على الزوجة ، وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف يحتاج إلى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة ، بخلاف الولاية على البهائم ، إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت . فأما المرأة فتخاصم الزوج ، والولد يخاصم الأبوين ، وهذا في المنزل وأما أهل البلد أيضا ، فيتعاملون في الحاجات ، ويتنازعون فيها ، ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا . وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة ، يتواردون على المراعي ، والأراضي ، والمياه ، وهي لا تنقضي بأغراضهم ، فيتنازعون لا محالة . ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة ، بمعنى ، أو عرض ، أو هزم ، وتعرض عوارض مختلفة ، ولو ترك ضائعا لهلك ، ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا . ولو خص واحد من غير سبب يخصصه لكان لا يدعن له . فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى ، فمنها صناعة المساجد

التي بها تعرف مقادير الأرض ، لتمكن القسمة بينهم بالعدل . ومنها صناعة الجندية ، لحراسة البلد بالسيف ، ودفع اللصوص عنهم . ومنها صناعة الحكم ، والتوصل لفصل الخصومة . ومنها الحاجة إلى الفقه ، وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق ، ويلزموا الوقوف على حدوده ، حتى لا يكثر النزاع ، وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها . فهذه أمور سياسية لا بد منها ، ولا يشتغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم ، والتميز ، والهداية . وإذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى ، ويحتاجون إلى المعاش ، ويحتاج أهل البلد إليهم ، إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلاً ، تعطلت الصناعات . ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت ، تعطلت البلاد عن الحراس ، واستضر الناس . فست الحاجة إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لامالك لها إن كانت . أو تصرف الغنائم إليهم إن كانت العداوة مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع ، قنعوا بالقليل من أموال المصالح . وإن أرادوا التوسع ، فتمس بالحاجة لا بحالة إلى أن يعدم أهل البلد بأهوالهم ، ليمدوهم بالحراسة ، فتحدث الحاجة إلى الخراج . ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخرى ، إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال ، وهم العمال . وإلى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمتخرجون . وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة ، وهم الخزائن . وإلى من يفرق عليهم بالعدل ، وهو الفارض للمساكر . وهذه الأعمال لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة ، انحرم النظام ، فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم ، وأمير مطاع يمين لكل عمل شخصاً ، ويختار لكل واحد ما يليق به ، ويراعى النصفة في أخذ الخراج وإعطائه ، واستعمال الجند في الحرب ، وتوزيع أسلحتهم ، وتعيين جهات الحرب ، ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم ، إلى غير ذلك من صناعات الملك . فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح ، وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم ، الحاجة إلى الكتاب ، والخزان ، والحساب ، والجباة ، والعمال . ثم هؤلاء أيضاً يحتاجون إلى معيشة ، ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف ، فتحدث الحاجة إلى مال الفروع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج . وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف ،

الفلاحون ، والرعاة ، والمحترفون . والثانية الجندية الحماة بالسيوف . والثالثة المترددون بين
 الطائفتين في الأخذ والعطاء ، وهم العمال ، والجباة ، وأمثالهم . فانظر كيف ابتدأ الأمر
 من حاجة القوت ، والملبس ، والمسكن ، وإلى ماذا انتهى . وهكذا أمور الدنيا ، لا يفتح
 منها باب ، إلا وينفتح بسببه أبواب آخر وهكذا تنتهي إلى غير حد محصور ، وكأنها
 هاوية لانهاية لعمقها ، من وقع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى ، وهكذا على التوالي
 فهذه هي الحرف والصناعات ، إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات ، والمال عبارة عن
 أعيان الأرض وما عليها مما ينتفع به ، وأعلامها الأغذية ، ثم الأمكنة التي يأوى الإنسان
 إليها وهي الدور ، ثم الأمكنة التي يسعى فيها التعميش كالخوانيت ، والأسواق ، والمزارع ثم
 الكسوة ، ثم أثاث البيت وآلاته . ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب
 آلة الصيد والبقر آلة الحراثة ، والفرس آلة الركوب في الحرب . ثم يحدث من ذلك حاجة البيع ، فإن
 الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة ، والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن
 فيها الزراعة ، فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ، ويحتاجان إلى الفلاح . فيحتاج أحدهما أن
 يبذل ما عنده للآخر ، حتى يأخذ منه غرضه ، وذلك بطريق المعاوضة إلا أن النجار مثلاً
 إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ، ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آله ، فلا يبيعه
 والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ، ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت ، فلا يحتاج
 إليه . فتتوَقَّع الأغراض . فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ، ليرصدها صاحبها
 لأرباب الحاجات . وإلى آيات يجمع إليها ما يحمله الفلاحون ، فيشتريه منهم صاحب الآيات
 ليرصده لأرباب الحاجات . فظهرت لذلك الأسواق والمخازن ، فيحمل الفلاح الحبوب ،
 فإذا لم يصادف محتاجاً ، باعها بثمن رخيص من الباعة ، فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات
 طمعا في الربح . وكذلك في جميع الأمتعة والأموال . ثم يحدث لا محالة بين البلاد
 والقرى تردد ، فيتردد الناس ، يشترون من القرى الأطعمة ، ومن البلاد الآلات وينقلون
 ذلك ويتعبدون به ، لتنظيم أمور الناس في البلاد بسببهم ، إذ كل بلد ربما لا توجد فيه
 كل آلة ، وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام . فالبعض يحتاج إلى البعض ، فيجوز إلى النقل
 فيحدث التجار المتكفلون بالنقل ، ويبيعونهم عليه حرم جمع المال لا محالة ، فيتعبون طول

الليل والنهار في الأسفار لغرض غيرهم ، ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لأمحالة غيرهم إما قاطع طريق ، وإما سلطان ظالم . ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد . بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة . ولوعقل الناس وارتفعت هممهم زهدوا في الدنيا . ولو فعلوا ذلك ، لبطلت المعاش ولوبطلت لهلكوا ، ولهلك الزهاد أيضا . ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها ، فتحتاج إلى دواب تحملها .

وصاحب المال فد لا تكون له دابة ، فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الإجارة . ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا . ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى التقدين ، فإن من يريد أن يشتري طعاما بثوب ، فن أين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو . والمعاملة تجري في أجناس مختلفة ، كما يباع ثوب بطعام ، وحيوان بثوب . وهذه أمور لا تتناسب ، فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين ، يعدل أحدهما بالآخر ، فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ، ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه لأن الحاجة إليه تدوم . وأبقى الأموال المعادن ، فاتخذت النقود من الذهب ، والفضة ، والنحاس . ثم مست الحاجة إلى الضرب ، والنقش ، والتقدير ، فست الحاجة إلى دار الضرب والصرافة : وهكذا تتداعى الاشغال والأعمال بعضها إلى بعض ، حتى انتهت إلى ما تراه فهذه أشغال الخلق ، وهي معاشهم . وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء . وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به ، أو يمنعه عنه مانع ، فيبقى عاجزا عن الاكتساب ، لعجزه عن الحرف . فيحتاج إلى أن يأكل مما يسمى فيه غيره ، فيحدث منه حرفتان خسيستان ، اللصوصية ، والكداية . إذ يجمعهما أهما يأكلان من سعي غيرهما . ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ، ويحفظون عنهم أموالهم ، فافتقروا إلى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير أما اللصوص ، فمنهم من يطلب أعوانا ، ويكون في يديه شوكة وقوة ، فيجتمعون ويتكاثرون ، ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضعفاء منهم ، فيفزعون إلى الجبل ، إما بالنقب أو بالتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة ، وإما بأن يكون طرارا أو سلالا ، إلى غير ذلك من أنواع التلصص ، الحادثة بحسب ما تنتجها الأفكار المصروفة إلى استنباطها .

وأما المكدي ، فإنه إذا طلب مأسى فيه غيره ، وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فمالك والبطالة ، فلا يعطى شيئاً . فافتقروا إلى حيلة في استخراج الأموال ، وتعميد العذر لأنفسهم في البطالة ، فاحتالوا للتعلم بالعجز ، إما بالحقيقة ، كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ، ليعذروا بالعمى فيعطون . وإما بالتعامى ، والتفالج ، والتجانن ، والتمارض ، وإظهار ذلك بأنواع من الحيل ، مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ، ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون أقوالاً وأفعالاً ، يتعجب الناس منها ، حتى تنبسط قلوبهم عندهم مشاهدتها فيسخروا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ، ثم قد يندم بعد زوال التعجب ، ولا ينفع الندم . وذلك قد يكون بالتمسخر ، والمحاكاة ، والشعبذة ، والأفعال المضحكة وقد يكون بالأشعار الغريبة ، والكلام المنشور المسجع ، مع حسن الصوت . والشعر الموزون أشد تأثيراً في النفس ، لاسيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة فضائل أهل البيت . أو الذى يجر لداعية العشق من أهل المجانة كصناعة الطبالين في الأسواق وصناعة ما يشبه العوض وليس بعوض ، كبيع التعويذات والحشيش ، الذى يخيل بآثامها أدوية ، فيخدع بذلك الصبيان والجهال ، وكأصحاب القرعة والفأل من المنجمين . ويدخل في هذا الجنس الوعاظ ، والمكدون على رءوس المنابر ؛ إذا لم يكن وراءهم طائل علمي ، وكان غرضهم استمالة قلوب العوام ، وأخذ أموالهم بأنواع الكدية ، وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين ، وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل المعيشة

فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها ، وجرهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة ، ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ، ومقصودهم ، ومنقلبهم ، وما يبيم فتاهوا وضلوا ، وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا ، خيالات فاسدة ، فانقسمت مذاهبهم ، واختلفت آراؤهم على عدة أوجه . فطائفة غلبهم الجهل والغفلة ، فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم ، فقالوا المقصود أن نعيش أياماً في الدنيا فتجتهد حتى نكسب القوت ، ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ، ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ، ثم يكسبون ليأكلوا . وهذا مذهب الفلاخين والمحترفين ، ومن ليس له ثمن في الدنيا ، ولا قدم في الدين . فإنه يتعب نهاراً ليأكل ليلاً ، ويأكل ليلاً ليتعب نهاراً

وذلك كسير السواني، فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت . وطائفة أخرى زعموا أنهم تقطنوا الأمر، وأنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا، بل السعادة في أن يقضي وطره من شهوة الدنيا، وهي شهوة البطن والفرج، فهؤلاء نسوا أنفسهم، وصرفوا همهم إلى اتباع النسوان، وجمع لذائذ الأطعمة . يأكلون كما تأكل الأنعام، ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة . فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال، والاستغناء بكثرة الكنوز فأسهروا ليلهم، وأتعبوا نهارهم في الجمع، فهم يتعبون في الأسفار طول الليل والنهار، ويترددون في الأعمال الشاقة، ويكتسبون ويجمعون، ولا يأكلون إلا قدر الضرورة، شحاً وبخلاً عليها أن تنقص، وهذه لذتهم، وفي ذلك دأبهم وحركتهم، إلى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات، فيكون للجامع تبعه ووباله، وللأكل لذته . ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون . وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم، وانطلاق الألسنة بالثناء، والمدح بالتجمل والمروءة، فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش، ويضيقون على أنفسهم في المطعم والمشرب، ويصرفون جميع ما لهم إلى الملابس الحسنة، والدواب النفيسة . ويخرقون أبواب الدور، وما يقع عليها أبصار الناس، حتى يقال إنه غنى، وإنه ذو ثروة، ويظنون أن ذلك هي السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم، في تمهد موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس، وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير، فصرفوا همهم إلى استعجار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات، وتقليد الأعمال السلطانية، لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس، ويرون أنهم إذا اتسعت ولايتهم، وانقادت لهم رعاياهم، فقد سعدوا وسعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب . وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس، فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله، وعن عبادته، وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها، تزيد على نيف وسبعين فرقة، كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل . وإنما جرمهم إلى جميع ذلك حاجة المطم والملبس والسكن، ونسوا ما ترادله هذه الأمور الثلاثة، والقدر الذي يكفي منها، وانجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها، وتداعى بهم ذلك إلى مهاو لم يمكنهم الرقي منها

فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال ، وعرف غاية المقصود منها ، فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل ، إلا وهو عالم بمقصوده ، وعالم بحظه ونصيبه منه ، وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك . وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه ، وفرغ القلب ، وغلب عليه ذكر الآخرة ، وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له . وإن تعدى به قدر الضرورة ، كثرت الأشغال ، وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية . فتشعب به الهموم . ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا ، فلا يبالى الله في أى واد أهلكه منها . فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة ، فأعرضوا عن الدنيا ، فحسدهم الشيطان ، ولم يتركهم ، وأضلهم في الإعراض أيضا ، حتى انقسموا إلى طوائف ، فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة ، والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها ، سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد ، فأروا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم ، للخلاص من محنة الدنيا ، وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند ، فهم يتهجمون على النار ، ويقتلون أنفسهم بالإحراق ، ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا . وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص ، بل لابد أولا من إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية ، وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب . ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم ، حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة ، وبعضهم فسد عقله وجن ، وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة ، وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية ، فظن أن ما كلفه الشرع محال ، وأن الشرع تلييس لا أصل له ، فوقع في الإلحاد . وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله ، وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد ، لا ينقصه عصيان طاعة ولا تزيد عبادة متعبد . فمادوا إلى الشهوات ، وسلكوا مسلك الإباحة ، وطوروا بساط الشرع والأحكام ، وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم ، حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العبادة وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة ، حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى ، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل ، وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والهيئة ، فتركوا السعى والعبادة وزعموا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتحنوا بالتكاليف وإنما التكليف على عوام الخلق . ووراء هذا مذاهب باطلة ، وضلالات هائلة ، يطول إحصاؤها إلى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة . وإنما الناجي منها فرقة واحدة ، وهى السالكة ما كان عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية . ولا يقيم الشهوات بالكلية . أما الدنيا ، فيأخذ منها قدر الزاد . وأما الشهوات ، فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ، ولا يتبع كل شهوة ، ولا يترك كل شهوة . بل يتبع العدل ، ولا يترك كل شيء ولا يطلب كل شيء من الدنيا . بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ، ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ، ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ، ومن الكسوة كذلك ، حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن ، أقبل على الله تعالى بكنهه همتة ، واشتغل بالذكر والفكر طول العمر ، وبقى ملازماً لسياسة الشهوات ، ومراقباً لها ، حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى . ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالافتاء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فإنه عليه السلام ^(١) لما قال « النَّاجِي مِنْهَا وَاحِدَةٌ » قالوا يا رسول الله . ومن هم ؟ قال « أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ » فقيل ومن أهل السنة والجماعة ؟ قال « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » وقد كانوا على النهج القصد ، وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل . فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين . وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية . وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط . بل كان أمرهم بين ذلك قواماً . وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين ، وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع ، والله أعلم

تم كتاب ذم الدنيا ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) حديث افتراق الأمة وفيه الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة - الحديث : الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة فقالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولا بن داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة . وأسانيدنا جياداً

فهرست الجزء التاسع

الصفحة	الصفحة
مطابته صلى الله عليه وسلم لخوات	١٥٥١ الآفة الثالثة - الخوض في الباطل
١٥٧٦ الانصارى	١٥٥٢ خطر الكلمة التى يستهونها المرء
مزاحه صلى الله عليه وسلم مع نعيمان	١٥٥٣ الآفة الرابعة - المراء والجدال
١٥٧٧ الانصارى	١٥٥٣ ماورد في ذم المراء والجدال
الآفة الحادية عشر - السخرية	١٥٥٤ حد المراء - المجادلة
والاستهزاء	الباعث على المراء والجدل علاج المراء
١٥٧٨ متى لا تكون السخرية ذنباً	١٥٥٥ والجدل
١٥٧٩ الآفة الثانية عشرة - افشاء السر	١٥٥٦ الآفة الخامسة - الخصومة
افشاء السر خيانة مظمى	الخصومة المدمومة - الخصومة لنيل
الآفة الثالثة عشرة - الوعد الكاذب	الحق
علامات النفاق	١٥٥٨ الخصام مبدأ الشرور
١٥٨٠ صاحب الثمانين والراعى	١٥٥٩ الآفة السادسة - الثغر في الكلام
١٥٨١ الآفة الرابعة عشرة - الكذب في	١٥٦٠ ما ورد في التشديق والتصنع
القول واليمين	١٥٦١ الآفة السابعة - الفحش والسب
١٥٨٢ الكذب في ملاعبة الصبيان	وبذاء اللسان
١٥٨٥ الآثار في ذم الكذب	١٥٦٢ حد الفحش - كيف يتحدث المتأدبون
١٥٨٧ بيان - ما رخص فيه من الكذب	١٥٦٣ الباعث على الفحش
١٥٨٨ الكذب الواجب والكذب المباح	١٥٦٣ الآفة الثامنة - اللعن
١٥٨٩ أدلة الترخيص في الكذب المباح	تأديب الرسول صلى الله عليه وسلم
١٥٩٠ ما يرخص فيه الكذب	١٥٦٤ لأصحابه
الكذب لدفع الضرر عن النفس والغير	حد اللعن
١٥٩١ دقة الحد المبيح للكذب	١٥٦٥ مقتضيات اللعن - مراتب اللعن
١٥٩٢ خطر وضع الأحاديث لظن المصلحة	١٥٦٦ الاحتياط الشديد في لعن شخص بعينه
١٥٩٣ بيان - الحذر من الكذب بالمعارض	سياسته صلى الله عليه وسلم في فصل
١٥٩٤ أمثلة التعريض	الخصومة
المزاج والكذب فيه	١٥٦٦ خطر رمى المسلم بالكفر أو الفسق
بعض الكذب المعتاد	١٥٦٨ النهى عن سب الأموات
١٥٩٥ الكذب في الرؤيا	١٥٦٩ لعن المؤمن كقتله
١٥٩٦ الآفة الخامسة عشرة - الغيبة	الآفة التاسعة - الغناء والشعر
مذمة الغيبة في الكتاب والسنة	التصريح ببعض المبالغة في الشعر
١٥٩٧ اثر الغيبة في الصوم	١٥٧١ الآفة العاشرة - المزاح
١٥٩٨ الغيبة وعذاب القبر	خطر المداومة على المزاح والافراط فيه
١٥٩٩ الفرق بين الهمز والهمز	١٥٧٢ كثرة الضحك تميته القلب
بيان معنى الغيبة وحدودها	١٥٧٣ المزاح مسقط الوقار
حد الغيبة	١٥٧٣ القدر المسموح به من المزاح
الغيبة في الدين	بعض أمثلة من مزاحه صلى الله عليه
١٦٠٠ بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان	١٥٧٤ وسلم
١٦٠١	١٥٧٥ مزاحه صلى الله عليه وسلم مع السيدة
	عائشة رضى الله عنها

١٦٢٢	تكذيب المام - نهيه - بغضه
١٦٢٣	تحسين الظن بأخيه - التحرز عن التجسس
١٦٢٤	ملازمه النمام للصفات الذميمة
١٦٢٥	السعاية
١٦٢٦	تأثير النميمة في الفرقة بين الزوجين
١٦٢٧	الآفة السابعة عشرة - كلام ذي اللسانين
١٦٢٨	مدمة ذي اللسان
١٦٢٩	تحديد ذي اللسانين
١٦٣٠	الآفة الثامنة عشرة - المدح
١٦٣١	آفات المدح - الكذب - الرياء
١٦٣٢	عدم جواز مدح الفاسق أو الظالم
١٦٣٣	أحداث الكبر في المدح
١٦٣٤	فتور المدح وكسله
١٦٣٥	بيان ما على المدح - بيان واجبه
١٦٣٦	الآفة التاسعة عشرة - الغفلة عن دقائق الخطأ في محو الكلام
١٦٣٧	أدب الرسول مع الله عز وجل
١٦٣٨	بعض مالا يجوز قوله مما اعتاده الناس
١٦٣٩	الآفة العشرون - سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف
١٦٤٠	كتاب ذم الغضب والحقد
١٦٤١	والحسد
١٦٤٢	بيان ذم الغضب
١٦٤٣	ذم الغضب في القرآن - والغضب في الحديث
١٦٤٤	بعض الآثار في ذم الغضب - الحمق
١٦٤٥	يجلب الشرور
١٦٤٦	أعقل الناس أقلهم غضبا
١٦٤٧	بيان حقيقة الغضب
١٦٤٨	طبيعة تكوين الجسم تقتضي فناؤه
١٦٤٩	الأسباب الخارجية عن الجسم التي تهلك فناؤه
١٦٥٠	ذم الإفراط في الغضب
١٦٥١	استجاب الإفراط في الغضب
١٦٥٢	أثر الغضب في الظاهر

١٦٥٣	طرق الغيبة المخلفة وأمثلتها
١٦٥٤	أخبت أنواع الغيبة
١٦٥٥	الأصناف إلى الغيبة غيبة
١٦٥٦	بيان الأسباب الباعثة على الغيبة
١٦٥٧	الحقد والغضب
١٦٥٨	مجانلة الأصحاب - المهاجمة للدفاع
١٦٥٩	عن النفس
١٦٦٠	إتهام الغير لتبرئة النفس - المباهاة والتصنع
١٦٦١	الحسد - الهزل والمطالبة
١٦٦٢	السخرية والتحقير - أظهار التعجب من
١٦٦٣	حال المخطيء
١٦٦٤	أظهار الرحمة والغضب لله تعالى
١٦٦٥	بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة
١٦٦٦	علاج الغيبة على الجملة
١٦٦٧	الغضب
١٦٦٨	عدم موافقة الجلساء في معاصيهم
١٦٦٩	تنزيه النفس بإتهام الغير
١٦٧٠	عدم الاقتداء بالغير في المعاصي
١٦٧١	المباهاة وتزكية النفس
١٦٧٢	الحسد - الاستهزاء بالغير
١٦٧٣	الغبية عن طريق الرحمة
١٦٧٤	الغبية من طريق الغضب لله تعالى
١٦٧٥	التعجل
١٦٧٦	بيان تحريم الغيبة بالكتاب
١٦٧٧	علامة عقد سوء الظن
١٦٧٨	علاج الخاطر السيء - كيفية نصيح المسلم
١٦٧٩	بيان الأعداد المخصصة في الغيبة
١٦٨٠	التظلم - الاستعانة على تغيير المنكر
١٦٨١	الاستفتاء - تحذير المسلم من الشر
١٦٨٢	ذكر اللقب المعروف به - التجاهر بالفسق
١٦٨٣	بيان كفارة الغيبة - الاستحلال
١٦٨٤	والاستغفار
١٦٨٥	التحليل وحكمه
١٦٨٦	الآفة السادسة عشرة الثمينة
١٦٨٧	ذم النمام في الكتاب
١٦٨٨	بيان - حد النميمة وما يجب في ردّها
١٦٨٩	الباث على النميمة - وإيجاب المنع له

الصفحة	الصفحة
منع الحق	ابره في اللسان . ابره في الاعضاء
١٦٦٧ فضيلة العفو والاحسان	ابره في القلب
١٦٧٠ الآثار في فضل العفو	الغيرة من عزائم الأمور
١٦٧٢ فضيلة الرفق	الفصم المدوح
الاحاديث في فضله الرفق	بيان الغضب هل يمكن ازالته أصله
١٦٧٤ الآثار الواردة في الرفق	١٦٤٥ بالرياضة أم لا
القول - في ذم الحسد وفي حقيقته	افسام ما يحبه الانسان - الضرورات -
وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في	الكماليات
١٦٧٥ آرائه	الضرورات في حق البعض دون البعض
بيان ذم الحسد	تهذيب العصب لعوات الضرورات
١٦٧٦ الأحاديث الواردة في ذم الحسد	١٦١٧ تهذيب الغضب لعوات الكماليات
١٦٧٨ الآثار الواردة في ذم الحسد	١٦٤٩ بيان الأسباب المهيجه للعصب
١٦٧٩ المسء مجزى باسائه	لس العصب شحاعة
بيان - حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه	١٦٥٠ بيان علاج الغضب بعد هيجه
١٦٨٠ ومرابه	رجاء نواب كظم الغيظ
حد الحسد - حد العبطة	الخوف من الله تعالى
١٦٨١ الدليل على تحريم الحسد	١٦٥٢ الحذر من الاكثار من الأعداء
١٦٨٢ المنافسة وحكمها	النفور من صورة الغصبان
١٦٨٣ المنافسة تعزيرها الاحكام الشرعية	١٦٥٣ الجلوس والاضطجاع عند الغضب
١٦٨٥ بيان - أسباب الحسد والمنافسة	الوضوء عند الغضب
أسباب المنافسة ، أسباب الحسد	السجود لله مذهب للغضب
١٦٨٦ العداوة والبغضاء	١٦٥٤ فضيلة كظم الغيظ
١٦٨٧ التعزز - الكبير - التعجب	١٦٥٥ الأحاديث الدالة على فضيلة كظم
١٦٨٨ الخوف من فون المقاصد	الغيظ
حب الرياسة - خبث النفس	١٦٥٦ الآثار الواردة في كظم الغيظ
بيان - السبب في كثرة الحسد بين	بيان - فضيلة الحلم - كيفية الوصول
الأمنال والاقران والاخوة وبنى العم	الى الحلم
والاقارب وتأكده وقتله في غيرهم	الأحاديث في فضيلة الحلم
١٦٨٩ وضعفه	١٦٦٠ الآثار الواردة في فضل الحلم
١٦٩٠ ابن يكون الحسد - منشأ الحسد	حلم على بن الحسين . حكم غالية لابن
مقارنة بين العلم والمال - انتفاء الحسد	منبه
١٦٩١ في الجنة	١٦٦١ بيان - القدر الذي يجوز الانتصار
بيان - الدواء الذي ينفي مرض	والشفى به من الكلام
١٦٩٢ الحسد عن القلب	١٦٦٢ أمثلة مما يجوز الرد على الشانم به
١٦٩٣ ضرر الحسد على دين العاسد	دليل جواز الرد على الشانم
ضرر الحسد في الدنيا	درجات الناس في الغضب
عدم ضرر المحسود بالحسد في الدين	القول - في معنى الحقن ونتائجه
والدنيا	١٦٦٥ فضيلة العفو والرفق
انتفاع المحسود على حساب حاسده	مساوىء الحقن - الحسد - الشماتة
١٦٩٤ في الآخرة	الهجر
	الاعراض - الغيبة - الاستهزاء -
	الإيداء

نميلها بالسفينة واختلاف أحوال ركابها	١٧٣٢
منال لضعف الإيمان والاعتذار بالدنيا	١٧٣٣
الدسا عارية لا يملكها أحد	١٧٣٣
بيان - حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العد	١٧٣٣
ما يصحب الإنسان في الآخرة من حفظ الدنيا	١٧٣٤
حفظ الدنيا الى لانمرة لها في الآخرة	١٧٣٤
الخطوط العاجلة المعينة على الآخرة	١٧٣٩
شهادة ابن الخطاب في أويس القرني	١٧٣٩
زيارة ابن حبان الأويس القرني	١٧٤٢
بيان - حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها الخ	١٧٤٢
إيمان الدنيا الموجودة بها	١٧٤٤
تفصيل أشغال الدنيا	١٧٤٤
أصول الصناعات - آلات الصناعات	١٧٤٥
حاجة الإنسان الى الاجتماع	١٧٤٥
حاجة الإنسان الى إنشاء البلاد	١٧٤٥
الحاجة الى أهل السياسة والحرف وغيرها	١٧٤٦
الحاجة الى الخراج وعماله - الحاجة الى الملك	١٧٤٦
الحاجة الى الأسواق والحوانيت	١٧٤٧
الحاجة الى التجار	١٧٤٨
حاجة الناس الى النقد - كيف ينشأ قطاع الطريق واللصوص	١٧٤٨
والتسولون	١٧٤٨
التسول وفنونه - وجهة نظر الجاهل في الحياة	١٧٤٩
وجهة نظر أصحاب الشهوات	١٧٥٠
وجهة نظر جامعي المال - وجهة نظر عباد الظاهر - وجهة نظر عباد الجاه	١٧٥٠
المتعبدون بقتل أنفسهم - سبب من أسباب الإلحاد	١٧٥١
الإباحيون - المخسدون - الفرقة الناجية	١٧٥١

المحسود يغبط باغممام حاسده	١٦٩٥
الوفاة في شباك الشيطان بالحسد	١٦٩٥
علاج الحسد بمخالفة نفسه	١٦٩٦
الشفاء في الصبر على مرارة الدواء	١٦٩٧
بيان - القدر الواجب في نفى الحسد	١٧٠٠
بيان القدر الواجب في نفى الحسد	١٧٠٠
عن القلب (حالة المرء مع أعدائه)	١٧٠٠
كتاب ذم الدنيا	١٧٠٢
بيان ذم الدنيا	١٧٠٣
الاحاديث الواردة في ذم الدنيا	١٧٠٤
تحذير سيدنا عيسى عليه السلام من الدنيا	١٧٠٥
التكالب على الدنيا يورث الهموم	١٧٠٦
احتقار الله للدنيا منذ خلقها	١٧٠٧
مركز ابن آدم بين الدنيا والآخرة	١٧٠٨
حب الدنيا طريق الهلوك	١٧١٠
تحذير أبي الدرداء من الدنيا	١٧١١
الأثار الواردة في ذم الدنيا	١٧١٢
بيان - المواعظ في ذم الدنيا وصفتها	١٧١٩
نصيحة الحسن البصري لعمر بن	١٧٢٠
عبد العزيز	١٧٢٠
خطبة على كرم الله وجهه في ذم الدنيا	١٧٢٢
خطبة عمر بن عبد العزيز	١٧٢٣
خطبة لعلي كرم الله وجهه	١٧٢٤
مظة لمحمد بن الحسين	١٧٢٤
بيان صفة الدنيا بالأمثلة	١٧٢٤
تمثيل الدنيا بالحلم - تمثيل الدنيا	١٧٢٥
بالمرأة الفادرة	١٧٢٥
تمثيلها بالمعجوز المزينة المظهر القبيحة	١٧٢٦
المخبر	١٧٢٦
تمثيل الدنيا بالقنطرة	١٧٢٦
تمثيلها بالحية	١٧٢٧
تمثيل الدنيا بالماء لا بد ان يتل خائضه	١٧٢٨
تمثيلها بالنوب المشقوق بالمتعلق على خيط	١٧٢٨
تمثيل طالب الدنيا بشارب ماء البحر	١٧٢٩
تمثيلها بالطعام اللذيذ اوله الخبيث آخره	١٧٢٩
غالب الدنيا بالنسبة للآخرة	١٧٣٠